

مجلة مجتمع اللغة العربية الأردني

(مجلة متخصصة محكمة)

تصدر مرتين في السنة

- * البحوث التي ترسل إلى المجلة تكون خاصة بها ، ولم يسبق أن نشرت في مكان آخر، وأن تتوافر فيها شرائط البحث العلمي .
- * يرسل كل بحث إلى ثلاثة محكمين مختصين ، وفي ضوء تقاريرهم تقرر هيئة التحرير نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره .
- * البحوث غير المجازة لا ترد إلى أصحابها .
- * يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية .
- * تقبل للنشر مراجعات الكتب إذا كانت قيمة .
- * يجوز للمباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر ، بعد نشره في مجلة المجمع ، شريطة أن يشير إلى ذلك .

الاشتراكات

خمسة دنانير سنوياً

في الأردن

اثنا عشر دولاراً سنوياً أو ما يعادلها

في البلاد العربية والأجنبية

تضاف أجرة البريد الجوي لمن يشاء ذلك من المشتركين



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ISSN 0258 - 1094



مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

السنة الثلاثون

العدد ٧٠

كانون الثاني - حزيران ٢٠٠٦

نو الحجة ١٤٢٦هـ - جمادى الأولى ١٤٢٧هـ

هيئة تحرير المجلة

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس المجمع

الأعضاء

الأستاذ الدكتور محمود السمره نائب رئيس المجمع

الأستاذ الدكتور سعيد التل

الأستاذ الدكتور إسحق أحمد فرحان

الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري

الأستاذ الدكتور سعدون حمادي

الأستاذ الدكتور عبيد دحيات

الأستاذ الدكتور بشار عواد

الأستاذ الدكتور عبد المجيد نصير

الأستاذ الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عربيات

الأستاذ الدكتور همّام غصيب

الأستاذ الدكتور أحمد شيخ السروجية

الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت

الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبدالمهدي

الأستاذ الدكتور إسماعيل عمارة

الأستاذ الدكتور عبد الحميد الفلاح

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٩ :١٠ البحوث
١١	قلق الحياة في أدب أبي العلاء المعري الأستاذ حامد صادق قنبيبي جامعة الإسراء
٦٩	نظريات اكتساب اللغة الثانية وتطبيقاتها التربوية (القسم الثاني) د. موسى رشيد حتاملة
١٢٣ : مع الكتب
١٢٥	خدمات حروف الجر" للدكتور محمود عيل عمار "بحث نصي" د. ياسين أبو الهيجاء جامعة الإسراء

لثا: تعليقات ومناقشات ٢٠٩

رد على بحث: "المصطلح التربوي النفسي:
تقييم لا تقويم"
د. لمباركية نوّار ٢١١

ابعا: أخبار جمعية ٢١٩

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامي

أولاً: البحوث

قلق الحياة في أدب أبي العلاء المعري

حامد صادق قنبيبي

أستاذ مشارك، كلية الآداب

جامعة الإسراء الخاصة

توطئة

قَلِقَ لغةً (بكسر اللام): اضطربَ وانزعج، وهو قَلِقٌ (بكسر اللام). والقَلَقُ (بفتح القاف واللام): حالة انفعالية تتميز بالخوف مما قد يحدث. ومن باب الألفاظ المترادفة والمتقاربة لـ (القلق): الجزع، والهَمُّ، والغم، واليأس، والخشية، والسأم، والضجر، والتبرم، والملل، والسخط، والرغبة. ونقيضها: الاطمئنان، والسكينة، والرضا، والأمن، والسلام. (١)

والقَلَقُ (اصطلاحاً): تعبير يستعمله المتأخرون من علماء الأخلاق، وعلماء النفس وهو استعداد تلقائي للنفس يجعلها غير راضية بالواقع، فإذا تطلَّع المرءُ إلى الأحسن والأفضل - ونظر إلى حياته الواقعية - فوجدها محفوفة بالمخاطر، بعيدة عن تحقيق ما يصبو إليه من الكمال والسعادة، أحسَّ بالقلق والغم.. وقد يشتدَّ القلق حتى يصبح مرضاً، كما هو في نفوس أصحاب الوسواس الذين تغلب عليهم السوداء، وتستحوذ على عقولهم التصورات المؤلمة التي لا سبيل إلى دفعها، فالنفس القلقة مضادة للنفس المطمئنة التي تتفاعل بالخير وتتوكل على الله. (٢)

١ . مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٠)، مادة (قلق).

٢ . صليبا، جميل: المعجم الفلسفي (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩)، ٢/٢٠٠.

ونفهم من تعريف (القلق) أنه نوعان؛ أولهما القلق المحمود، أو السوي؛ حين يكون القلق عدم الرضى بالواقع الذي لا يروق للمرء ولا يحقق رغباته (حسب معتقداته)، ويكون حالئذ استجابة لمواقف محددة كالقلق عند انتظار حدث لموعد أو زمان أو مناسبة في حياة الإنسان العاطفية والروحية والمعاشية، من نحو انتظار غائب أو حبيب يترقب ساعة وصوله. أو قلق ما يمرُّ به الطلبة قبل الامتحان، وكذلك قلق ترقب إعلان نتائج مسابقة أو نحو ذلك. أو قلق الأمهات والآباء على أبنائهم إذا ألمَّ بأحدهم مرض . أو قلق انحباس المطر في بلادنا.. ونحو ذلك كثير. وقد يرتقي هذا النوع إلى قلق الانشغال بالهم العام للأفراد والجماعات، والتطلع إلى تغييره إلى الأفضل، فيكون حينئذ مهماً للراقي والنهضة لتحقيق ما يصبو إليه الفرد من طموح، أو تحقيق ما تتطلع إليه الجماعة. (٣)

والنوع الثاني من القلق، هو القلق السوداوي، وهو القلق المرَضِي غير المحمود كما ورد في التعريف الاصطلاحي الأنف الذكر. والمقصود بـ (الواقع) في التعريف هو لفظ الحياة (٤) الدنيا التي يعرفها الإنسان بمميزاتها ومظاهرها، والتي أهمها شدة الحساسية، والاستجابة للمؤثرات الخارجية والداخلية، والاهتزاز والحركة الدائبة المستمرة. ومن مرادفات (الحياة) في بحثنا هذا: الحياة الدنيا، الدنيا، الدهر، عيش، أمنا. وفي السياق غالباً ما يتجاوز لفظ (الحياة) مع (الموت) (٤) الذي هو نهاية كل حي، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٢﴾﴾ (١).

(٣) انظر: عبد الخالق أحمد محمد: قلق الموت (الكويت: عالم المعرفة، عدد ١٩٨٧، ١١١) أماكن متفرقة ٢٥-٣٣

(٤) الحياة (كما في المعجم الوسيط): النمو والبقاء والمنفعة، و(في علم الأحياء): مجموع ما يشاهد في الحيوانات والنباتات من سمات تفرق بينها وبين الجمادات، مثل التغذية والنمو والتناسل ونحو ذلك.

(٥) عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (القاهرة: دار الشعب، ١٩٧١) يرد لفظ (الموت) مفرداً (٣٥) مرة، ويورد لفظ (الحياة) مفرداً (٧١) مرة.

(٦) الهروي، عبد الله: كتاب منازل المسائرين (بغداد: مكتبة الشرق الجديد، ١٩٩٠) ص ٩٢-٩٣.

وقف أبو إسماعيل، عبد الله الأنصاري الهروي الحنبلي الصوفي (ت ٤٨١ هـ) في كتابه (منازل السائرين) عند منزلة (القلق) كأحد المتغيرات التي تصيب الإنسان من حين لآخر. والقلق عنده ثلاث درجات؛ فقال: " القلق: تحريك الشوق بإسقاط الصبر؛ فالدرجة الأولى: قلقٌ يُضيقُ الخلق [بضم الخاء] ، والثانية قلقٌ يُبغضُ الخلق [بفتح الخاء] ، والثالثة قلقٌ يلذذ الموت " (٧)

فالحالة الأولى من القلق: غمٌ يُضجرُ مزاج صاحبه على احتمال الأغيار [الآخرين] ممن هم ليسوا على مذهبه أو هواه، وهذا مبدأ عام في التألف والتنافر، وإسقاط الصبر هنا، أي ضيق الصدر والنزق. وأما الحالة الثانية من القلق، وهي البغضاء والكراهية؛ حالة تصيب الإنسان إذا كان في وسط اجتماعي مع وجود التنافر بينه وبين من يخالطهم في هذا الوسط. والحالة الثالثة ذلك القلق الذي يحدث نتيجة ذكر المحبوب - شخصاً أو ذاتاً أو مذهباً - وعندها يشعر الإنسان باستعذاب الموت، ولك أن تقول الاستشهاد توقفاً للحق ولقائه.

ومما سبق يتضح أن القلق من وجهة نظر الإسلام لا يصل إلى حد القلق المرضي (بفتح الراء). بل هو قلق صحيح. حيث يشير (صاحب المنازل) إلى القلق الذي يصاحب المسلم ويؤدي إلى صحة إيمانه. لأن المسلم المتبع لمنهج الله سبحانه وتعالى لا يقع فريسة لمثل أنواع القلق المرضي الذي يتحدث عنه علماء النفس وفق النظريات النفسية المعاصرة. ذلك لأن المنهج الإسلامي قد حدد الطرق السليمة التي تعين الإنسان المسلم على تخطي لحظات الإحساس والشعور بالقلق إلى حالة الاستقرار النفسي، وخاصة من يلتزم التزاماً دقيقاً بأوامر الله ونواهيه. (٨)

ويقتصر بحثنا هنا على وصف ظاهرة قلق الحياة في أدب أبي العلاء المعري (مظاهرها وأسبابها) مع العناية بديوان (لزوم ما لا يلزم)، والدراسات التي لامست هذه الظاهرة. وهذا باب متشعب في موارده إذ يشمل المكان والزمان والناس. ويتسع فيه مجال القول، وقد يبدو للوهلة الأولى متناقضاً لما له صلة بأبي العلاء، ذلك الرجل الذي اختلفت بل وتشاكست فيه الآراء.

(٧) إسماعيل، نبيه إبراهيم: من الدراسات النفسية في التراث العربي الإسلامي (القاهرة: إيتراك للنشر والتوزيع، ٢٠٠١) ص ١٤٢.

(٨) الهروي، عبد الله: كتاب منازل السائرين (بغداد: مكتبة الشرق الجديد، ١٩٩٠) ص ٩٢-٩٣.

ولعله يمكننا القول إن قلق الحياة ورفضها هو مذهب أبي العلاء، ولسنا نأتي بهذا الرأي من عندنا، وإنما نستتق آثار الرجل الذي يقول عن نفسه: "إني بالحياة لبرم" (٩) ويرى في الحياة شقاء وظلمة، إذ يقول: " ما البقاء إلا طول شقاء، والحياة ظلمة ليس فيها إياة " (١٠) والبرم: " حالة سأم وضجر وعدم ارتياح لشيء ما؛ إما لبقاء، أو تكرر حالة، أو صحبة معينة " (١١)

ونعرض البحث وفق المخطط الآتي:

أولاً: قلق المرحلة الأولى.

ثانياً: قلق المرحلة الثانية.

ثالثاً: المزاج الفلسفي عند أبي العلاء.

رابعاً: مظاهر القلق (عرض وتحليل).

خامساً: نظرات إجمالية وخاتمة.

أولاً: قلق المرحلة الأولى: القلق (ظاهرة ونزعة) ليست بدعاً عند أبي العلاء المعري (١١)، بل هي ظاهرة عامة نجدها عند غيره على امتداد عصور الأدب، ولكن ثمة مؤثرات شخصية واجتماعية ساعدت في تكوينها لدى أبي العلاء، على نحو ما تستعرضه فقرات البحث الآتية:

(٩) المعري، أبو العلاء: الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ، نشر محمود حسن زناتي (القاهرة: مطبعة حجازي/ أمين هندية ١٩٣٨) ص ٤٤٣.

(١٠) المصدر نفسه (ص ٤٤٣)، إياة (بكسر الهمزة وفتح الياء آخرها الناء المربوطة)، أي ضوء وخسن.

(١١) اسكندر ، نجيب: معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠١) ص ٣٥٦.

(١٢) من المعروف عند دارسي تاريخ الأدب العربي أن المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان التتوخي (المولود بمعرة النعمان على مقربة من مدينة حلب سنة ٣٦٢هـ) الملقب بأبي العلاء المعري- أنه شاعر، ولغوي، وفيلسوف عربي. أصيب في طفولته بالجُدري فذهب بصره، ولكنه ظل يتمتع بصحة عقلية سليمة في حياة امتدت ستة وثمانين عاماً. كان قصير القامة، نحيف الجسم، مشوه الوجه بالجُدري، وأُعد في أواخر أيام حياته، ثم مرض مرض الموت الذي لم يمهله أكثر من ثلاثة أيام، وفاضت روحه إلى بارئها في النصف الأول من ربيع الأول سنة ٤٤٩ هـ. انظر في ترجمته صالح، مصطفى: كشاف مصادر أبي العلاء المعري (دمشق: مطبعة العلم، ١٩٧٨) ص ٦٧، ٦٨-٨٥، وانظر: تعريف القدماء بأبي العلاء، لجنة إحياء تراث أبي العلاء بإشراف طه حسين، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٥.

شغل المعري الناس والنقاد والباحثين بشعره كما شغلهم قبله المتنبّي (ت ٣٥٤هـ-)، ونستطيع أن نحدّد طورين أو مرحلتين في حياته اختلفت فيهما نفسيته وآراؤه. ففي صدر شبابه لم يكن القلق قد استحكّم فيه؛ فجارى الشعراء في الوصف والمدح والثناء والفخر، ويُعدّ ديوان (سقط الزند) باكورة نتاجه الشعري، فقد حاز إعجاب القدامى والمحدثين واستحسانهم، فشوقي ضيف بعد أن أورد آراء القدامى، قال: "إن أبا العلاء الشاعر، إنما نلقاه في السقط". (١٣) فتن بشعر المتنبّي فجاراه في المضمون والشكل على نحو ما نجده بارزاً في (سقط الزند) (١٤)

ألا في سبيلِ المجدِ ما أنا فاعلُ عَفَافٍ وإِفْدَامٍ وحِزْمٍ ونائِلُ
وإني، وإن كنتُ الأخيرَ زمانُةَ لآتٍ بما لم تستطِعْهُ الأوائِلُ
وأغدو، ولو أنَّ الصبَاحَ صَوَّارِمُ وأسْرِي، ولو أنَّ الظلامَ جَحَافِلُ

ولا نعدم أن نلاحظ فيما ضمّه "سقط الزند" قلقاً مشوباً بإرهاصات تنبئاً بما ستؤول إليه نفسيته وتأملاته في الكون والحياة والإنسان، ومن ذلك قوله: (١٥)

أرى العنقاء، تكبر أن تصادا فعانِد من تطيق لهُ عنادا
إذا ما النارُ لم تطعمَ ضراماً فأوشك أن تمّرَ بها رمادا
فظنّ بسائرِ الإخوانِ شِراً ولا تَأْمَن على سرِّ قوادا

و قوله: (١٦) تَجَنَّبُ الأنامُ فلا أواخِي وَرَدْتُ عن العدوِّ فلا أَعادِي،
فأَيُّ الناسِ أَجعلُهُ صديقاً وَأَيُّ الأَرْضِ أَسألكَ ارتياداً؟

وظلّت نفس أبي العلاء المعري طامحة إلى المعالي ظناً أن مواهبه تعوضه عن عجزه فمضى في اندفاعه الشباب، يبهر أهل بلدته بنادر ذكائه وسعة علمه

(١٣) ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه في الشعر العربي (القاهرة: دار المعارف، ط٤، ١٩٦٠)، ص ٣٩٥

(١٤) المعري، أبو العلاء: ديوان سقط الزند، شرح ن. رضا (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٧)، ص ٥٦.

وفي المعجم الوسيط (سقط) بكسر السين. وهو الشرارة تتطاير من قُدح الزندين.

(١٥) المعري، سقط، ص ٦٠.

(١٦) المعري، سقط، ص ٦١. وانظر في السقط، ص ١١١.

ومواتاة شاعريته، وأسرف في أخذ نفسه بالتفتح للدنيا والإقبال على الحياة ، مع
الولع بالعلم والجِد في طلبه^(١٧) . فما هو يطلب أعلى المراتب، حيث يقول:^(١٨)

أريدُ عليّاتِ المراتبِ ضلّةً وخرطُ قتادَ الليلِ دونِ عليّانِ

قلق العمى السرمدي

ولكنّ قلق العمى والعجز المصاحب له ظلا عقبتين على طريق تحقيق ما
تصبو إليه نفسه الطامحة إلى المعالي فاستبدل العصا بالسيف والرمح يتحسس بها
الطريق كيما لا يصطدم بالبشر والحجر ، يقول:^(١٩)

عصاً في يد الأعمى يرومُ بها الهدى أبرُّ له من كلِّ خدِنِ وصاحبِ

وبدلاً من ركوب الخيل واقتحام الوغى صار يحتاج إلى من يأخذ بيده
في كل خطوة يخطوها فناشد الناس أن يأخذوا بيد الكفيف صدقة عن أنفسهم:^(٢٠)

تصدّقْ على الأعمى بأخذِ يمينه لتهدِيه وامننْ بإفهامك الصمّاء

ذلك أنه في الرابعة من عمره أصابه الجدري فسوّه وجهه وذهب بنور
عينيه وأسدل بينه وبين الحياة ستاراً صفيقاً من ليل سرمدي دام بضعة وثمانين
عاماً، وها هو يحدثنا عما جرى له فيما كتب في إحدى رسائله إلى داعي الدعاة
الفاطمي^(٢١) ، حيث يقول: " وقد علم الله أن سمعي ثقيل وبصري عن الإبصار
كليل، وقضي علي وأنا ابن أربع أن لا أفرّق بين البازل والرُّبع، ثم توالى محني
حتى أشبه شخصي العود المنحني، ومُنيت في أخرى العُمُر بالإقعاد وعداني عن

(١٧) عبد الرحمن ، عائشة : جديد في رسالة الغفران (بيروت، الكتاب العربي للنشر ، ط١/١٩٧٢) ، ص٢٣ .

(١٨) أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري: لزوم ما لا يلزم ، شرح نديم عدي (دمشق : دار طلاس
للدراسات والترجمة والنشر ، ط٢، ١٩٨٨) ، ٢/ ١٥٨٧ . خرط قتاد : مثل يضرب للأمر الصعب .
وعليان اسم شخص .

(١٩) المعري ، لزوم ١/١٦٢ .

(٢٠) المعري، لزوم ٣/١٤٢٤ .

(٢١) هو أبو نصير بن عمران - داعي دعاة الإسماعيلية بمصر . وفي هذه الرسائل مخاصمات فقهية
وفلسفية .

النهضة عاد". (٢٢) وقد ألمّ من هذه الآفة ألماً شديداً في نفسه و مازال يشكو مرّاً الشكوى إلى آخر يوم من حياته فهو يقول للدنيا: (٢٣)

وأوقدت لي نارَ الظلام فلم أجد
سناك بطريقي بل سنانك في ضبني
وتعتصرُ القلوب ألماً وشفقة إذ يُظهر مدى حرقة بسبب هذا العجز الدائم
وهذا التأوه الباكي الحزين، إذ يقول: (٢٤)

وما بي طرقٌ للمسير ولا السرى
لأني ضريراً، لا تُضيء لي الطرق
وهذه الآفة قد حبست نفسه الكبيرة الطموح عن أن يكون ما يريد من
المجد والعلواء فما هو يخاطب نفسه هذا الخطاب الحزين: (٢٥)

حبستك أقداراً ذوتك عن المنى
فمضى الصّحابُ وأنتَ ثاوٍ حابسُ
ولا يزال يذكر آفته في كل نتاجه الفكري شاعراً وناثراً، فنقرأ في رسالة
الغفران: " والحوج على ذات عوج ، وهي على سواي سهلة كالأنفاس ولو شاء
الخالق لجعلني مثل الناس ". (٢٦) "وما أصعب الأمر على صاحب النفس الأبية أن
يضطر إلى الاستعانة بغيره فهو يسمي نفسه في هذه الرسالة الأديبية العظيمة
(المستطيع بغيره لا بنفسه) ونقرؤه في قطعة عنيفة جمع فيها كل آلامه التي
سببتها له عاهته الدائمة فقد أضاعت عنه لذائذ الدنيا وأفقدته الشباب الذي لا

(٢٢) القاضي، محمد عبد الحكيم، إتحاف الفضلاء برسائل أبي العلاء (القاهرة: دار الحديث، ط١، ١٩٨٩) ص ٣٨٢. والبازل: البعير في تاسع عمره، والرّبع: الفصيل، وهو ولد الناقة بعد فطامه.

(٢٣) المعري لزوم ١٥٨١/٣. يقاد النار في الليل من عاداتهم لهداية الضيوف، وهو لم يجد ضوء الدنيا بل وجد سنانها في ضبنه، أي جنبه والضبن (بالكسر) ما بين الكشح والإبط.

(٢٤) المعري، لزوم ١٠٩٧/٢.

(٢٥) المعري، لزوم ٨٨٥/٢. ذوتك: أبعدتك. ثاوٍ وحابس: مقيم، أي لا تزال حياً.

(٢٦) عبد الرحمن، عائشة: جديد في رسالة الغفران (بيروت: دار للكتاب العربي، ط١، ١٩٧٢)، ص ٢٥. وانظر رسائل أبي العلاء، ص ٤١٤.

يعوض، وحرمة من الحب الذي هو حق طبيعي من حقوق البشر، وجعلته
وحيداً محروماً من الولد، وإنا لنرهب زفراته المحرقة وهو يقول: (٢٧)

عمى العين يتلوه عمى الدين والهدى
وما سرّتي ربّ الخيال بشخصه
وهون أرزاء الحوادث أنسى
فدعني وأهوالاً أمارس ضنكها
فليلتي القصوى ثلاث ليالٍ
فيطلب مني النوم طيف خيال
وحيداً، أعانيها بغير عيال
وأياك عني لا تقف بحوالي

القلق عنده ظلمات ثلاث يحيط فيهن: عمى البصر، والحيرة في أمور
الدين، وعمى البصيرة. شخص طه حسين مشاعر الأعمى، وما تترك مصيبة
فقدان البصر من حزن عظيم " يتزّم الأعمى في جميع أطوار حياته لا يفارقه
ولا يعدوه.. كلما عرضت له حاجة... [والمكفوف] عاجز عن تحصيل قوته إلا
بمعونتهم، وهو عاجز عن شفاء نفسه من حب العلم والمطالعة إلا بتفضلهم، وهو
عاجز عن الكتابة والتحرير إلا إذا أعانوه وتطولوا عليه.. ثم بعد ذلك قد حرم
لذة التمتع بالمحسوسات كالمبصر؛ فإن تعاطى صناعة الشعر أو الوصف؛ فإن
هذا الحرمان قد استتبع ضعف خياله. وحال بينه وبين مجازاة الشعراء
والواصفين فيما يتنافسون به إلا أن يكون مقلداً أو محتذياً". (٢٨) ويتابع بعد ذلك
فيقول: " .. ثم هو بعد ذلك قاعد إذا نفر الناس لقتال أو حرب وقد ينس وطنه
من نصره، وقنط من حفاظه، فلم يُنط به أملاً، ولم يعقد به رجاء. كلُّ
له نافلة من فضيلة الصبر وشدة الأيد؛ فإذا أضيف إلى هذه الآلام فساد الأخلاق

(٢٧) المعري، لزوم ١٢٩٨/٣. والظلمان: (بكسر الظاء) مفردهما ظليم: ذكر النعام. والريال: مفردهما رال :

فرخ النعام. أمارس: أقاسي.

(٢٨) حسين، طه: تجديد ذكرى أبي العلاء (القاهرة: دار المعارف، ط ٦، ١٩٦٣)، ص ١٢٣ وما بعدها.

وانحطاط النفوس وازدراء المنكوبين وأصحاب الآفات - حتى من الخاصة وأهل العلم - ثم اشتداد الفقر ونضوب موارد العيش؛ أنتجت هذه المصيبة ، أفدح الآلام حتى يتوفاه الموت الذي وُكِّلَ به «(٢٩).

حاول أن يكون - بهمته العظيمة - كغيره من العظماء يطلب المجد فإن كان فاتته مجد السيف، فلم يفته مجد العلم والأدب الذي حاول أن يبدع فيه تعويضاً عما لم يستطعه، فكان له ما كان من مجد أدبي حتى صار من الخالدين في ذاكرة الأدب واللغة ؛ فطوف في البلدان، في مراكز الحضارة في حلب وأنطاكية حيث التقى رهبان الأديرة من النصارى، وقرأ عليهم الفلسفة واللاهوت وناقشهم في قضاياها ومعضلاتها، وارتحل إلى بغداد عاصمة الدنيا والدين وبلد الثقافة والمعرفة بكل أنواعها، فاطَّلع على كل ما كان فيها من علوم وفلسفات وفرق ومذاهب وأديان. ومكَّنته هذه المعارف والعلوم التي حواها صدره وتفاعل معها عقله المفكر وذاكرته الخارقة وصول ويجول بشعره ونثره في ميادين الكون والحياة وقضايا المجتمع، ومسائل الموت والحياة، ومعضلات الحرية والاختيار، والجبر والحساب، والبعث والمعاد، والحشر وتناسخ الأرواح، مترفعاً بشعره عن نفاق المدّاحين، ومبتعداً عن كذب الهجائين، نائياً بشعره عن التكسب والارتزاق المُهين.

ثانياً: قلق المرحلة الثانية

وَصَفَتْ له الحياة حيناً؛ وأقرَّ له البغداديون بأنه أعجوبة الزمان في حفظه وعلمه باللغة، كما شهدوا لشاعريته... ولكن ما لبثوا أن تحولوا عنه، وقلبوا له ظهر المجن، وكان الأمر أن وصل إلى إهانتته علناً في مجلس كان يضم عليّة القوم في بغداد، ففي مجلس الشريف المرتضى حيث كان كبار أهل

(٢٩) حسين، طه، تجديد، ص ١٢٥.

العلم والأدب ورجال الفكر والفلسفة يتداولون سيرة المتنبّي شاعر العربية الأكبر، ويتناولونه بالنقد والتجريح محاباة للشريف المرتضى الذي كان يكره أبا الطيب كرهاً شديداً، لم يرتض أبو العلاء هذا النفاق، فأعلن بينهم رأيه صريحاً يَجِبُهُ أهل الحسد والنفاق، عندما سئل عن رأيه في أبي الطيب، فقال: لو لم تكن له إلا قصيدته التي يقول فيها:

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنتِ وهنّ منك أواهلُ

لكفته فخراً، فأمر الشريف المرتضى بإخراجه من المجلس وطرده بعنف، فسحب بجسمه النحيل الواهن من رجله وألقى على قارعة الطريق. والتفت المرتضى إلى الحضور ، وقال: أتدرون لم اختار الأعمى هذه القصيدة دون غيرها؟ قالوا: ما ندري. قال: إنه يعرض فيها بيته المشهور: (٣٠)

وإذا أتتكَ مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كامل

هذه الحادثة المؤلمة كانت سهماً أصمى قلب أبي العلاء. ووضعت حداً فاصلاً بين مجاهداته لنفسه في التغلب على آفته والتعالي فوق مصيبتة، وأهبطته إلى أرض الواقع، وسلبت منه لحظات الخيال الذي كان يتناسى فيه حقيقته الجسمية، وأفهمته أن حياته - مهما فعل - لن تكون حياة المبصرين.

لقد كان أبو العلاء مدركاً لهذه الحقيقة ، ولكنه أراد التغلب عليها ، فما كان له ذلك فقرر مغادرة بغداد والعودة إلى كسر بيته في المعرة ليملك فيه خمسين سنة [رهين المحبسين]، لا يخرج منه إلا إذا دفعته أمور قاهرة إلى الخروج وعلى قدر الضرورة لا يتجاوزها، يعيش عيش الزاهد المترهب على

(٣٠) الحموي، ياقوت: معجم الأديباء/١١٩٩. ومعنى (أواهل): جمع أهل، أي مسكونة ويشك بعض النقاد في هذه الحادثة، ويرون أن العلاقة كانت مرضية بين الشريف المرتضى وأخيه الشاعر الرضي ويستدلون على ذلك بقصيدة رثاء المعري بعد عودته إلى المعرة يرثي بها أبا أحمد الطاهر الموسوي والد الشريفين.

أقل قدر يبقي الإنسان على قيد الحياة ، متأملاً في أحوال الكون والحياة والموت
والآخرة والبعث والنشور وما إليها من أمور كونية .

لقد هبطت الروح المعنوية للمعري وأُحْبِطَتْ طموحاته ، فأدرك أنه قد حُكِمَ
عليه أن يبقى في سجونته: العمى، والبيت، وروح يقيدها الجسد، إذ يقول: (٣١)

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبئـث
لفقدي ناظري، ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

فهو قد عاش المرحلة الأولى حتى الثلاثين يغالب نفسه ، فيغلبها حيناً
وتغلبه أحياناً حتى كان الانتصار لها وما هو يحدثنا عن ذلك في رسالة
الغفران: " وأن الله خلقني لأمر حاولت سواء فألقيت المبهم بغير انفراج" (٣٢)
ويقول: " هجرت فما أغنى التهجير وأدلجت فما أغنى الإدلاج" . (٣٣)

ويعقب طه حسين على السجن الثالث، فيقول: هو " سجن فلسفي تخيله
كما يتخيل الشعراء، واشتقّه من حقائق الأشياء. كما يفعل الفلاسفة... " هذا
السجن الخيالي الفلسفي هو الجسم الذي أكرهت النفس - كما كان يتصور أبو
العلاء- على أن تستقر فيه لا تتجاوزها ولا تتعدى حدوده إلا حين يقضي عليها
الموت، وهي حينئذ تظفر بحرية لا تعرف كيف تقدرها ولا كيف تستمتع بلذاتها
أثناء هذه الحياة... (٣٤)

(٣١) المعري، لزوم ٣٠٨/١. النبئـث: الظاهر.

(٣٢) المعري: رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرحمن (القاهرة: دار المعارف، طه، ١٩٦٩)، ص ٢٣١.

(٣٣) المرجع السابق، ص ٢٨٥. وانظر رسالته إلى خاله علي بن سبيكة (رسائل أبي العلاء المعري) تحقيق
عبد الكريم خليفة (عمان، منشورات اللجنة الأردنية للتريب والترجمة، ١٩٧٦م) ١/١٧٥.

(٣٤) حسين، طه: مع أبي العلاء في سجنه (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣)، ص ٣٣.

وفي اعتزاله النوعي، ألزم نفسه بالحرمان الطوعي، يقول طه حسين:
"لم يدع لنفسه شهوة إلا أذلها، ولا عاطفة إلا أخضعها لسلطان عقله... اعتدَّ
بنفسه فارتفع بها عما تحتاج إليه الحياة من صراع، وآثرها بالعافية وألزمها
القصد والاعتدال، وضمن بها على الكذب والمين، وعلى البيع والشراء، ولم يرد
أن يتشبه بالملوك والأمراء في ملكهم وإمارتهم، ولا أن يطمح فيما يفيد عندهم
الشعراء والأدباء والعلماء من رخيص اللذات يشترونه بأغلى الأثمان. وإنما أراد
ما هو أرفع من ذلك مكاناً وأبعد من ذلك منالاً وأجل من ذلك خطراً، وأراد أن
يتوحد لأن الله واحد." (٣٥)

وهو نفسه قسم حياته إلى هذين الطورين إذ يقول في الفصول والغايات:
"ما زلت أمل الخير وأرقبه، حتى نضوت كملاً ثلاثين، كأني ذبحت بكل عام
جمالاً أبرق فيه سواد وبياض، بياضه الأيام وسواده الليالي .. هيهات إن الزمن
كثير الشرور؛ فلما تقضت الثلاثون، وأنا كواضع رجله على نار الحياحب،
علمت أن الخير مني غير قريب." (٣٦)

ويذهب الباحث عبد الكريم خليفة، الذي حقق الرسائل "المتوسطة"
لرسائل أبي العلاء- إن محابس أبي العلاء لم تتجاوز الحبس الجسدي فقط. وإن
عزلته لم تكن سوى تأمل ودراسة وبحث وتدريس، وإنه ظل وثيق الصلة بالهم
العام لديار الإسلام في مشرقه ومغربيه، وإن رسائله تشهد بذلك. (٣٧)

(٣٥) طه حسين، مع أبي العلاء في سجنه، ص ٧١.

(٣٦) المعري أبو العلاء: الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ، نشر محمود حسن
زناتي (القاهرة: مطبعة حجازي/أمين هندية، ١٩٣٨) ص ٢٧٩.

(٣٧) خليفة، عبد الكريم: رسائل أبي العلاء المعري (عمان: منشورات اللجنة الأردنية للتعريب
والترجمة، ١٩٧٦) صفحة (ح) من المقدمة.

ثالثاً: المزاج الفلسفي عند أبي العلاء

طلب أبو العلاء المعالي والمكارم في غير اللغة والأدب؛ فما انقادت له، فعكف على استبطان ذاته، وفجر مواهب عبقريته فيما خلف من روائع الشعر والنثر أثناء عزلته واغترابه النفسي، يقول: (٣٨)

و: (٣٩) طلبتُ مكارماً، فأجذتُ لفظاً كأننا خالدانِ على الزمانِ

أولو الفضل، في أوطانهم غرباء تَشُدُّ وتَنأى عنهم القرباءُ
وهذا ما يراه الأستاذ أمين الخولي، حيث يقول: "اتخذ أبو العلاء ذخيرته اللغوية وثقافته الأدبية وسيلةً للتعبير الدقيق عن خواطر نفسية وتأملات فنية وخلجات داخلية كانت تزخر بها نفسه ويجيش بها صدره". (٤٠)

أيقن أبو العلاء أن مكابדתه الحياة لم تنته، ولكنها تحولت إلى منحى آخر؛ فمعركة القلق قد حمي وطيسها، ونار الصراع قد اشتد أوارها، فإذا هو في طوره الثاني يعترف بواقعه الجسمي، وينكر الدنيا ويكرهها كرهاً شديداً لا رجعة عنه، ويحارب الفطرة البشرية حرباً لا هوادة فيها، ويرفض الحياة ويرحب بالموت واجداً فيه الخلاص من عذاباته وآلامه فلم يعد يرى في هذا الوجود إلا كارثة كبرى، ولا في الناس إلا ذئاباً ضارية، ولا في المرأة إلا قبحاً وبلاءً. وصاغ أفكاره هذه أدباً تشاؤمياً قلقاً، وألحاناً حزينةً وموسيقاً مؤثرة.

اللغة واللفظ في فكر أبي العلاء

ويحسن أن نتوقف وقفة مناسبة للحديث عن دور اللغة واللفظ في فكر أبي العلاء، قبل الانتقال إلى الفقرات التالية. وممن عالج هذه المسألة الشيخ

(٣٨) المعري، لزوم ١٦٢١/٣. كأننا: أي أنت أيها الزمان وأنا.

(٣٩) المعري، لزوم ٣١/١.

(٤٠) الخولي، أمين: رأي في أبي العلاء (القاهرة: طبعة جماعة الكتاب، القاهرة ١٩٦٣) ص ١٣٦.

عبدالله العلايلي، وهذا ملخص لما كتب: إنَّ المعري -كما يبدو للعلالي- قد استحيا اللغة، وتلبسها لتعبّر عما يريد، وللمعري لغته الخاصة، وله دلالاته ومفاهيمه، وله نحو وقواعد وبلاغة خاصة أيضاً، وعبثاً نحاول الاهتداء وسط الضبابية اللفظية المحيطة به، ونحن نعتمد على المعجمية اللغوية (فقط). ويرى العلايلي أن روافد تكوين المعري الفكرية، هي:

١. رسائل إخوان الصفا.

٢. ازدهار البحث اللغوي في عصره.

٣. رمزية الباطنية الحرفية.

والرمزية الباطنية الحرفية تسلك مسلك استنطاق الحروف وتعتبر الحرف كائناً حياً، له جسد ودم وروح وعقل. وفي سبيل ذلك استخدمت "حساب الجمل" لاستنطاق الحروف عن موحيات الأوضاع الفلكية، وما تدعوه "بالتكيس" وهو شبيه بالجناس التصحيفي، لاستنطاق الجملة. وقد تبلورت رمزيتها هذه في فنون شتى من الشعوذة، ونحن نجد عناصر هذه الرمزية في الرسائل جليّة واضحة، كما فشت في اللزوميات على نحو يفوت الإحصاء^(٤١).

كان المعري في بدايته يحيا في عالم لغوي من كل أرجائه، فقد بدأ ثقافة لغوية خالصة انقطع إليها، وزاده انقطاعاً إلى عالمه اللغوي الخالص، انطفاء حاسة هي أشد الحواس في الكائن جذباً إلى المادة ذات الألوان.

إن ، فالمعري ليس له ما يصله بالواقع المادي إلا الأضعف تشويقاً وتأثيراً. وإنه ليس له سوى صور الألفاظ كما يفترضها ، وهي تحيا ويحياها فيطمئن ويغتبط، وتشوقه كثيراً فيستلذها ويتذوقها. إنه يحس بكيانه فيها. وهي -

(٤١) العلايلي، عبدالله: المعري ذلك المجهول: (بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨١)

ص ٩٧، ١٥١، ١٦٨.

أي الألفاظ - في حسّه ينبوع يتدفق مثل شلال هادر... دخل بها إلى المجهول الكوني والغيبى، فأدرك واتخذ من أوهام الناس ألعوبة تمدّه بالعبث والنشوة الساخرة وموضوعاً للنكايّة في التعريض قال: (٤٢)

والبرايا لفظُ الزّمان ولا بُدَّ له من تغيّرٍ وانقلاب

أي إن المخلوقات ألفاظ الزمان، وتتغير الألفاظ في الصرف والنحو، وكذلك المخلوقات لا تبقى على حال واحدة.

ولعلّ طه حسين كان أكثر المحدثين تأكيداً على هذه الظاهرة عندما توقف عند الصياغة اللغوية للزوميات. من حيث هي عرض من الأعراض الدالة على الفراغ الذي عاناه أبو العلاء بعد أن سُجن في سجونهِ الثلاثة، فهو يقول: " إن للزوميات ليست نتيجة العمل وإنما هي نتيجة الفراغ، وليست نتيجة الجد والكذب وإنما هي نتيجة العبث واللعب، وإن شئت فقل إنها نتيجة عمل دعا إليه الفراغ ونتيجة جدّ جرّ إليه اللعب. ولأوضح ذلك بعض التوضيح فقد أهدئ من ثورتك وأحوّل إنكارك إلى إقرار واعتراف". (٤٣) وبعد أن انتهى من توضيحه لظاهرة العبثية اللفظية الفلسفية ومبرراتها عند (رهين المحبسين)، قال: "... ثم نظر فوجد أوقات فراغ طويلة لا يطاق احتمالها ولا يمكن الصبر عليها. فما قيمة ما حصل من العلم إذا لم يُعنه على قطع أوقات الفراغ هذه؟! غيره من الناس يلعبُ النرد والشطرنج ويضرب في الأرض، ويلمّ بالمجالس والأندية، ويجد في كسب القوت، ويستمتع بألوان اللذات، (٤٤) وليس هو في شيء من

(٤٢) المعري، لزوم/١، ٢١٠.

(٤٣) طه حسين، أبو العلاء في سجنه، ص ١٠١.

(٤٤) كأنّي بطه حسين يحدثنا عن نفسه، فما أكثر ما بين الكيفيين من تشابه، وقارن بـ (الأيام) ص ٢٧ وما بعدها في حادثة تحريم أبي العلاء الدبس على نفسه طوال الحياة، وتستره عند تناول طعامه حتى على خادمه، وأنه كان يأكل في نفق تحت الأرض.. وأن طه حسين هذا حذوه إلى أن خلصته قرينته الفرنسية (سوزان) من تلك العادة.

هذا. فلم لا يلعب بهذه الألفاظ؟ ولم لا يلعب بهذه المعاني؟ ولم لا يتخذ من الملاءمة بينها على أكثر عدد ممكن من الأوضاع والأشكال والضروب إلى التسلية والتلهية والاستعانة على الفراغ".^(٤٥)

أقول: ليس من تناقض بين العلايلي وطه حسين في هذه المسألة، وإن عاجها كلُّ منهما بأسلوبه المتميز. وينبغي أن لا نغفل أهمية ارتباط فكر أبي العلاء بأسلوبه ورؤيته الفنية لقلق الحياة فالعمل الأدبي كلُّ متكامل تتكاتف فيه الأفكار مع الألفاظ والصور والعاطفة والإحساس في إطارٍ فنيٍّ خاص.

والقارئ لشعر أبي العلاء يستطلع مزاجاً فلسفياً دارت حوله (اللزوميات) حيث نجد فيها وقفات كثيرة تُعنى بالجماعة والمصير الإنساني، من نحو مشكلة الجبر والقدر، والعدل والجور، والرعية والرعاة، والدنيا والإنسان، إلى غير ذلك من قضايا إنسانية، وشؤون كونية.. مما فرض على دارسي (المعري) التوقف عند قضية اتسعت فيها الآراء، ألا وهي: أهو فيلسوف أم شاعر؟

أقول : المعنى اللغوي للفلسفة (حبُّ الحكمة) على الإطلاق، ومجالها) البحث في ما وراء الكون والإنسان والحياة)، وترتبط الفلسفة في آلياتها بالمعرفة. وتُدرَك المعرفة بـ (العقل) على حدِّ تعبير أبي العلاء^(٤٦). ويعرّف علماء التوحيد العقل بأنه: "نقل الواقع عن طريق الحواس إلى الدماغ، مقترناً بمعلومات سابقة تُعين على تفسير هذا الواقع"^(٤٧) ويتم النقل (بالمعقول والمنقول)؛ المعقول أي التجربة والمشاهدة

(٤٥) طه حسين، مع أبي العلاء، ص ١٠٥.

(٤٦) يأتي استخدام ألفاظ الإدراك والتفكير والمعقول في سياق ترادفي في هذا الباب.

(٤٧) عبد الحميد، عرفان: الفلسفة الإسلامية: دراسة ونقد (بغداد دار التربية د.ت)، ١٥-٢٥.

والقياس^(٤٨) والمنقول؛ أي الخبر الصادق المتواتر؛ وهو عند ابن خلدون "يشمل العلوم النقلية الوضعية، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول" وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات".^(٤٩)

ويحدثنا أبو العلاء عن مصادر المعرفة لديه فيقول: " يدرك العلم بثلاثة أشياء: بالقياس الثابت، والعيان المدرك، والخبر المتواتر ".^(٥٠) ولكن (العيان المدرك)؛ أي التجربة والمشاهدة لم يكن لأبي العلاء نصيب مباشر فيها لعامة العمى لديه. وله إزاء (الخبر المتواتر) تحفظ حيث يقول: ^(٥١)

وَالْعَقْلُ يَعْجَبُ، وَالشَّرَائِعُ كُلُّهَا
وَالْعَقْلُ يَعْجَبُ، وَالشَّرَائِعُ كُلُّهَا
خَبْرٌ يَقْلَدُ لَمْ يَقْسَهُ قَائِسُ

فلم يبقَ إلا العقل اتخذهُ إماماً هادياً، يقول مؤكداً: " العقل نبيء، والخاطر خبيء، والنظر ربيء، ونور الله لهذه الثلاثة معين ".^(٥٢) ويقول:^(٥٣)

ولا تَرْجُونَ غَيْرَ الْمُهِمِّنِ رَاجٍ	خذوا في سبيل العقل تُهدوا بهديه
مُمْتَعٌ كُلٌّ مِنْ حِجَابِ سِرَاجٍ	ولا تطفئوا نورَ الملِكِ، فإنه
فاسألنهُ، فكلُّ عقلٍ نبيءٍ	و: ^(٥٤) أيها الغرُّ، إنْ خُصِصْتَ بعقلٍ
واحبسْ لسانَكَ أنْ يَقُولَ مجازاً	و: ^(٥٥) فاسألْ حِجَابَكَ، إذا أردتْ هدايةً

(٤٨) قنبيي، حامد: القياس اللغوي وتنمية الألفاظ (الرباط:مجلة اللسان العربي، مركز تنسيق التعريب،

مجلد ٣٨، ١٩٩٣).

(٤٩) مقدمة ابن خلدون، ص ٧٧٩-٧٨٠ (طبعة دار الكتاب اللبناني).

(٥٠) الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ للمعري، ص ٦٨ .

(٥١) المعري، لزوم ٨٨٧/٢ .

(٥٢) الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ للمعري، ص ٦٨ .

(٥٣) المعري، لزوم ٣٣٦/١ .

(٥٤) لمعري، لزوم ١٧١٦/٣ .

(٥٥) المعري، لزوم ٨٣٩/٢ .

وهو يثق بالعقل ثقة بعيدة ويرى فيه الطريق الصحيح للوصول إلى المعرفة
الحقّة: (٥٦)

إذا تفكرت فكراً، لا يمازجةُ فسادُ عقلٍ صحيحٍ، هان ما صنعاً

ويتابع تأكيده على صحة العقل ووجوب اتباعه، فيقول: (٥٧)

فشاوِرِ العَقْلَ واتركْ غيرَه هدراً فالعقلُ خيرُ مشيرٍ ضمّه النادي

وحتّ الناس على القياس العقلي قائلاً: (٥٨)

وقس بما كان أمراً لم يكن، تره فالرجلُ تعرفُ بعض الموتِ بالخدرِ

ويكاد في كثير من الأحيان ينفي أدوات المعرفة الأخرى التي ذكرناها
قبلاً، وذكرها هو في معرض حديثه عن طرق تحصيل المعرفة، ويعتمد العقل
وحده مصدراً مؤكداً للمعرفة حتى إذا رحل عن الدنيا، يتركها وقد اعتمد في
حياته على عقله لا غيره. (٥٩)

سأتبع من يدعو إلى الخير جاهداً وأرحل عنها ما إمامي سوى عقلي

و: (٦٠) نهائي عقلي عن أمور كثيرة وطبعي إليها بالغريزة جاذبي

ومما أدام الرزء تكذيب صادق على خبرة مناً، وتصديق كاذب

(٥٦) المعري، لزوم ١/١٣١.

(٥٧) المعري، لزوم ١/٥٠٠.

(٥٨) المعري، لزوم ٢/٧٢٠، إذا أردت أن تعرف أمراً لم تشاهده فعليك أن تقيسه بالأمر الذي شهدته فرجل
الإنسان تفهم شيئاً عن الموت لما تعرفه من الخدر.

(٥٩) المعري، لزوم ٢/١٢٨٨، يريد أن العقل هو إمام الإنسان ولا إمام سواه.

(٦٠) المعري، لزوم ١/١٦٢.

وينعى على أولئك الذين يصدقون الخبر النقلي الذي لا يدل عليه عقل صحيح،
فيقول: (٦١)

يرتجى الناس أن يقومَ إمامٌ ناطقٌ في الكتيبةِ الخرساءِ
كذبَ الظنِّ، لا إمامَ سوى العـ قل، مشيراً في صبحه والمساء
فإذا ما أظعتهُ جلب الـ رحمةً عند المسير والإرساءِ

وإتباعه لعقله إماماً دعاه إلى الشطط أحياناً، وحمله على التشكك، وأوقعه في
التناقض؛ يقول: (٦٢)

هفتِ الحنيفةُ والنصارى ما اهتدت ويهود حارت والمجوسُ مضلّله
اثنانِ أهلِ الأرض: ذو عقل بلا دين، وآخر دينٍ لاعقل له

وحمله الاستسلام إلى منطق العقل المجرد إلى التشكيك في الكتب السماوية، وفي
ما جاء فيها من أخبار الأولين، يقول: (٦٣)

أفيقوا أفيقوا يا غواة، فأنمأ دياناتكم مكرّ من القدماءِ
أرادوا بها جمع الحطام، فأدركوا وبادوا، وماتت سنة اللؤماءِ

وبعد هذه الجولة وما فيها من شواهد يتضح لنا أن العقل عنده كان
قاصراً، وذلك لأنه لم يسلم بالمنقول، وإنما اعتمد على المنطق في إقامة
البرهان، وأنه أعطى العقل حرية البحث في كل شيء، فيما يحس وما لا يحس،
ثم جعله أساس البحث في الإيمان، فترتب على ذلك وقوعه في التناقض.

(٦١) المعري، لزوم ٦١/١. الإمام الناطق: هو المهدي الذي يحارب أهل الجور عند بعضهم، والكتيبة الخرساء:

لا يسمع لها صوت من وقار جنودها. وهو هنا ينفي ظهور المهدي ويرى أن العقل هو الإمام.

(٦٢) المعري، لزوم ١٢٦٩/٣.

(٦٣) المعري، لزوم ٦٠/١. الغواة: الضالون، مكر: خديعة، الحطام: مناع الدنيا.

يقول شوقي ضيف: " لم يستطع أبو العلاء أن يخرج من تفكيره إلى إحداث نظرية معينة أو منهج معين يمكن أن نسميه (المنهج الفلسفي لأبي العلاء) ... وكان من حسن حظ أبي العلاء أن غالى كثير من المعاصرين الذين عنوا ببحثه فأثبتوه فيلسوفاً لما رأوا عنده من تشاؤم وحيرة فيما وراء الطبيعة... وهل للعقل أن يحكم في قضايا ما وراء الطبيعة كما يحكم في قضايا الطبيعة؟.. وجملة القول إن أبا العلاء كان يفكر تفكيراً أدبياً يقوم على تشاؤم وسخط، وهو يعرض هذا التفكير في آراء متفرقة وأفكار مفككة، لا يطرد لها نظام ولا سياق فكري متماسك".^(٦٤) وفي معرض آخر يتساءل: " ما هو الكتاب الذي ألفه أبو العلاء بالقياس إلى مؤلفات الفلاسفة الإسلاميين؟ إنه لم يُعرف عنه أنه كان ملخصاً للفلسفة اليونانية على نحو ما صنع الفارابي وغيره من جماعة الفلاسفة المسلمين، وهو أيضاً لم يعرف عنه أنه نَمَى مذهباً من مذاهب الفلسفة اليونانية، ولهذا كان من الخطأ أن يجعل بعض النقاد أبا العلاء فيلسوفاً بالمعنى اليوناني لهذه الكلمة، وهو لم يلخص الفلسفة اليونانية فضلاً عن أن يكون من المنميين لها ولا كان من المتعلقين بمذهب من مذاهبها. " ^(٦٥) وإلى هذا الرأي يميل الأستاذ أمين الخولي في معرض تعليل زهد أبي العلاء؛ فإنه يرى أن الزهد ليس مذهباً عند أبي العلاء ولا اتجاهاً صادراً عن فلسفة معينة لديه، وأن أبا العلاء لم يكن زاهداً، بل محروماً مترفعاً.^(٦٦)

وعلى الجانب الآخر يرى طه حسين أن اللزوميات فن جديد في الشعر العربي، وأن أبا العلاء " أحدث فناً في الشعر لم يعرفه الناس من قبل، وهو الشعر الفلسفي. " ^(٦٧)

(٦٤) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، ص ٣٩٤.

(٦٥) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، ص ٢٨٨.

(٦٦) الخولي، أمين، رأي في .. ص ١٦٠-١٦١.

(٦٧) تجديد ذكرى أبي العلاء، ص ٢١٠ و ٢١١. وهناك من تابع د. طه حسين في رأيه، ينظر (أبو العلاء في اللزوميات) يوحنا قمير، ص ١٠. و(أبو العلاء المعري ناقداً) وليد محمود خالص، ص ١٢٩ و(في الشعر العباسي: نحو منهج جديد) يوسف خليف، ص ١٦٤.

والحق إن من يدرس نتاج أبي العلاء نثراً وشعراً يجد أنه في آرائه ومعتقداته مُطَّلَعٌ على الفلسفات بكلِّ أشكالها : اليونانية والهندية والفارسية ، ولكنه لم يتبنَ فلسفة واحدة بذاتها، وإن ظهر تأثره بجزئيات انتقائية من هنا وهناك منها. كما أنه مُطَّلَعٌ على ما كان عند الفلاسفة المسلمين ، وهو رجل واسع التعمق بالأديان والمذاهب والفرق الدينية التي امتلأ بها عصره ، فقرأ وناقش وأدلى برأيه وبسط رؤيته في كلِّ نتاجه، وخاصة في الطور الثاني من حياته، طور اللزوميات، والتي ألزم نفسه فيها أن تكون القافية على حرفين لا على حرف واحد.^(٦٨) ومن ثمَّ فهو شاعر لامس الفلسفة في خواطره ، وإن أفكاره ونتاجه الشعري نتاج تأمل فلسفي، يتناول القضايا الكونية والإنسانية وإلى هذا الرأي أميل.

يقول يوحنا قمير: " اللزوميات..هي بعدُ فنٌ جديدٌ في الفكر العربي، فنُّ الشعر الفلسفي... هي صدى حالات نفسية انتابت صاحبها، فكوتت فلسفة اصطبغت بالشعر، وكثرت فيها المراجعات..إنها قبل كلِّ شيء صدى روح فكّرت كثيراً، وشعرت كثيراً، وشقيت كثيراً." ^(٦٩) ولعله من الشعراء القلائل في أدبنا العربي الذي يكاد ديوانه على ضخامته يخلو من نفاق المديح وسخف الهجاء وبذاءة الشتائم . وربما ارتفع أبو العلاء بالأدب العربي إلى مصاف الآداب العالمية ، فما من دارسٍ للكوميديا الإلهية لدانتني (ت ١٣٢١م)،^(٧٠)

(٦٨) مقدمة اللزوميات للمعري.

(٦٩) قمير، يوحنا: أبو العلاء المعري في لزومياته (بيروت: دار المشرق، ١٩٦٨)، ص ١٠.

(٧٠) إيلاري دانتني (١٢٦٥-١٣٢١م): أعظم شعراء إيطاليا ومن رجالات الأدب العالمي. خلد اسمه ملحتمته الشعرية "الكوميديا الإلهية".

إلا وربط بينها وبين رسالة الغفران،^(٧١) وما من باحث قرأ فلسفة آرثر شوبنهاور^(٧٢) وسورن كيركجور^(٧٣) التشاؤمية إلا وسأل نفسه، عن مدى التشابه بينهم، ويتوقف طه حسين عند هذه المسألة، فيقول:^(٧٤) " أبو العلاء فذَّ يُعَدُّ من هذه القلة الضئيلة التي يمتاز بها الأدب العالمي الرفيع على اختلاف العصور.. فإذا فخر الأدب اليوناني القديم بأبيقور^(٧٥) وإذا فخر الأدب اللاتيني القديم بلوكريس^(٧٦) وإذا فخرت الحضارة الأوروبية الحديثة بأديائها وفلاسفتها المتشائمين، فمن حق الأدب العربي أن يفخر بأبي العلاء، فليس أبو العلاء أقل من أحد من هؤلاء الممتازين خطراً ولا أهون منهم شأنًا، ولعله أن يمتاز منهم بفنون من الأدب والعلم لم يظفروا بها ولم يشاركوا فيها. فقد كان أبو العلاء فيلسوفاً عميق الفسفة، صادق النظر في أمور الحياة والأحياء. وكان أبو العلاء شاعراً، رفيع الشعر." ويرى عبد الله العلايلي أن أبا العلاء كان يقصد قصداً^(٧٧)

(٧١) فضل،صلاح: تأثير الثقافة الاسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي (القاهرة:مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٥)، ص٩٤-٩٧.

(٧٢) آرثر شوبنهاور(١٧٨٨-١٨٦٠) فيلسوف ألماني، صاحب مذهب التشاؤم وتعليله وجود التناقض بين عالم الإرادة وعالم العقل.

(٧٣) سورن كيركجور(١٨١٣-١٨٧٥) فيلسوف ولاهوتي دانماركي متشائم الصبغة. ألف "كتاب الغصة" علل فيه الوجود.

(٧٤) حسين ، طه: صوت أبي العلاء(القاهرة: دار المعارف، اقرأ ٢٣/١٩٤٤)، ص٦-٧.

(٧٥) ابيقور(٣٤١-٢٧٠ ق م) فيلسوف يوناني، فلسفته عملية بها ينال محفل الحكماء السعادة بفضل الملذات ولا سيما العقلية والروحية كالصداقة. نفى وجود العناية الإلهية.

(٧٦) لوكريس (٩٨-٥٥ ق م) شاعر لاتيني. ألف ملحمة علمية "في الطبيعة" عرض فيها لمذهب ابيقور بلهجة غزلية.

(٧٧) العلايلي، عبد الله : المعري ذلك المجهول (بيروت:الأهلية للنشر ، ١٩٨١)، ص ١٠٣.

بث الريب والشكوك.. يغري بها الأحياء بالتساؤل والنظر بشيءٍ آخر، بالهرب من أنفسهم [بالاغتراب]^(٧٨) على ما اجتمع فيها من قبايات ورواسب سابقة من آراء لرغبات".

وقد نعثر في أدبه على آراء جريئة قلقة سبقت عصره من نحو الرفق بالحيوان، وحوار الأديان ، والعصيان المدني، والاغتراب النفسي. ويذهب زكي المحاسني لاعتباره ناقداً إصلاحياً لأنه: " بصّر الناس بحقوقهم الهضيمة، ووقف للأمرء والحكام بمرصاد النقد. وكان في دهر العربية سباقاً إلى فتح عين الأمة وتبصيرها بحقوقها. وقال قبل (جماعة حقوق الإنسان) "في الزمن القريب الأمرء للأمة أجراء". فكان نقده ضرباً من ضروب الثورات الفكرية التي تتقدم السلاح والدماء".^(٧٩)

واستكمالاً لهذا الموقف من البحث؛ فإن شوقي ضيف عاد لتقبل أبي العلاء فيلسوفاً من باب التجوز وإن غلبت عليه صفة المفكر الحر والأديب المتشائم الساخط حيث يقول: " الحق أن أبا العلاء ليس فيلسوفاً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة إلا إذا توسعنا في معناها وجعلنا كل شخص يفكر تفكيراً حراً فيلسوفاً أي محباً للحكمة، آخذاً بقوانين العقل غير متقيد بعرف الناس ولا بما يعتقدون من آراء وأفكار. إذن يكون أبو العلاء فيلسوفاً " .^(٨٠) وأراني أميل الى الأخذ بهذا الرأي على نحو ما أوضح آتياً :

(٧٨) الاغتراب Alienation حالة نفسية اجتماعية تسيطر على الفرد ، فتجعله غريباً عن واقعة الاجتماعي، وينطوي مصطلح الاغتراب على مفاهيم متعددة، تعدد الفلاسفة الذين استخدموه.

(٧٩) المحاسني، زكي: أبو العلاء ناقد المجتمع (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٤٧)، ص ٥٦.

(٨٠) ضيف، الفن ومذاهبه، ص ٣٩٠.

إنّ قضية (قلق الحياة) فرضت علينا تحديد انتماء أبي العلاء، وطرحت التساؤلات الآتية، فضلاً عن السؤال الأساس في مستهل منعطف البحث، وهو [هل أبو العلاء شاعر أو فيلسوف؟!]. ثم:

هل من الأنسب وضعه ضمن كوكبة الشعراء والأدباء: المتبني، وأبي تمام، وأبي العتاهية، وأبي حيان التوحيدي؟! أو هل نضمّه إلى نادي الفلاسفة رفيقاً للفارابي، وابن سينا، وابن رشد؟!.

أو هل هو في منزلة بين المنزلتين؟!، فنطلق عليه لقب (الشاعر الفلسفي)^(٨١) ومنذ أن أطلق على نفسه (رهين المحبسين) جعل أبو العلاء المعري حياته وعطاءه موقفاً وقضية واتخذ شعاراً: (العصيان المدني القلق)،^(٨٢) وتجلت مواقف من الحياة والكون والإنسان ناقداً عابساً قلقاً، وكان صوت أبي العلاء المكتمل النبرات والنغمات.. نشيد الوجود والحيرة والنغمة والعدم أطلقه وهو أنضج ما يكون تجربة.. وأعمق ما أوغل حساً وتأملاً^(٨٣). وصرخ في

(٨١) اصطاحتُ مع طلابي وأنا أدرس لهم (المعري) أن ننحت من (شاعر+فلسفي) كلمة (ش غ ف ل ي) = شعقلي. أو (ش غ ف س ي) = شعقي، زنة:عَبْشَمِي + تَيْلَمِي انظر مبحث (النحت والاختصار) في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني للباحث حامد صادق قنبي، عدد ٤٣ سنة ١٩٩٤ ص ١٩٩-٢٥٦.

(٨٢) العصيان المدني(نقلاً عن الموسوعة العربية العالمية، إعداد هيئة متخصصة، الرياض، ١٤١٦هـ، مادة (عصيان، ٢٠/٢٨٩): رفض علني عن عمد.. وهو(عند جماعة) مسألة اعتقاد فردي ديني أو أخلاقي، وهم يرفضون إطاعة القوانين التي يعتقدون أنها تنهك مبادئهم الشخصية.. ومعظم أشكال العصيان المدني لا تتم باستخدام العنف، وهي تختلف عن الشغب والإخلال بالأمن. ومن أمثلة العصيان المدني في التاريخ المعاصر حركة المهاتما غاندي زعيم الهند، حيث قاد شعبه سلمياً بالإضرابات ومسيرات الاحتجاج والمعارضة لتحرير أنفسهم من الحكم البريطاني حتى نالوا الاستقلال عام ١٩٤٧م.

(٨٣) شلق، علي: أبو العلاء والضبابية المشرفة(بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨١)، ص ٢٨.

وجوه البشر: (بني آدم بئس المعاشر أنتم...) (٨٤) واستتهض الناس أن (أفيقوا. أفيقوا ياغواة...) (٨٥)

في اعتزاله النوعي ، وحرمانه الطوعي أمه الغواة...، ولم يتجنبوه طلباً
لننّ ملتزم بما لا يلزم، وطالما عاب على أدعياء الأدب كذبيهم، إذ يقول:

(وما أدب الأقبام، في كل بلدة إلى المين، إلا معشر أدباء) (٨٦)

وكانت لأبي العلاء في مجال الفكر والفلسفة جولة، فقدّم العقل القاصر
على النقل المتواتر، أي قدم المعقول على المنقول. وجعل العقل إماماً هادياً لا
إمام سواه.. فاحتار، وشكّ، وتشاعم، وتردد، ويئس، وبئس، وحاول فك لغز
الحياة فعجز. والتزم الحرمان الطوعي في المأكل والتناسل والزواج ، وعمم
يأسه من الوجود، ورأى الفناء خلاصاً من الآثام (٨٧).

وصاحبنا لم يدرس قضايا الكون والإنسان والحياة دراسة عقلية تركز
على مفاهيم عقلية تركز على مفاهيم علمية ثابتة مستقرة، ولم يُعنَ في تفسير
المعرفة تفسيراً عقلياً وتحليلها تحليلاً منطقياً والبرهنة عليها، فهو لم يصنف كتاباً
بأسلوب تقريرى لحلّ مشاكل الإنسان متناسق الترتيب شمولي المنهج، على
الرغم من أنه عالج بعض المظاهر بحيرة وتردد... فقصر عن اللحاق بركب
الفلاسفة.

(٨٤) والبيت بتمامه في اللزوميات: ١٥٩/١: (بني آدم بئس المعاشر أنتم وما فيكم واف لمقت ولا حُب)

(٨٥) والبيت بتمامه في اللزوميات: ٦٠/١: (أفيقوا. أفيقوا ياغواة فإنما ديانكم مكر من القدماء)

(٨٦) المعري، لزوم ٣٢/١. أدب: دعا، المين: الكذب.

(٨٧) يقول ١٢٤٢/٣ : (قد كثر الشر على ظهرها

لعلها من درن تغسل)
(الأرض للطوفان مشتاقاً

ولكن يشفع لأبي العلاء تقصيره في هذا الجانب أنه شاعر أفرغ آراءه الفلسفية في تعبير شعري. والتعبير الشعري يركز أصلاً على العاطفة الجياشة، والخيال الطليق، قبل العقل المستتير. ومن طبيعة الشعر أنه يرفض الدقة تفادياً للجفاف، ويتعد عن التسلسل حرصاً على الانطلاق. ومن هنا كان لأبي العلاء العذر في ترده وحيرته.. ذلك أنه عاش أزمات نفسية وروحية صعبة ومتوالية بسبب عاهات العمى السرمدي، والوجه المجذور، والجسد النحيف، والواقع الاجتماعي والسياسي المحبط.

ولم يكن أمام هذا البانس غير الشعرية العربية، ورمزية الباطنية الحرفية التي التبست بالشعوذة في عصره ليعبر بواسطتها عن آرائه الفلسفية الضبابية وكان حقاً شاعراً هائماً على دوح الشاعرية الميَّادة؛ يفكر تفكيراً أدبياً حراً كما يرى (شوقي ضيف) ، فاستحق أن ينزل بين المنزلتين، ويسمى الشاعر الفيلسوف.. وتفلت منه أبيات خالديات، ما زال لها رجع الصدى في أفق الإنسانية وعبقرية مجاز اللغة العربية ، ومنها :

لما أحببت في الخلد انفرادا	ولو أني حبيبت الخلد فرداً	
سحاب ليس تنتظم البلادا	فلا هطلت علي ولا بأرضي	
ت على فرع غصنها المياد	أبكت تلك الحمامة أم غداً	و:
سباً فأين القبور من عهد عاد؟	صاح هذي قبورنا تملأ الرحد	
أرض إلا من هذه الأجساد	خفف الوطاء ما أظن أديم الـ	
أمة يحسبونهم للنفاد	خلق الناس للبقاء فضلت	و:
ل إلى دار شقوة أو رشاد	إنما ينقلون من دار أعمـا	
وحق لسكان البسيطة أن يبكوا	ضحكنا وكان الضحك مناسفاه	و:
زجاج ولكن لا يعادله سبك	يخطمنا ريب الزمان كأننا	
ج عليها قلائد من جمان	ليلتي هذه عروس من الزنـ	و:

رابعاً: مظاهر القلق (عرض وتحليل)

تتأثرت في أدب أبي العلاء رؤى من مباحث علم الكلام والفلسفات اليونانية والفارسية والهندوسية واللاهوتية والدهرية شملت المادة والزمان والمكان وتناهي الأبعاد والرياضيات العقلية والإلهيات ، ووحداية الله، ومسائل القدر من الجبر والاختيار، وقضايا الغيب من الموت وما بعد الموت من متعلقاته في البرزخ وخلود الروح ، والجن والملائكة والنبوات وتناسخ الأرواح وسواها من معضلات الوجود التي يجيب عنها الفلاسفة في فلسفتهم والأنبياء والرسل في دياناتهم.

وكانت هذه الموضوعات مدار بحث ودراسات عديدة عند المحدثين أغرت بعضهم بالنظر إلى أبي العلاء كصاحب فلسفة لا يعيبه أن يقارن بغيره من الفلاسفة.

ولكن بحثنا وهو يحاول أن يتلقى الضوء على مظاهر قلق الحياة عند أبي العلاء لا يُغفل الإشارة إلى ما هو آت:

١. إن آراء أبي العلاء في الحياة والإنسان هي رؤى وأخيلة شاعرٍ تعبّر عن وجدانه، وحالات نفسيته المتغيرة القلقة، والتي قد تبدو في أحيان كثيرة متناقضة، أو على الأقل حائرة بين اليقين والشك.

٢. إن قلق الحياة عند أبي العلاء وآراءه في الزمان والمكان والأحياء لوحات فنية مترابطة كوّنت التجربة الشعرية بأجزائها، وهي صور اختزلت أو أبرزت أو طمست أو حولت مواقف أبي العلاء كما يبدو قلقاً في زهده ومأكله وملبسه ومسكنه وتقسفه، وفي كل جوانب حياته، وهي وثيقة الصلة بموقفه من المرأة والنسل والشك في قيمة الحياة.

٣. إنه من التعسف في مجال الدراسات الأدبية واللغوية أن يستخلص الباحث من شعر أبي العلاء وأدبه وثائق فلسفية وفكرية تؤسس لقواعد كليةً لنهج مستتير في الحياة، وتتخذ حكمةً ونبراساً للهداية والافتداء.

ومن هنا سيكون عرضنا لمشاهد قلق الحياة عند أبي العلاء شمولياً تتجاوز فيه الصور وتتداخل في سياقاتها لما علّناه من دواعي الترابط والومضات الارتجاعية^(٨٨) والتداخل بين محاوره الفكرية من جهة، وصور إبداعاتها اللغوية والفنية عند أبي العلاء من جهة أخرى.

لقد أنفق أبو العلاء حياته في تلقي الآلام والمصائب فكلما حاول الخروج من مصيبة والتغلب عليها وقع في مصيبة أفدح منها حتى انتهت المعركة بيأس أبي العلاء - الشاعر الفلسفي - من قدرته على العيش كالمبصرين مقبلاً على الحياة وشهواتها ومتاعها كما كان يطمح في صباحه ، فألقى سلاحه، وانصرفت نفسه عن الحياة فكرها مكاناً وزماناً وأناسي ظاهراً وباطناً.

لقد سبق أن أوضحنا في مقدمة البحث أن القلق حالة انفعالية تتميز بالخوف مما قد يحدث، وأن منه القلق المحمود السوي عندما يأتي استجابة لمواقف محددة كالقلق عند انتظار حدث لموعد أو زمان أو مناسبة في حياة الإنسان العاطفية والروحية والمعاشية، من نحو انتظار غائب ، أو قلق انحباس المطر مثلاً. وقد يرتقي هذا النوع إلى قلق الانشغال بالهمم العام للأفراد والجماعات على نحو ما سبق بيانه في موضعه .

ولكننا في منعطف هذا البحث نرى أن القلق عند أبي العلاء هو من النوع الثاني، أي القلق المرضي السوداوي.

(٨٨) الومضة الارتجاعية (Flash back) : قطع التسلسل التاريخي في أثر أدبي أو مسرحي بإيراد أحداث أو مشاهد وقعت في زمن سابق، ويُسمى أيضاً الارتداد. (الموسوعة العربية العالمية).

نظر أبو العلاء إلى الحياة والأحياء نظرة تشاؤم وحيرة وشك...
واتّصف قلقه الدائم بالتوتر الشديد والسخط والشكوى المرّة والتناقض. وألزم
نفسه المتعالية على جراحاتها بالانعزال النوعي، والحرمان الطوعي واليأس
المطبق، وكلّها استجابات مفرطة لا مُسوِّغ لها من الناحية الموضوعية، ولا
تتوافق مع الفطرة البشرية، ولا مع عُرْف سواد الناس في بلدته، ولا بما يعتقون
من آراء وأفكار.

ولقد سبق لنا الزعم أنّ قلق الحياة ورفضها هو مذهب أبي العلاء، وإن
كان صادقاً فيما وصف نفسه، إذ يقول: " إني بالحياة لَبْرِمٌ "، " وما البقاء إلاّ
طول شقاء، والحياة ظلمة ليس فيها إِيّاةٌ".^(٨٩) ويكرر هذا المعنى في صور
عديدة، وعلى سبيل المثال؛ فإنّ البقاء في الحياة مصيبة:^(٩٠)

بقائي في الدنيا، عليّ، رزيّةٌ وهل أنا إلا غابرٌ مثل ذاهب؟

واعتبر أن من يدعو له بطول العمر لا يدعو له بخير وإنما يدعو عليه بشرٌ:^(٩١)

دعا لي، بالحياة أخو وداٍ رويدك، إنّما تدعو عليّاً

وأولئك الذين يحبون الدنيا ويركنون إليها ويأمنون غوائلها إنّما هم مغرورون
مشغولون بما يضرهم ولا يفيدهم في شيء، يقول:^(٩٢)

وحبّ الأنفسِ الدنيا غرورٌ أقام الناسَ في هرجٍ ومرجٍ

وحب الدنيا والتمسك بأهدابها هو جهل كبير ينبغي تركه ، يقول:

(٨٩) المعري، الفصول، ص ٤٤٣. إِيّاة (بكسر الهمزة وفتح الياء آخرها التاء المربوطة)، أي: ضوءٌ وحسن.

(٩٠) أي إن بقائي على قيد الحياة نكبة، وما أنا في الدنيا إلاّ حيّ كالميت. الغابر: الباقي.

(٩١) المعري، لزوم ١٧٢١/٣.

(٩٢) المعري، لزوم ٣٤٠/١.

وحبك هذي الدار أس إمامة لجهلك، والبادي على باطن ستر^(٩٣)

وما مَحَبَّهَا إِلَّا رَجُلٌ صَغَارٍ وَذَلَّةٍ، أَسِيرٌ لِهَذِهِ الْحَيَاةِ الْكَاذِبَةِ، وَيَقُولُ: (٩٤)
وَمَنْ هَوِيَ الدُّنْيَا الْكَذُوبَ، فَإِنَّهُ رَهِينٌ بِثَوْبِي ذَلَّةٍ وَصَغَارٍ

وتفنن في إضفاء معاني التنفير من المعيشة والبقاء على قيد الحياة، فالعيش عنده مرض والموت هو الدواء الشافي من هذا المرض الوبيل على حد رأيه: (٩٥)
وَمَا الْعِيشُ إِلَّا عِلَّةٌ بَرُوءَهَا الرَّدَى فَخَلَّ سَبِيلِي أَنْصَرَفَ لَطِيَّاتِي

والحياة حرب ضروس ضد الإنسان لا يضع حداً لأهوالها إلا الموت، ويقول: (٩٦)
وَالْعِيشُ حَرْبٌ لَمْ يَضَعْ أَوْزَارَهَا إِلَّا الْحِمَامُ، وَكَلَّمْنَا أَوْزَارُ

وهو ذاته مضطر إلى العيش في هذه الدنيا ولذلك يعتبر نفسه أسيراً يتمنى أن يطلق سراحه ويفك قيده بالموت، يقول: (٩٧)
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّنِي عَانٍ بِهَا أَرْجُو الْمَنِيَّةَ أَنْ تَفْكَ إِسَارِي

ويتجلى قلق الحياة عند أبي العلاء في نم الدنيا؛ فيصف شرورها وآفاتها؛ فإذا هي عروس خادعة، ووعودها باطلة، يقول: (٩٨)

لِحَاكَ اللَّهُ يَا دُنْيَا، خَلُوبِيًّا
وَجَدْنَاكَ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَنَايَا
فَأَنْتِ الْغَادَةُ الْبَكْرُ الْعَجُوزُ
وَقَدْ طَالَ الْمَدَى فَمَتِي نَجُوزُ؟
فَإِنَّ مَرُوءَةَ الْوَعْدِ النَّجُوزُ
سَمْنَا مِنْ أَدَاكَ، فَنَجْرِينَا

(٩٣) المعري، لزوم ٥٤٩ / ٢ والمعنى: حبك الدنيا ابتداء سلطان الجهل عليك.

(٩٤) المعري، لزوم ٧١٨ / ٢.

(٩٥) المعري، لزوم ٢٧٣ / ١. والطية بالثقل والتخفيف: الحاجة والوטר.

(٩٦) المعري، لزوم ٦٢٢ / ٢. وضعت أوزارها: انتهت.

(٩٧) المعري، لزوم ٧٨٥ / ٢.

(٩٨) المعري، لزوم ٨٣٥ / ٢.

لكنه، على اعترافه بفساد الدنيا وخداعها، لا يخلي الإنسان من اللوم في الاستسلام لها، بل يعدّ ذلك منه بلاهة وحمقاً، يقول: (٩٩)

نقمت على الدنيا ولا ذنب أسأفت
وهبها فتاة، هل عليها جناية
إليك، فأنت الظالم المتكذب
بمن هو صَبٌّ في هواها معذب
ويمثّل على ذلك بقوله: (١٠٠)

لا ذنب للدنيا، فكيف نلومها
عنبٌ وخمرٌ في الإثناء وشاربٌ،
واللوم يلحقني وأهل نحاسي
فمن الملوّم، أعاصِرٌ أم حاسي؟

ورأى أن حياته قد طالت كثيراً، وأنه يرغب التعجيل للوصول إلى الآخرة، والحياة شاقة صعبة مشقة الصوم وصعوبته، فهي عنده صوم دائم. وكما يعقّب العيد الصيام، ويكون فرحة وسروراً، فكذلك عنده يكون موته يوم فرحة وعيد: (١٠١)

صمتُ حياتي إلى مماتي
و: (١٠٢) أنا صائم طول الحياة وإنما
لعلّ يوم الحِمَامِ عيدٌ
فطري الحِمَامِ ويومُ ذاك أُعيدُ

وكم تمنى في الحياة حال الجماد الذي لا يحسُّ ولا يشتهي ليتخلص من مشاعر القهر، وضغط العمى وألم النفس، فحسد الحجر أو لنقل غبط الحجر على كونه حجراً: (١٠٣)

عزّ الذي أعفى الجماد فما ترى
متغرياً في صيفه وشتائه
حجراً يغصُّ بمأكلي أو يشرق
ما ريع قطّ لملبسٍ يتخرق

(٩٩) المعري، لزوم ٨٧/٢.

(١٠٠) المعري، لزوم ٩٣٠/٢. النحاس: الأصل. الحاسي: الشارب.

(١٠١) المعري، لزوم ٤٣٧/١.

(١٠٢) المعري، لزوم، ٤٤٥/١.

(١٠٣) المعري، لزوم ١١١٢/٢. أعفى الجماد: أي من الأكل والشرب. المجزع: الجزع وعدم

الصبر. المُنطس (بكسر الميم يتبعها لام ساكنة وطاء مفتوحة) آلة نحت الحجارة. الأجدل: الصقر.

زُرُق: الباشق..

متجلداً أو خلتة متبليداً لا نَمَع فيه بفادح يتـررقق
لا حسَّ يؤلمه فيظهر مجزعاً إن راح يضرب ملطس أو مطرق
لم يغد غدوة طائر متكسب وافاه يلقط أجـدل أو زرق
ومنه: (١٠٤) أما الجماد، فإني بت أغبطه إذ ليس يعلم إما آد أو مُحقا
لا يشعر العود بالنار التي أخذت فيه، ولا الأصهب الداري إذا سحقا

ولشدة ما كره أبو العلاء حياته في ظلامها. فقد فكر بالتخلص منها بالانتحار، وكما فكر عميد الأدب العربي بالأمر ذاته،^(١٠٥) ولكن الخوف من أن يلقي المعري خالقه وقد أجرم بحق نفسه قد منعه من الإقدام على هذا العمل المتهور. يقول عن هذا الأمر: "لو أمنت التبعة لجاز أن أمسك عن الطعام والشراب، حتى أخلص من ضنك الحياة، ولكن أرهب غوائل السبيل".^(١٠٦)

وذكر مثل هذا في رسالة الغفران^(١٠٧) فقال: "كدت ألحق برهط العدم، من غير الأسف ولا الندم، ولكنما أرهب قذومي على الجبار، ولم أصلح نخلي بإبار". ويذكر بعد ذلك رأي بعض الحكماء في مخالفة هذا: "وحكمة الله في حجز الرجل عن الموت لئلا يرغب كل من احتدم غضبه في الموت".^(١٠٨)

فإذا كان هذا رأي أبي العلاء في حياته فماذا سيكون رأيه في الدنيا التي هي حياة الناس كلهم على الأرض؟ من الطبيعي أن لا يكون رأيه في دنيا الناس

(١٠٤) المعري، لزوم، ١١٢٦/٢. آد: قوي. الأصهب الأشقر وأراد المسك. الداري: المنسوب إلى دارين، وهي

مرفاً على شاطئ الخليج العربي، وهي قرب تاروت والجبيل.

(١٠٥) انظر: كتاب الأيام، طه حسين، ص ٩٤.

(١٠٦) الفصول والغايات ص ٣٦٠.

(١٠٧) رسالة الغفران ص ١٢٤.

(١٠٨) الغفران ص ١٢٥.

بأحسن مما كان رأيه في دنياه الخاصة، وما هي عنده إلا مثال اللؤم والخسة
والدناءة، وهي التي أشربت بنيتها من البشر من سوء خصالها الشيء الكثير
فكانوا كأهم سوءاً وظلماً وشروراً لا نهاية لها، فلا غرو أن يكون أبو العلاء
من أكثر شعراء العربية ذماً للدنيا على كثرة من ذمّوها، يقول: (١٠٩)

خَسْتِ، يَا أَمْنَا الدُّنْيَا، فَأَفُّ لَنَا بِنِي الخَسِيْسَةِ أُوْبَاشِ، أُخْسَاءُ!
وَقَدْ نَطَقْتَ بِأَصْنَافِ العِظَاتِ لَنَا وَأَنْتِ فِيمَا يَظُنُّ القَوْمُ خِرْسَاءُ

ويصف الكثير من الناس بأنهم في إقبالهم على الدنيا وجشعهم لتحصيل
منافعها كأنهم كلاب تجمعوا على الشر ونبح بعضهم بعضاً من أجل جيفة، وهي
الدنيا جيفة يتقاتلون لأجلها، ولم يُبرئ نفسه، بل هو أخس منهم، والمجرب
للناس يذمهم؛ يقول: (١١٠)

كِلَابٌ تَعَاوَتْ، أَوْ تَعَاوَتْ، لَجِيْفَةٍ وَأَحْسِبُنِي أَصْبَحْتُ أَلْمَهَا كَلْبَا
أَبِينَا سِوَى غِشِّ الصَّدُورِ، وَإِنَّمَا يِنَالُ، ثَوَابَ الله، أَسْ—لَمْنَا قَلْبَا
وَأَيُّ بَنِي الأَيَّامِ يَحْمَدُ قَائِلٌ وَمَنْ جَرَّبَ الأَقْوَامَ أَوْسَعَهُمْ ثَلْبَا

ويتساءل متعجباً (هل في الزمان سرور؟! إزاء ما في الدنيا من شرور كثيرة
يقول: (١١١)

تسمى سروراً، جاهلاً متخَرِّصٌ بفيه البرى! هل في الزمان، سرور؟
نعم ثمَّ جزءٌ من ألوفٍ كثيرةٍ من الخير، والأجزاء، بعدُ شـرورُ

ولطالما تمنى أبو العلاء على البشر ألا يكونوا على هذه الأرض وجدوا، وأنها
كانت خالية منهم، لأنهم ملؤوها بالشر والظلم فقال:

يَا لَيْتَ آدَمَ كَانَ طَلَّقَ أَمَهُم أَوْ كَانَ حَرَّمَهَا عَلَيْهِ ظَهَارُ (١١٢)
وَلَدْتَهُمْ فِي غَيْرِ طَهْرٍ عَارِكَا فَلَذَاكَ تَفَقَّ—دُ فِيهِمُ الأَطْهَارُ

(١٠٩) المعري، لزوم، ٣٩/١.

(١١٠) المعري، لزوم، ١٢٣/١.

(١١١) المعري، لزوم ٥٦٩/٢. سمي الإنسان الجاهل نفسه (سروراً)؛ فليهلكه الله، وليكن في التراب لكذبه.

(١١٢) المعري، لزوم ٦٢٥/٢.

ولكثرة ما في الحياة من شرور ، وما يحتشد في الدنيا من آثام، وما تسببه للأحياء من أحزان وآلام كره أبو العلاء الوجود بأسره، وأثر عليه العدم، وتمنى للوليد ألا يكون وُلد، وللحي ألا يكون وُجد،

يقول: (١١٣) فليت وليدًا مات ساعة وضعه
ولم يرتضع من أمه النفساء
يقول لها من قبل نطق لسانه
تفئدين بي أن تنكبي وتسائي

ورأى أن الكون لا يتخلص من شروره، والناس لا يمكن وضع حد لمعاناتهم إلا بقطع النسل وعدم الإنجاب، واعتبر أن الوالد يجني على أولاده إذ يأتي بهم إلى دنيا العذاب والآلام، ولقد كانوا بمنجاة عن ذلك لو لم يولدوا، وفي ذلك يقول: (١١٤)

على الولد يجني والد، ولو أنهم
وزادك بعداً من بنيك، وزادهم
ولاة، على أمصارهم، خطباءً
عليك حقاً وداً، أنهم نجباء
من العقد، ضلت حلة الأرباء
يروون أبا ألقاهم في مؤرب

* * *

النظرة الإجمالية للمشهد الأول من قلق الحياة كما يبدو في نصوص هذه المجموعة يبدو كالاتي:

قلق الحياة عند أبي العلاء موقف فلسفي قوامه بغض الدنيا والحياة، وإن الوسيلة الوحيدة إلى النجاة من آلام هذه الحياة هو الموت وقطع النسل ... ولكنه لم يعمد في طرح المسألة على عادة الفلاسفة بأسلوب تقريرى مرتب السياق: الألفاظ فيه على قدر المعاني، يركز على التعليل المنطقي من مقدمات ونتائج، يخلو من المجازات والمحسنات البيانية.

(١١٣) المعري، لزوم ٥٨/١.

(١١٤) المعري، لزوم، ٣٢/١. العقد المؤرب (بضم الميم وتشديد الراء المفتوحة): العهد المحكم الربط. ضلت الأرباء حلة: لم يهتد المامرون إلى فكّه.

ولكنَّ أبا العلاء خَلَقَ الموقفَ الفلسفيَ فنيًّا بأسلوبِ الأديبِ الساخطِ
الساخر؛ فحياتنا الدنيا كما نعرفها من خلال مظاهرها فينا، ومن حولنا، وشوقنا
للتفاعل معها وشدة حساسيتنا نحوها، وإقبالنا عليها في تعاقبها في نهارها وليلها
وفصولها هي وجودنا المحسوس.

ولكنها عند أبي العلاء من خلال النصوص السابقة: سجن رزية.. دنيا
كذوب.. العيش فيها مرض أو صوم دائم.. هي عادة مُخادعة ووعودها كاذبة..
تتطق بالحق.. هي أمانة.. نحبها ونكرها في آن.. لا ذنب لها فكيف نلومها؟

هي جيفة وبنو البشر كلاب تجمعوا حولها يذبحون وينهشون.. هي خسيصة وبنو
البشر أبناؤها أوباش.. ومن عجب وسخرية أننا نُقبلُ عليها ونحبها (تسمى)
سروراً جاهلاً متخرصاً!..) و (عنبٌ وخرم.. فَمَنْ الملوم؟) .

هكذا خلقَ الموقفَ بتصويرِ خيالي تعانقت فيه الأفكار مع الصور،
وتلمَّسَ أوجهَ الشبه البعيدة بين الأشياء (وهبها فتاةً، هل عليها جناية.. ؟) ..
(وأعاصرٌ أم حاسي؟)، وأظهر المعنوي في صورة المحسوس، والمحسوس في
صورة المعنوي (كلاب تغاوت، أو تعاوت..) .

المنظور إليه واحد: (الحياة والناس) .. ولكن الناظر شاعر يعاود
النظر؛ فإذا الشعر لديه وليد لحظات نفسية متباينة يبدو فيها أبو العلاء يناقض
نفسه، ولا يستقر على رأي.. وهكذا كان رأيه في كل ما أبدع من آثار، وخاصة
في طوره الثاني.

ومن هنا تعددت وجهات النظر عند الباحثين في هذه المسألة .. فهذه
(بنت الشاطئ) تذهب إلى أن أبا العلاء ظلَّ محبًّا للدنيا على عكس ما هو
متعارف عليه، تقول: " ... ظلَّ يكابد من ظمأٍ إليها وشغف بها مع إصراره على
رفضها... وإلى آخر عمره ظلَّ يئن من عجزه أن يقهر في نفسه حبَّ الدنيا،

والتماس راحة اليأس منها والسلو عنها؛ وإن ظنَّ أنه وطنها بقدميه من لحظة انسحابه إلى محبسه". (١١٥)

ولنستمع إلى الوجه الآخر من اعترافات أبي العلاء في هذه المسألة ، ولنأخذ في الحسبان أننا أمام متهم كثيراً ما يغيّر إقاداته أمام القضاة.. يقول: "أحبُّ الدنيا وألّتها ليستُ فيّ، وقد يئستُ من بلوغها، واليأسُ مريح، فالإلامُ التسوّف والضلال؟! ". (١١٦)

و: (١١٧) شَقِينَا بَدْنِيَانَا عَلَى طُولِ وُدِّهَا فَدُونِكَ مَارَسْنَهَا حَيَاتِكَ وَاشْقَاهَا
وَلَا تُبَدِّينَ الزَّهْدَ فِيهَا فَكَلْنَا شَهِيدًا بِأَنَّ الْقَلْبَ يُضْمِرُ عَشْقَهَا
و: (١١٨) أَشْرَبْتُ حَبِّكَ لَا يَنْفِيهِ عَن جَسَدِي سَوَى ثَرَى لِدِمَاءِ الْإِنْسِ شَرَابِ
و: (١١٩) تَبَارَكْتَ يَا رَبَّ الْعُلَا أَنْتَ صُفْتَهَا فَلَيْتَكَ فِي أَرْزَائِهَا لَمْ تَبَارَكْ
أَعَانِقُهَا عِنْدَ السُّودَاعِ تَشْبِيْثًا وَكَيْفَ وَدَاعَ بَيْنَ قَالٍ وَفَارِكِ

حاول طه حسين أن يربط بين نهج أبي العلاء في حياته وبين أسلوبه في التعبير والتصوير، فقال في هذا الصدد: " .. الاستهانة بأمر الدنيا جعلت أبا العلاء شديد الحرص على الصدق عظيم الحذر من انتحال الزور، كانت حكمته صادقة وفلسفته فطرية.. " (١٢٠)

ولكن علي أدهم يناقش هذا الرأي بإضافة معقولة، يقول: " وواضح من رأي الدكتور أنَّ الخيال شديد العلاقة بالكذب وأن أبا العلاء حرص على الصدق

(١١٥) عائشة عبد الرحمن، جديد في رسالة الغفران، ص ٣٢.

(١١٦) الفصول والغايات، ص ١٤٤.

(١١٧) المعري، لزوم ٢/١١٢٣.

(١١٨) المعري، لزوم، ١/١٨٤.

(١١٩) المعري، لزوم، ٣/١١٨٦، قال: كاره. والفارك هي مبيضة زوجها.

(١٢٠) طه حسين، تجديد ذكرى، ٢٠٩.

فنبذ الخيال، وليس الأمر كذلك، وأرى أن مصدر هذا الوهم هو عدم التفريق بين الحق الفلسفي والحق الفني، وليس الخيال هو الكذب، وإنما هو منظار الحقائق، ومصور خفايا النفس، وهو عتاد الشاعر وركنه الركين، وإذا كان الشاعر طائراً فإن الخيال جناحه، وقد يظن أن الخيال كذب، وذلك لأن الفن نفسه قائم على أذوية عريقة النسب في الصدق إذ يخلق عالماً غير العالم ويعمره بالموجودات، والأحياء والخيال هو عامل الإنشاء في بناء هذا العالم وخالق أحيائه ومبدع موجوداته. والفن لا يجاري الواقع ولا يحتديه لا لأنه يجافيه ويتعمد أن يقلب نظامه ويعكس سنته، وإنما لأنه يحاول أن يكمل نقصه ويسد فجواته ويصفيه ويهذبه".^(١٢١) وعلى هذه الصورة من الإبداع كان فن أبي العلاء، ومن هنا تقبلنا تناقضه وحيرته وقلقه بين الشك واليقين.

قلق عزلته النوعية

من الطبيعي أن من كان رأيه في الحياة والأحياء ما علمنا من كراهية ورفض، فلم يجد أمامه إلا أن يعتزل الحياة ومخالطة الناس، ويتعد عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فبعد عودته من بغداد أخبر أهل المعرفة في رسالة مؤثرة أنه سيعتزل الناس، وقد حاول ذلك بأقصى جهدٍ مستطاع ولكنه أخفق في ذلك إلى حدٍّ ما، فمن أين لشخصٍ مثله طبقت شهرته الآفاق من شرق العالم الإسلامي إلى غربه، أن يعيش بمفرده، ولو سكن الكهوف أو صعد إلى قمم الجبال، نعم هو اعتزل الدنيا وأهلها، ولكن أهلها لم يتركوه بل جاؤوه ينهلون من علمه وأدبه وفكره، ولكنه على كل حال يبقى معتزلاً؛ لأن ما خالط الناس فيه أو لنقل ما خالطه الناس فيه للضرورة لا يُعدُّ تصالحاً وإقبالاً على الحياة والناس، وسواء أنجح في مسعاه الاعتزالي أم أخفق فالعزلة والتوحد والانفراد هي مذهبه

(١٢١) أدم، علي: بين الفلسفة والأدب (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨)، ص ١٢، ١٣

المفضل ورأيه الحصيف الذي لا يرضى عنه بديلاً، ولعلّ هذا الاعتزال النوعي كان أجلى مظاهر قلق الحياة لديه، قال: " واهرب إلى الفضاء إلا ملبس من شر الجليس ، والله ثاني المنفردين " (١٢٢) وأعلن في شعره أنه إذا كان شعار تنوخ أهل قبيلته (واصل) فشعاره هو قاطع: (١٢٣)

فِرَّ من هذه البرية في الأر ض فَمَا غيرُ شرّها لك حاصل
فشعاري (قاطع) وكان شعاراً لتنوخ في سالف الدهر (واصل)
والرأي عنده أن من أراد النجاة من مصاعب الحياة فإنه لن يبلغ ذلك إلا بهجر الدنيا وأهلها: (١٢٤)

فالرأي: هجراتك الدنيا وساكنها فانت، من جود هذي النفس، منجود
وبالغ في طلب العزلة حتى أرادها حياً وميتاً، فتمنى ألا يشهد الحشر في الناس: (١٢٥)

فيا ليتني لا أشهد الحشر فيهم إذا بعثوا شعراً رؤوسهم غربا

وهو لا يريد العزلة عن الناس والمجتمع في الحياة الدنيا فحسب وإنما يريدتها حتى في الآخرة لا يريد أن يجتمع إلى أحد، ولا يراه هو أحد ، فطلب أن يدفن بموضع لم يُحفر فيه قبر لأحد، وجعل من هذا رتبة لقبره وحسبها من رتبة يعتز بها: (١٢٦)

إذا حان يومي فلأوسد بموضع من الأرض لم يحفر به أحد قبراً

(١٢٢) الفصول والغايات، ص ١٥٢.

(١٢٣) المعري، لزوم، ١٣٦٢/٣. تنوخ: قبيلة الشاعر. وسميت تنوخ لاجتماعها وإقامتها.

(١٢٤) المعري، لزوم، ٤٢٥/١. المنجود: الذي يسيل عرقه عند خروج الروح.

(١٢٥) المعري، لزوم/٢، ٦٥١.

(١٢٦) لمعري، لزوم/٢، ٦٥١.

و: (١٢٧) يا جدتي! حسبك، من رتبة أنك من أجداتهم معزراً

وودّ لو مات في صحراء ليس بها إنسان لتتهياً له هذه العزلة، يقول: (١٢٨)

وددتُ وفاتي في مهمّة
أموتُ به واحداً مفرداً
أحاذرُ أن تجعلوا مضجعي
به لامعٌ ليس بالمعظم
وأدفن في الأرض لم تُظلم
إلى كافرٍ خانٍ أو مسلم

وهو ينصح حتى للحيوان أن يعتزل كاعتزاله هو، فقال مخاطباً ورفاء، يقول: (١٢٩)

وانفردني في بلدٍ عازبٍ
عنا، وعيشي ذات بالٍ رخي

وهكذا رأى وحدته أنساً واجتماعه بغيره وحشة، يقول: (١٣٠)

إذا حضرتُ عندي الجماعةُ أوحشتُ
طهارةٌ مثلي في التباعد عنكم
فما وحدتي إلا صحيفةٌ إيناسي
وقربكمُ يجني همومي وأدناسي

ويظهر أن لدى أبي العلاء استعداداً فطرياً في حبّ العزلة، ولقد لفت نظري إلى هذه اللفتة صاحب كتاب (الأيام) حيث يعقب على قول أبي العلاء: (أنا وحشي الغريزة إنسي الولادة)؛ (١٣١) وفيما يروي سيرته الذاتية يقول: " يرى الفتى نفسه إنساناً من الناس ولد كما يولدون، وعاش كما يعيشون، مقسم الوقت والنشاط فيما يقسمون فيه وقتهم ونشاطهم. ولكنه لم يكن يأنس إلى أحد، ولم يكن يطمئن إلى شيء، قد ضرب بينه وبين الناس والأشياء حجاب ظاهره الرضا والأمن وباطنه من قبله السخط والخوف والقلق واضطراب النفس، في

(١٢٧) المعري، لزوم ١٢٧٥ / ٣ معزلاً: أي بمعزل.

(١٢٨) المعري، لزوم ١٥٠٦ / ٣.

(١٢٩) المعري، لزوم ٣٩٦ / ١.

(١٣٠) المعري، لزوم ٩٠٠ / ٢.

(١٣١) المعري، رسائل، ص ٦٩.

صحراء موحشة لا تحدّها الحدود، ولا تقوم فيها الأعلام، ولا يتبيّن فيها طريقه
التي يمكن أن يسلكها ، وغايته التي يمكن أن ينتهي إليها..

... كان غريباً في وطنه، وكان غريباً في فرنسا، وكان يرى أن ما
يصل إليه من حياة الناس ليس إلا ظواهر لا تكاد تغني عنه شيئاً". (١٣٢)

لقد كان طه حسين موقفاً غاية التوفيق في تشخيص ظاهرة سوء توافق
الكفيف بعامة مع مجتمعه. ولكن إذا قدر لطه حسين أن ينطلق من أسر
انطوائيته؛ فإن أبا العلاء ظل يعاني منها تسعة وأربعين عاماً، وكان ذلك
باختياره، يقول: (١٣٣)

تغيبتُ في منزلي برهــــةً ستير العيوب فقيدَ الحســــنِ
على أن العزلة، وإن سترت بعض عيوبه إلا أنها لم توفر الطمأنينة،
وظل هاجس القلق قائماً، ولم يعدم صلته مع الناس، وعبر عن هذه الصلة بنقد
ساخر تشاؤمي، ومن ذلك قوله: (١٣٤)

تخير، فإما وحدةٌ مثلُ ميتةٍ وإما جليسٌ في الحياة، منافقُ
و قوله: (١٣٥) إذا انفرد الفتى أمنّت عليه دنايا ليس يؤمنها الخلاط
فلا كذبٌ يقال ولا نسيم ولا غلطٌ يخاف ولا غلاط

وهكذا ينفي أن في الوحدة وحشة، وحبذا وذكر مزاياها، وعلها
تعليلات مختلفة ، نظرية تارة، ونفسية طوراً .

(١٣٢) طه حسين، الأيام، ص ٤٥١-٤٥٢.

(١٣٣) المعري، لزوم ١/ ٥٣٤ .

(١٣٤) المعري، لزوم ٢/ ١١٠٠ .

(١٣٥) المعري، لزوم ٢/ ٩٨٧ .

قلق الزواج والنسل

وإذا كان الزواج هو السبيل لإقامة الحياة، وكان النسل النتاج الطبيعي الذي تقوم به الحياة، وإذا عرفنا رأي أبي العلاء في الحياة وموقفه من الدنيا، ما قد رأينا وعرفنا ، فكيف كان موقفه من الزواج والنسل؟! هذا ما يحدثنا به عن نفسه بنفسه فيقول: (١٣٦)

فإن أنت لم تملك وشيك فراقها فعِفِّ، ولا تنكح عواناً ولا بكراً

فهو يحض الآخرين على أن يكونوا مثله، فطلب إليهم ألا يقربوا الزواج فهو باب الولوج إلى آلام الدنيا وعناء الحياة. وهو في موقف آخر يطلب مقاومة الغريزة والكف عن الزواج فيقول: (١٣٧)

فأزجر غريزتك المُسيئة، جاهداً واستكف أن تُتخَيَّرَ الأصهارُ

وجعل الخصاء خيراً من زواج الحرة فكيف بغيرها، فيقول: (١٣٨)

خِصَاؤُكَ، خَيْرٌ مِنْ زَوَاجِكَ حُرَّةً فَكَيْفَ إِذَا أَصْبَحْتَ زَوْجاً لِمُؤَمِّسٍ

وإن كتاب المهر، فيما التمسته نظيرُ كتابِ الشاعرِ المتلمِّسِ

فلا تُشْهَدَنَّ فِيهِ الشُّهُودِ، وَأَلْقِهِ إِلَيْهِ، وَعَدَّ كَالْعَانِثِ الْمُتَشَمِّسِ

ومهما يكن رأي أبي العلاء في الزواج، فإنه يرى الأمر الأحزم عدم الإنجاب وقطع النسل، فيقول في الفصول والغايات: (١٣٩) " أظعن عن الدنيا، وما أترك فيها عرساً عقد زواجك يقتلك كصحيفة الشاعر الجاهلي المتلمس خال طرفة بن العبد(نديمي عمرو بن هند) في القصة المشهورة التي أودت بحياة

(١٣٦) المعري، لزوم ٢/٦٤٩.

(١٣٧) المعري، لزوم ١/٦٢٦.

(١٣٨) المعري، لزوم ٢/٩٠١.

(١٣٩) الفصول ، ص ٢٧١.

طرفه ونجاة خاله حيث ألقى بالرسالة في البحر. العائر (بالهمز) الكلب أو الجواد الذي يتخلى عن صاحبه. المتشمس: الذي لا تتال منه خيراً.

تَأْيِمٌ، وَلَا وَلِداً يُبَيِّمُ، وَذَلِكَ الْأَمْرُ الْأَحْزَمُ، إِنَّمَا يُتْرَكُ الْإِنْسَانُ وَلَدَهُ لِلشَّقَاءِ،
إِمَّا ضَعِيفاً يَظْلَمُ، وَإِمَّا قَوِيّاً اهْتَضَمَ، وَكِلَا الرَّجُلَيْنِ لَا يَسْلَمُ وَهُوَ يَذْكَرُ هَذَا الْحَزْمَ
فِي شَعْرِهِ، إِذْ يَتَسَمَّحُ فِي الزَّوْجِ لِمَنْ خَافَ الْعَنْتَ وَالْمَأْتَمَ، فَيَنْصَحُ لَهُ أَلَّا يَنْجِبَ
أَوْلَاداً: (١٤٠)

نصحتك لا تنكح، فإن خفت مأثماً
فأعريس، ولا تنسل فذلك أحزم
ويقول في المعنى ذاته: (١٤١)

كَلٌّ عَلَى مَكْرُوهَةٍ مُنْسَلٌ
وَحِزْمٌ الْأَقْوَامِ لَا يُنْسَلُ
وليست تلك نصيحتة للإنسان فحسب، بل إن هديت الورقاء لا تبني وكرأ
لفراخها كالإنس.

يقول: (١٤٢) **إِنْ كُنْتَ يَا وَرْقَاءَ مَهْدِيَّةً**
فَلَا تُبْنِي الْوَكْرَ لِلْأَفْرُخِ
وَلَا تَكُونِي مِثْلَ إِنْسِيَّةٍ
مَتَى يَنْبُهَا حَادَثٌ تَصْرُخُ
وَأَنْفَرْدِي فِي بَلَدٍ عَازِبِ
عَنَا، وَعَيْشِي ذَاتَ بَالٍ رَخِي

وهو يرى أن الطيور لو علمت علمنا بالحياة وطبيعتها التي يسودها الفساد،
وعرفت الشر في الأقوياء وشعرت بالأخطار التي تجتاحها كما تجتاح الإنسان
لما اتخذت لأفراخها الأعشاش: (١٤٣)

هل تعلم الطير الغوادي علمنا
لو أنها شعرت بما هو كائن
أم لا يصح لمثلها أفكار
لم تتخذ لفراخها الأوكار

(١٤٠) المعري، لزوم، ١٣٧٤/٣.

(١٤١) المعري، لزوم، ١٢٤٢/٣، مبسل: مسلم إلى الهلاك. المكروهة: الشدة.

(١٤٢) المعري، لزوم، ٣٩٦/١. بينها حادث: بصيبيها.

(١٤٣) المعري، لزوم، ٦٢٩/٢.

وإذا كان يرى للحيوانات والطيور ألا تند ولا تتسل فالإنسان العاقل أولى بترك
النسل ، فيقول: (١٤٤)

دع النسل! إن النسل عَقْبَاه مِيْتَةٌ وَيُهَجِّرُ طَيْبُ الرَّاحِ خَوْفًا مِنَ السُّكْرِ
وعدَّ النسل ذنباً لا يغتفر، وإذا كان لا بدَّ للإنسان من الزواج فأحسن
الزوجات مَنْ تكون عقيماً: (١٤٥)

أرى النسل ذنباً للفتى لا يُقاله فلا تتكحّن، الدَّهْرُ، غيرَ عقيم
وقد مرَّ بنا قوله في تحميل الوالد مسؤولية جنايته عليه بإنجابهِ للحياة: (١٤٦)
ومن هنا كانت خير النساء العقيم: (١٤٧)

إذا شئت يوماً، وُصَلَّةٌ بِقَرِينَةٍ فَخَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ عَقِيمُهَا

وهو يرى أن عقم المرأة خيرٌ لها إذ لا يستطيع الموت أن يفجعها بأخذ ولدها،
فيقول: (١٤٨)

قد ساءها العقمُ، لا ضمت ولا ولدتُ
ما يأخذ الموت من نفسٍ مُنفردٍ
وذاك خيرٌ لها لو أعطيت رشداً
شيئاً سواها، إذا ما اغتال واحتشداً

وقد ألح وكرر في أبيات وقصائد عديدة أن النسل مجلبة للهم، فإذا ما
كثر نسل الأب وأصبح له ثلاثة أولاد فإن عقله يسلب منه من شدة الهم: (١٤٩)

والنسل فرشٌ لهمومِ الفتى
والعقل مسلوبٌ من الفارشِ

(١٤٤) المعري، لزوم، ٧٠٣/٢.

(١٤٥) المعري، لزوم ١٤٦٢/٣.

(١٤٦) المعري، لزوم ٣٢/١. وانظر هامش ١١٤ من بحثنا هذا.

(١٤٧) المعري، لزوم ١٣٨٩/٣. وصلة: زواج.

(١٤٨) المعري، لزوم ٤٦١/١.

(١٤٩) المعري، لزوم ٩٥٠/٢. الفارش: الزرع إذا صار له ثلاث ورقات، لا واحد له من لفظه، والفارش
أيضاً الكاسب لعياله الذي يجمع رزقه من هنا وهناك.

وليس النسل شقاء للأم وهماً للأب وإنما هو شقاء للولد أيضاً، ولو أن
ولداً عَقَّ أباه لكان يردُّ له عمله في إجابته إلى هذه الدنيا: (١٥٠)

جنى أبَ وَضَعَ ابناً للردى غرضاً إن عَقَّ، فهو على جُرمٍ يكافيه

ويقول عن نفسه إنه لو كان كلباً لما هان عليه أن يُلْقِيَ جروه في هذه الحياة، فلا
بورك النوع والجنس عنده: (١٥١)

لو أَنَّى كَلَبٌ، لا عتـرتني حميةً لجرؤي، أن يلقى كما لقي الإسـُ
أرى الحيَّ جنساً ظلَّ يشملُ عالمي بأنواعه، لا بوركِ النوعِ والجنس

وتفنن في معاني تفضيل العقم وعدم النسل، فما دام الموت هو النهاية
فالنسل وتربية الأولاد عبث، فعلى المرء أن يشتغل بما ينفعه لا بالنسل والولادة،
يقول: (١٥٢)

فدونك شُغلاً ليس هذا، لعلـة يعودُ بنفع، لا كشـُغلك بالنسل

أبوك جنى شـُراً عليك، وإنما هو الضبُّ إذ يسدي العقوق إلى الحسل

* * *

وتتمة لما استعرضناه من رأي أبي العلاء في الحياة والعيش، والزواج
والنسل فما المتوقع أن يكون موقفه من النصف الثاني الذي تتشكل منه الحياة؟
لنقبل معاً لنستمع إلى رأيه في المرأة الذي لن يكون أحسن حالاً من رأيه في
جوانب الحياة الأخرى. فرأي أبي العلاء في المرأة قبيح ، وهي عنده سيئة في
كل أحوالها، فكرها ودعا إلى تجنبها فقال: (إياك والجنب إلى زينب، ولا

(١٥٠) المعري، لزوم ١٦٩٩/٣.

(١٥١) المعري، لزوم ٨٥٧/٢. أن يلقى: خشية أن يلقى. أرى الحي: أي الأحياء.

(١٥٢) المعري، لزوم ١٢٨٩/٣. الحسل (بكسر الحاء): ومن صفات الضب، ومن صفاته الشبق الجنسي، وأنه يأكل
أولاده. وقيل في المثل: أعق من ضب.

يغرينك النقاب بما تحت الحِقَابِ فَإِنَّ النَّفْسَ موكَلَةٌ بِالضلالِ^(١٥٣) وتحدّث في
شعره كثيراً عن المرأة كما يراها هو، فالنساء حبالٌ غيٌّ وضلالٌ ومضيعةٌ
للشرف والحسب، يقول: (١٥٤)

ألا إنَّ النَّساءَ حبالٌ غيٌّ بهنَّ يضيّعُ الشرفُ التّـأيـدُ

والنساء عنده مثل ضعف العقل، وهنَّ همٌّ وعائقٌ عند قيام الحروب، يقول: (١٥٥)

وفي الحِجَابِ عقلٌ نسوانٍ لها مَسْكُ في الحربِ عقلُ رجالٍ إنَّ همَّ قتلوا

ويرثي المعري للرجل الذي تكون خليفته من البنات وعنده أن كلهن متاعب،
يقول: (١٥٦)

وإنَّ تَعَطُّ الإناثِ، فأبي بـؤسٍ تَبَيَّنَ في وجـوهٍ مُقسّـماتٍ

يُرَدْنَ بـعـولَةً وَيُرَدْنَ حَلياً ويلقنن الخطوبَ مـلـكـوماتٍ

وكسـنَ بدافعـاتٍ يومَ حربٍ ولا في غارةٍ متغشّـماتٍ

وقد يـفقـذن أزواجاً كراماً فيا للنسـوةِ المتأَيّـماتِ!

يلدن أعـاديأ، ويكنن عاراً إذا أمسـقنن في المتـهضّـماتِ

ويرى موت المرأة والبنات خير لها من زواجها وأنّ زيارتك قبور الأوانس خير
من أن يصبحن عرائس، يقول: (١٥٧)

إنَّ الأوانسَ، أن تـزورَ قبورها خيرٌ لها من أن يُقالَ عرائس

(١٥٣) الفصول والغايات ص ١٥٩.

(١٥٤) المعري، لزوم، ٤٤٢/١.

(١٥٥) المعري، لزوم ١١٦١/٣. المسك: جمع مسكة وهي السوار.

(١٥٦) المعري، لزوم ٢٨٥/١. منقسمات: لايقاثلن الأعداء في الحرب، ولا يتشجعن لردّ الغارة. متهضّمات: وقد
يجلبن العار إذا كنّ مظلومات منقادات للفساد.

(١٥٧) المعري، لزوم ٨٨٦/٢.

وإذا كان هذا شأنهن عنده، فبدء السعادة للمرء أنه خلق ذكراً ولم يُخلق امرأة،
لكن هل تود جمادى - هي مؤنثة، أنها رجب - وهو ذكر، يقول:
فهل تودُ جمادى أنها رجبُ بدءُ السعادة؛ أن لم تُخْلُقْ امرأةً

وهو يذكر عن فتنتهن ما شاء الله أن يذكر، فهن ظالمات وهن فوارس في الفتنة
وهن أعلام غيٍّ وضلال وهذا قوله: (١٥٨)

أولات الظلم، جنن بشر ظلم وقد واجهننا متظلمات
فوارس فتنه، أعلام غيٍّ نقينك بالأساور معلّقات

وعلى مثل سوء الظن والقبح هذا جاءت آراؤه في تعليمهن وعبادتهن
واختلاطهن وحجابهن، ونظام حياتهن حتى انتهى إلى أن خدر العروس المحببة
أدهى وأفتك من عرين الأسد: (١٥٩)

خدر العروس وإن كانت محببةً أدهى وأفتك من عريسة الأسد
ويقول في المعنى ذاته: (١٦٠)

وأرى العروس، تحجبت في خدرها كمعرس الآساد في الإخدار
وقبح الزواج والزوجة، ولو وفق المرء لم يتزوج والمرأة لم تزف: (١٦١)
لو وفق المرء لم يبهبش إلى امرأة أو الغريرة لم تزف إلى رجل

(١٥٨) المعري، لزوم، ٢٨٣/١، الظلم (هنا) هو الزينة بالطحى المموهة بالذهب.

(١٥٩) للمعري، لزوم ٤٩٤/٢. عريسة الأسد: مأواه.

(١٦٠) المعري، لزوم ٧٩٨/٢. يشبه العروس في خدرها بالأسد في عرينه وهو خادر أي ساكن، كلاهما قاتل.

(١٦١) المعري، لزوم ١٣٠٨/٣. بهش: ممدّ يده ليأخذ الشيء. ولو وفقت الفتاة غير المجربة لما تزوجت.

خامساً: نظرات إجمالية وخاتمة

تلك نماذج من مشاهد قلق الحياة عند أبي العلاء ، شملت الزمان
والمكان والناس من حوله، صورتها نغمات شاعرٍ مازوم وقلقٍ متشائمٍ سوداوي
المزاج، أخضع عطاء عبقريته اللغوية في بيانها وبلاغتها وبديعها ونحوها
وصرفها إصراراً على مطلق المخالفة لأعراف مستقرة في الفن. أو فيما عليه
حياة أهل بلدته من عادات وتقاليد، وحتى فيما يعتنقون من مبادئ وأفكار.

وبقيت مسألة حتى تكتمل المشاهد.. ألا وهي: إلى أي مدى كان أبو
العلاء صادقاً ومترجماً لما أكثر تكراره في أشعاره ورسائله في سلوكه
الشخصي وتطبيقه العملي؟ أو كان من الذين يقولون بأفواههم ما ليس في
قلوبهم؟!؟

أقول : منذ عاد من رحلته المشؤومة من بغداد اعتزل أبو العلاء الناس
والحياة، وألزم نفسه بأنواع المجاهدات والحرمان وضيق على نفسه ما أبيض من
طيبات وشهوات..

ولنصغ إليه يحدثنا بالقول: " انسك، وفي مشيك فسك _ [امش هوناً] _
فعل جائع، وجد فترك لا مضطراً أكل فأبرك ، وأعان الله رجلاً كالعود الهرم لا
حلب عنده ولا طلب" (١٦٢). ويأمر بالارتياح إلى الزهد وأصحابه إذا كان اللاهي
لا يرتاح إليهما، يقول: (١٦٣)

إلى النسك ارتح، وأصحابه
إذا فاتك القوم لم يرتح

(١٦٢) الفصول والغايات، ص ٢٢٣. فسك، أي تمهل.

(١٦٣) المعري، لزوم ١/٣٨٤. الفاتك: الجريء والذي يفعل ما تميل إليه نفسه .

لا نعرف أن أبا العلاء جالس أحداً على مائدة ، ولا نعرف أن أحداً رآه يتناول طعامه فقد كان؛ يأوي إلى نفقٍ في بيته لا يأكل فيه إلا ما يقيم الأود ببقية على قيد الحياة. فقد اقتصر في طعامه على النبات فحسب بل اقتصر من النبات على نوعين بسيطين منهما هما العدس والتين وقد نص على ذلك.

فقال: ^(١٦٤) يُقْنَعْنِي بَلْسُنٌ يُـمَارَسُ لِي فَإِنْ أَتَيْتَنِي حَلَاوَةٌ فَبَلْسُنٌ

وكان لباسه غليظ الثياب من القطن ، و فراشه اللبد في الشتاء، وحُصِرُ البردي صيفاً، وكان يأخذ نفسه بأشق الشدة وأعنفها، يؤلم نفسه ألماً شديداً ليروضها ويطوعها لإرادته الجبارة، ويكلفها ما لا يستطيع معه صبراً، فربما اغتسل في مرّ الشتاء بالماء البارد؛ وهذا كلامه يشهد بذلك، يقول: ^(١٦٥)

أجَاهِدُ بِالطَّهَارَةِ حِينَ أَتَيْتُو	وَذَاكَ جِهَادٌ مِثْلِي وَالرِّبَاظُ
مَضَى كَانُونَ مَا اسْتَعْمَلْتُ فِيهِ	حَمِيمَ الْمَاءِ، فَأَقْدَمُ يَا شُبَابُ
تَشَابَهُ، أَنْفُسَ الْحَشْرَاتِ، نَفْسِي	يَكُونُ لَهُنَّ بِالصَّيْفِ ارْتِيبَاظُ
لَسَقْدَ رَقْدِ الْمَعَاشِرِ فِي تَرَاهُمُ	فَمَا هَبَّ الْجِعَادُ وَلَا السَّابَاظُ

وقد أقنعه أيضاً ستره ودفؤه، وشربه بالمشارب الخزفية الخشنة دون الأواني الزجاجية، وقنع من المركوب بالسير على قدميه إذا ما دعتة إلى السير حاجة، يقول: ^(١٦٦)

مَقْنَعِي، مِنَ الزَّمَانِ، سِيتْرِي وَدَفْنِي	مِنْ لِبَاسِ رَاقِ الْعُيُونِ وَفَرَشِ
قَدْ شَرِبْتُ الْمِيَاءَ بِالْخَرْفِ الْوَحْشِ	شِ، فَأَعْنَى عَنِ مُحْكَمَاتِ بَخْرَشِ

^(١٦٤) المعري، لزوم ٩٢٩/٢. البلسن (بضم الباء ويسكون اللام آخرها نون): العدس. البلس (بفتح الباء واللام): التين. يمارس: يصنع منه الطعام.

^(١٦٥) المعري، لزوم، ٩٨٩/٢. شباط: شهر شباط.

^(١٦٦) المعري، لزوم ٩٥٢/٢. الوحش: الرديء. الخرش: النقش، والمخرشة خشبة ينقش الخراز بها الجلد. تغنيت: استغنيت الدهم، والبرش: الخيول السود، والتي فيها لوانان وهي منقطة.

وَتَغَنَيْتُ فِي الْأُمُورِ، فَتَنَابَتِ
قَدَمِي عَنْ رُكُوبِ دُهْمٍ وَبُرْشِ

وهو يرى غناه في طمره الذي يستره، و تقوى الله هي كنزه وماله، فيقول: (١٦٧)

قوتِي غِنَايَ، وَطِمْرِي سَاتِرِي، وَتُقَى
مَوْلَايَ كَنْزِي، وَوَرْدَ الْمَوْتِ مَوْعُودِي

وَالنَّفْسُ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ مَا اجْتَرَمَتْ
إِلَّا وَسَيِّئٌ طَبْعِي قَالِلٌ: عَوْدِي

وقد ترك أعمال الدنيا؛ فهو لا يحفر بئراً ولا يعرش نخلاً، فههو يعبر عن ذلك: (١٦٨)

لَا أَعْرَشُ الْجَفْرَ، وَلَا النَّخْلَ فِي الدَّارِ
يَا، وَمَا تَبَقَى يَدُ الْعَارِشِ

فَأَجْعَلُ حِدَائِي خَشْبًا، إِنْسِي
أُرِيدُ إِبْقَاءً عَلَى الدَّارِشِ

وقد حرّم على نفسه الحيوان ومنتجاته، وإذا نظرنا إلى النسك والزهد فسنجد أبا العلاء في هذا المجال يكره الذبح والدم، إذ يقول ناثراً: "إذا غمس القوم أيديهم في الدم فاعمس يدك في ماء الغدير".^(١٦٩) ويدعو الإنسان إلى الاكتفاء بالنبات يتغذى به، فالإنسان يكفيه الزيت يأتمم به، فهذا أفضل من إراقة الدم، والتسبب في ألم الذبح للحيوان، فيقول: (١٧٠)

يَكْفِيكَ، أَدْمًا، سَلِيْطٌ مَا أَرِيْقُ
دَمٌ وَلَا مَسٌّ رُوحًا، إِذْ جَرَى أَلْمُ لَهُ

وهو ينهى عن إرهاف المدى لذبح الحيوان نهيةً عن سل السيف للأقران: (١٧١)

(١٦٧) المعري، لزوم/١/٥٠٤.

(١٦٨) المعري، لزوم/٢/٩٥٠. طمره: ثوبه البالي القديم. الجفر: البئر. الدارش: جلد الحيوان.

(١٦٩) الفصول والغايات، ص ١٢٩.

(١٧٠) المعري، لزوم، ١٣٩٦/٣. السليط: الزيت.

(١٧١) المعري، لزوم/٣/١٣٩٦. العبيط: المذبح بغير علة. اللخض: اللحم. القرن: القاتل الشجاع.

ولا تُرهِفْ مَدَى لَعِيْطٍ نَحِضٍ ولا تَشْهَرْ عَلَى قِرْنٍ صَقِيلا

ويعلن بحسه المرهف ونفسه الوادعة المسالمة أن على الإنسان ألا يسئل سيقاً طلباً للمعيشة قائلاً: (١٧٢)

ولا تَطْلُبْهَا مِنْ سِنَانٍ وَصَارِمٍ بِيَوْمِ ضِرَابٍ، أَوْ بِيَوْمِ طَعَانٍ

وهكذا أمّن الحيوان والوحش والطير والسماك في البحار في مذهب أبي العلاء، فقد نهى عن أكل السمك كنهيه عن أكل اللحم عامة: (١٧٣)

فَلَا تَأْكُلْنَ مَا أَخْرَجَ الْمَاءُ ظَالِماً ولا تَبِغِ قُوْتاً مِنْ غَرِيضِ الذَّبَائِحِ
ولا تَفْجَعَنَّ الطَّيْرَ، وَهِيَ غَوَافِلٌ بما وَضَعَتْ، فَالظَّمْ شَرُّ القَبَائِحِ

ولم يقف التحريم عند ذبحها، بل رأى أبو علاء المعري أن الحيوان إنما يعمل لنفسه فما خلقت الخيل إلا لتركض في حاجاتها، يقول: (١٧٤)

لَمْ تُخْلَقِ الخَيْلُ مِنْ غَرٍّ وَمُصْمِتَةٍ إلا لِيَرْكُضَ فِي حَاجَاتِهِ، الفَرَسِ

والنحل ما جمعت العسل إلا لصغارها لا لتكرم به على الأكلة من بني آدم: (١٧٥)

فَمَا أَحْرَزَتْهُ كَيْ يَكُونُ لغيرِهَا ولا جَمَعَتْهُ لِلندَى والمَنَاحِ

وهكذا نهى عن لبن الحيوان ومشتقاته إذ قال: إن لبن الأمهات جعل ليكون لصغارها وليس للنساء الغواني، يقول: (١٧٦)

(١٧٢) المعري، لزوم ١٥٩٥/٣.

(١٧٣) المعري، لزوم ٣٧٦/١. الغريضة: الطري.

(١٧٤) المعري، لزوم ٨٧٥/٢، الخيل الغرّ والمصمّنة: بياض جبهاتها أو التي لا يخالط لونها لون آخر.

(١٧٥) المعري، لزوم ٣٧٦/١. المنائح: الواحدة منيحة، العطية.

(١٧٦) المعري، لزوم ٣٧٦/١. أبيض أمات: أي حليبيها. اللبن الصريح: النقي الخالص.

وأبيضَ أَمَاتٍ أرادت صريحه لأطفالها، دون الغواني الصرائح

كما نهى عن سلب ما أودعته الطيور من بيض في أعشاشها، يقول: (١٧٧)

فلا تأخذ ودائع ذات ريش فمالك أيها الإنسان بضنه

وقد أشفق على الحيوان من الضرب، وطلب من الإنسان الترفق بهذا الأعجم المسكين: (١٧٨)

يا ضاربَ العودِ البطيء، وظهرة لا وزرَ يخملهُ، كوزرِ الضاربِ
أرفق به، فشهدتُ أنك ظالمٌ في ظالمين: أباعد وأقارب

بل لم تقف شفقتك عند المستأنس من الحيوان إنما تجاوزته إلى الوحش والهوام
فنهى عن طرد الوحش نفسه: (١٧٩)

لاتطردِ الوحشَ، فما يلبثُ الـ مطرودُ في الدنيا، ولا الطارد

بعد هذه الجولات في مظاهر القلق عند أبي العلاء نعود الى نقطة البداية
كما قررها هو بنفسه حيث يقول : (إني بالحياة لبرمٌ .. وما البقاء إلا طول
شقاء وظلما) ..

عمّ تشاؤمه المطلق للحياة في خطابه للدنيا ، مكنياً بـ (أم دفر) للرائحة
النتنة كجامع بينهما ، فقال ساخراً : (١٨٠)

يا أم دفر لحاك الله والـودة منك الاضاعة والتفريط والسرف
لو أنك العرس أوقعت الطلاق بها لكنك الأم هل لي عنك منصرف؟

(١٧٧) المعري، لزوم ١٥٦٣/٣.

(١٧٨) المعري، لزوم، ٢٠٣/١. العود: الجمل.

(١٧٩) المعري، لزوم، ٤٥٤/١.

(١٨٠) المعري، لزوم ، ١٠٦١/٢ دفر (يفتح الدال وسكون الفاء) : الدنيا .

وفي موقف آخر يبدو متناقضا فيما تقدم، فيعترف بأنه لا يستطيع طلاق الدنيا، وإنما هي طلقته فيقول: (١٨١)

فما طَلَّقَتْ هي بَلْ طَلَّقَتْ ولسـتْ بأوَّلِ مَنْ طَلَّقَا

ولهذا كره الحياة الدنيا بعد أن طلقته وأعجزه اللحاق بأهلها من ذوي الصحة والبأس والتعيم والترف .. وظل على موقفه قلقاً كارهاً للدنيا وأهلها . وظلت استجاباته مفرطة ، وبالغ في تصويرها فلنستمع إليه: (١٨٢)

وأصاح هي الدنيا تشابه ميّنا	ونحن حوالها الكلاب النوايح
ويقول : (١٨٣) وأحلف ، ما الدنيا بدار كرامة	ولا عمّرت من أهلها بكريم
وما صحّ ودّ الخلّ فيها، وإنما	تغرّ بودّ ، في الحياة، سقيم
وجدت بني الدنيا، لدى كلّ موطن	يعدّون فيها شقوة كنعيم
يزيدك فقراً، كلما ازددت ثروة	فتلغى غنياً في ثياب عديم

ويساعدنا علم نفس اللاشعور على تفهم ظاهرة القلق عند أبي العلاء ، يقول صاحب كتاب (علم النفس والأدب) (١٨٤): " إنَّ الحرمان والألم ينشطان الموهبة الفنية، فبوساطة الإبداع الفني يعوض الفنان ما حرّمته منه الحياة ... إنَّ فقدان التلاؤم والارتواء إزاء العالم الخارجي يولد الانطوائية التي تجعل صاحبها يبني لنفسه عالماً خاصاً أغنى بكثير من الحياة الداخلية لكل إنسان . وما ينبغي أن يتأذى من هذا الكلام أولئك الذين يرون أن نقطة البداية في الفن إنما هي الغنى الداخلي ، فهذا الغنى الداخلي إنما هو نتيجة الفقر الخارجي . وربّ فنان ممتاز تأفل ملكاته الفنية متى أصبح في يسر ودعة ورخاء ، أو متى شفاه

(١٨١) المعري ، لزوم ١١٣٢/٢ .

(١٨٢) المعري ، لزوم ٣٥٨/١ .

(١٨٣) المعري ، لزوم ١٤٦٢/٣ ، الوُدّ السقيم : المحبة الخادعة .

(١٨٤) الدروبي ، سامي : علم النفس والأدب (القاهرة ، دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٨١) ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

التحليل النفسي من اضطرابات روحه وصالحه مع العالم الخارجي . إن الأحلام والتصعيد الديني والعصاب النفسي ، كل ذلك إنما هو طرق تسلكها الرغبات الغريزية المكبوتة في اللاشعور لترتوي ارتواء رمزياً أو مصعداً . ويعرّف التصعيد انه تصريف للطاقة الغريزية نحو غايات اذا نظرنا اليها نظرة سطحية رأيناها غير ذات علاقة باتجاه الغريزة المصعّدة ، ولكنها في حقيقة الأمر تتبع من هذه الغريزة رأساً في هروب تحريري أو ارتواء تعويضي . (١٨٥)

لقد رهن أبو العلاء نفسه في سجونه الثلاثة (...أراني في الثلاثة من سجونني ...) من باب الترفع والاستعلاء لإثبات قدرته على المواجهة ، وعلى تجاوز الواقع ، تعويضاً لتحقيق التوازن النفسي لديه . ولم تكن عزلته عذلة مُجديبة بل كانت عذلة مُنتجة ، لأنه هكذا أرادها أن تؤدي وظيفة ردّ الاعتبار وفت الأنظار، وكانت -بلغة علم النفس- حيلة دفاعية على أمل إعادة التوازن النفسي الذي اختل بسبب إحساس المعري بفقدان أهمية الذات التي قُزمت، وأهينت من جراء تعالي ذات الآخر عليها.

ومن هنا فمهما تعددت وجهات النظر في تفسير قلقه ، فإنها تُجمع على أنه أبداع فناً جديداً أثبت فيه قدرته على التحدي ، فالعلايلي مثلاً يرى أنّ من عاداته أن يعتمد إلى رمزية الباطنية الحروفية^(١٨٦) متوارياً خلف جناسها وكناياتها لتظل المعاني التي يريدتها مشرّعة على أكثر من نافذة من نوافذ الرؤى.

وقوله: لا يَجَزَعَنَّ من المنية عاقلٌ فالنعشُ من نعشِ الفتى أن يعثرَا

والعيشُ من عشيِ البصير، أصابه قلبٌ وإسكانٌ ، فسمّ لتدثرا^(١٨٧)

وإذا أراد أن يخبرك أن الشرّ طبع أصيل في الإنسان ، وأنّ صنّع الخير عنده تكلفٌ يقول:

(١٨٥) المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .

(١٨٦) سبقت الإشارة الى ذلك في هذا البحث.

(١٨٧) المعري ، لزوم ٦٨٧/٢ على العاقل أن لا يجزع من الموت . فإنّ النعش مشتق من انعاش الفتى اذا تعثر وسقط. النعش : سرير الميت، ومحفة المريض . وبين (العيش) و(عشي البصر) جناس كذلك . فالعيش مأخوذ من العشي بقلب بين حرفي الشين والياء وتسكين الياء . فسم بالله لتموت . العشي عدم الرؤية ليلاً . الدثور : الفناء .

مفعولٌ خيرِك في الأفعالِ مُفْتَقِدٌ كما تعذّر في الأسماءِ فَعُولٌ (١٨٨)

وباحث آخر يرى أن البديع في (اللزوميات) كان رمزاً يحمل دلالات لرفض الواقع وإنكاره: " فالطباق يرمز الى ما نشاهده في الحياة من تناقض ، والجناس لما نجده من تشابه في المظهر واختلاف في الجوهر ، والاستعارة لما نجده من محاولات للتوفيق بين أنا الإنسان وغيريته، والكناية من باب الحذر من الخطأ ، والمجاز لتأكيد الوحدة المرجوة للكون بين إنسه وأشياءه ". (١٨٩)

ولهذا لم يكتف أبو العلاء بالمحاسب الثلاثة التي سجن نفسه بها، وابتنى من (اللزوميات) محبساً رابعاً وضع فيه نفسه أمام جبر لا خيار فيه فأحدث أسلوباً جديداً في الشعر العربي، لم يعرفه من قبل حصرياً، وإبداعاً فنياً جاء متحصلاً من فرط الجهد في البحث والغوص العميق على المفردات والمعاني لا يخلو من تعقيد شديد وعبث لغوي أحياناً يبتعد عن الفن والطبع.. وكل ذلك من أجل التعويض ورد الاعتبار والانتقال من دائرة الظل إلى دائرة الضوء ليصدق فيه قوله: (١٩٠)

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

ولكي يتخلص من الاتهام بالتعالي ، قال: (١٩١)

لو كان كل بني حواء يشبهني فبئس ما ولدت في الخلق حواء
بُعدي من الناس برء من سقامهم وقربهم، للحجا والدين، أدواء
و: (١٩٢) بني الدهر مهلا إن ذممتُ فعالمكم فإني بنفسي، لا محالة أبداً
متى ينقضى الوقت ، والله قادر فنسكن في هذا التراب ونهدأ

(١٨٨) المعري ، لزوم ١٢٢٦/٣

(١٨٩) جوبجاتي، رفيق : مواطن الإبداع في لزوميات أبي العلاء (مجلة الفكر العربي، مجلد ٤،

عدد ٢٥ شباط ١٩٨٢) ص ٣٧٤.

(١٩٠) المعري، سقط الزند ٥٦.

(١٩١) المعري، لزوم ٤١/١ ، وفي رواية (أو) . أدواء: أمراض .

(١٩٢) المعري ، لزوم ٣٨/١ .

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أدهم، علي : بين الفلسفة والأدب (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٨)
- الجوزية ، ابن قيم : تهذيب مدارج السالكين لابن الجوزية ، تحقيق عبد المنعم صالح العزي (دبي/الامارات : دار قتيبة، ١٩٩٠)
- حسين، طه : تجديد ذكرى أبي العلاء (القاهرة : دار المعارف، ط ٦، ١٩٦٣)
- : صوت أبي العلاء (القاهرة : دار المعارف ، اقرأ ٢٣/١٩٤٤)
- : مع أبي العلاء في سجنه (القاهرة: دار المعارف ، ١٩٦٣)
- الحموي ، ياقوت بن عبد الله: معجم الأديباء، بإشراف مارغوليوث (القاهرة: البابي الحلبي، ١٩٣٦)
- ابن خلدون ، المقدمة، (طبعة دار الكتاب اللبناني)
- الخولي ، أمين : رأي في أبي العلاء (القاهرة : طبعة الكتاب ، القاهرة ١٩٦٣)
- جويجاتي، رفيق : مواطن الإبداع في لزوميات أبي العلاء (مجلة الفكر العربي، مجلد ٤ ، عدد ٢٥ شباط ١٩٨٢)
- الدروبي ، سامي : علم النفس والأدب (القاهرة ، دار المعارف ، ط٢، ١٩٨١)
- شلق، علي: أبو العلاء والضبابية المشرقة (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨١)

- صالح، مصطفى: كشاف مصادر أبي العلاء المعري (دمشق: مطبعة العلم، ١٩٧٨)
- صليبا، جميل : المعجم الفلسفي (بيروت : دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩)
- ضيف، شوقي : الفن ومذاهبه في الشعر العربي (القاهرة : دار المعارف ، ط٤، ١٩٦٠)
- عبد الباقي ، محمد فؤاد : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (القاهرة: دار الشعب ، ١٩٧١)
- عبد الرحمن ، عائشة : جديد في رسالة الغفران (بيروت: الكتاب العربي للنشر ، ط١/ ١٩٧٢)
- عبد الحميد ، عرفان : الفلسفة الإسلامية : دراسة ونقد (بغداد دار التربية د.ت)
- العليلى ، عبد الله : المعري ذلك المجهول (بيروت : الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٨١)
- فضل ، صلاح: تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي (القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٥)
- القاضي، محمد عبد الحكيم : إتحاف الفضلاء برسائل أبي العلاء (القاهرة : دار الحديث ، ط١/١٩٨٩)
- قمير ، يوحنا : أبو العلاء المعري في لزومياته (بيروت : دار المشرق ١٩٦٨)
- قنيبي ، حامد : القياس اللغوي وتنمية الألفاظ (الرباط : اللسان العربي ، مركز تنسيق التعريب مجلد ٣٨ ، ١٩٩٣)
- النحت والاختصار في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، عدد ٤٣ سنة ١٩٩٤

- لجنة إحياء تراث آثار أبي العلاء بإشراف طه حسين، تعريف القدماء بابي العلاء
الدار القومية القاهرة ١٩٦٥
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٠)
- المحاسني ، زكي : أبو العلاء ناقد المجتمع (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٤٧)
- المعري ، أبو العلاء احمد بن عبد الله : ديوان سقط الزند ، شرح ن. رضا (بيروت :
دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨)
- : رسائل أبي العلاء المعري، تحقيق عبد الكريم خليفة (عمان. منشورات
اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة، ١٩٧٦)
- : رسالة الغفران ، تحقيق عائشة عبد الرحمن (القاهرة : دار المعارف ، طه
(١٩٦٩ ،
- : الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ ، نشر محمود حسن زناتي
(القاهرة : مطبعة حجازي/أمين هندية ، ١٩٣٨)
- : لزوم ما لا يلزم ، شرح نديم عدي (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة
والنشر ، ط٢ ، ١٩٨٨)
- الموسوعة العربية العالمية، إعداد هيئة متخصصة، الرياض، ١٤١٦هـ



نظريات اكتساب اللغة الثانية وتطبيقاتها التربوية

(القسم الثاني)

د. موسى رشيد حاملة

النظريات الفطرية:

يعتقد أصحاب المذهب السلوكي بأن اكتساب اللغة يتحقق عن طريق البيئة الاجتماعية، وأن عقل الطفل صفحة بيضاء نقية تستقبل ما يرد عليها من الصيغ والعبارات، وأن اللغة هي المخزن الذي يلجأ إليه الطفل عند الضرورة لكي يختار العبارات والكلمات، إلا أن النقلة النوعية والتطور الذي يحصل على اللغة على يد تشومسكي، كان مخالفاً لما تعارف عليه السلوكيون نحو اللغة.

ولذلك فإن تفسيرات أصحاب النظريات السلوكية لكيفية اكتساب اللغة الثانية، وعدم دقتها ووضوحها، قادت الباحثين إلى إيجاد أنموذج بديل، حيث وجه الباحثون انتباههم صوب العوامل الفعلية التي تشكل التعلم. إنهم لم يذهبوا بعيداً، حيث شهدوا نقلةً في التفكير في مجال علم النفس واللغويات، فرأوا أن الطبيعة تشكل العوامل البيئية للتعلم. وركزوا انتباههم ليس على الطبيعة فحسب وإنما على العوامل الفطرية التي تشكل التعلم، وأطلق على هذه النظرية نظرية العقلين أو الفطريين. وركزوا على الطبيعة (Nature) أي كيف أن القدرات النظرية التي يملكها العقل البشري تشكل التعلم. وهذا الأنموذج أطلق عليه النظرية الفطرية.

وهذا يعني أن اللغة ليست سلوكاً يكتسب بالتعلم والتدريب والممارسة فحسب، كما يرى السلوكيون، بل هناك حقائق عقلية وراء كل فعل سلوكي، أي أن اللغة تعد تنظيماً عقلياً معقداً لأنها أداة تعبير وتفكير في آن واحد. (Chomsky, 1981).

يشير لينبرغ (Lennberg, 1962) إلى أهمية الجوانب البيولوجية في نمو اللغة؛ فهو يخالف السلوكيين وينكر مبدأ التعزيز المسيطر على النمو. ويستشهد لينبرغ على ذلك بقوله: إن القدرة على الكلام والفهم لدى الطفل ليست نتيجة التعزيزات الخاصة التي يتلقاها الطفل بعد الكلام، وذلك لأن الطفل إذا ما وصل إلى سن النضج فإنه يستطيع الكلام بالتعزيز أو من دونه.

وأنصار هذه النظرية يعتقدون أن تعلم بعض أوجه اللغة أمر فطري. وهم فريقان: فريق يطلق عليه (General Nativism) والفريق الآخر ويطلق عليه (Special Nativism).

يرى الفريق الأول أنه لا توجد آلية لتعلم اللغة، ولكن توجد مبادئ عامة لكنها ليست خاصة باللغة وحدها، بل يمكن استخدامها في أنماط التعلم الأخرى (Eckman, 1996).

أما الفريق الثاني فيفترضون أن هناك نظريات خاصة متعلقة بتعلم اللغة، وهناك مبادئ أو أسس خاصة ومحددة تحكم تعلم اللغة، وليس لها أي علاقة بأي معرفة غيرها.

إن الفريقين يريان بأن شيئاً فطرياً يتعلق باللغة موجود في داخلنا ولكن السؤال يدور حول طبيعة هذا الجهاز! سوزان قاص (Gass, 2001) وبالنسبة لهذه النظرية فإن:

١- الإنسان هو المخلوق الوحيد القادر على تعلم اللغة.

٢- العقل البشري مزود بقدرات لتعلم اللغة، يطلق عليها جهاز اكتساب اللغة (Language Acquisition Device).

٣- هذه القدرات هي العوامل الأولى في اكتساب اللغة.

٤- هذه القدرات ضرورية، ولكن فقط من أجل تشغيل عمليات جهاز اكتساب اللغة وتحريكه.

ورأى تشومسكي (Chomsky, 1959) أن الأداء اللغوي (Language Performance) هو ممارسة اللغة والتدريب عليها، وأن هدف الدراسة اللغوية هو معرفة الكفاية اللغوية (Language Competence) بالواقع العملي. ولا يمكننا الوصول إلى هذه القواعد أو الأسس إلا عن طريق الكلام الخارجي المحسوس. كما أن لكل بنية لغوية أو قالب لغوي بنيتين إحداهما تحتية، والأخرى فوقية، ولا يمكن الوصول إلى البنية التحتية إلا بواسطة الفوقية.

ويعلق جفري سامسون (Samson, 1998) على رأي تشومسكي بقوله: "ومن أكثر سمات منهج تشومسكي في دراسة اللغة تأثيراً هو التمييز الذي يقيمه بين القدرة اللغوية والأداء اللغوي أو الممارسة، وهو استرجاع للتمييز بين المقدرة والكلام عند سوسير، وتشومسكي نفسه لا يفرق بين المقدرة عنده والمقدرة التي تحدث عنها سوسير. وأجابت هذه النظرية عن بعض الأسئلة المتعلقة باكتساب اللغة، وأطلق عليها اسم (Natives Approach). وهذا المصطلح مشتق من قاعدة أساسية هي أن اكتساب اللغة أمرٌ حاصلٌ فطرياً، حيث نولد ولدينا الميل لاكتساب اللغة المحيطة بنا.

وبالمناسبة فإن مصطلح "الكفاية اللغوية" الذي ورد ضمن نظرية تشومسكي، عرفه ابن خلدون قبله بمئات السنين تحت مسمى "ملكة اللسان".

ومعلوم أن علماء اللغة العرب لم يحاولوا أو يتنبهوا " لتأسيس المصطلح وتفعيده"، ولكنه ليس غريباً عنهم.

ويقول دوجلاس براون (Douglas Brown, 1987):

" إن الأطفال يولدون ولديهم الفطرة لتعلم اللغة، وهذه القدرات الفطرية موجودة لدى جميع أفراد النوع البشري" (LAD).

لذلك نلاحظ السرعة الزمنية التي يكتسب فيها الطفل لغته الأم بشكل لافت للنظر. ففي زمن قصير يتقن الطفل لغته الأم من دون أن يبذل جهداً متعمداً يذكر في التعرض لها. ففي أغلب الأحوال يلم الطفل -أي طفل- بالبنى الأساسية للغته، وإدراك العلاقات الوظيفية الأساسية القائمة بين الكلمات في الجمل، وامتلاك القدرة على الكلام وهو في سن لا تتجاوز السادسة وهذا يدعونا إلى التسليم بأن الأطفال يولدون وهم مزودون بأسس بيولوجية خاصة بالجنس البشري تضبط عملية اكتساب اللغة.

إن كل الجهود التي يقوم بها اللغويون أو العاملون في مجال تعليم اللغة تذهب سدى إذا لم نعرض الطفل بما فيه الكفاية للغة المستهدفة (Target Language). وهذا ما نفتقده ونحن بأشد الحاجة إليه عند تعليمنا لغتنا العربية الفصحى. فنحن نتعرض يومياً وفي كل لحظة إلى لهجاتنا المحلية، وهي قد تبتعد عن اللغة الفصحى أو تقترب منها حسب المكان الذي نعيش فيه لذلك فجهودنا التي نمضيها في المدرسة لتعلم اللغة المكتوبة أي الفصحى على مدار سنوات الدراسة لا تشفع للدارس بأن يتكلم عدداً محدوداً من الجمل بلغته الفصحى، وذلك لقصور معجمه السمعي، نظراً لسيطرة اللهجة المحلية

وحيازتها القسط الأكبر من معجمه. ويؤيد هذه الفرضية الفطرية من جوانب متعددة لينبرغ (Lenneberg, 1967) حيث يرى: " أن اللغة نوع من سلوك محدود " (Species-Specific) وأن هناك أنواعاً من الملاحظة الحسية، تصنف القدرات والأدوات الأخرى المتعلقة باللغة وهي محددة بداخلنا سلفاً.

أما نعوم تشومسكي (Chomsky, 1965) فيرى أن: " القوة المركزية التي تقود إلى اكتساب اللغة، هي جهازٌ محدد موجودٌ بداخل دماغ الإنسان"، أي أن تشومسكي يرى أن المبادئ الأساسية الفطرية الموجودة في الدماغ تحكم جميع اللغات البشرية وتقرر ما يمكن أن يُؤخذ منها عند الحاجة. ومن هنا فإن تشومسكي يرفض رفضاً قاطعاً النظرية السلوكية القائمة على مبدأ التقليد، لأن هذه النظرية من وجهة نظره تسوي بين السلوك الحيواني والسلوك الإنساني الذي امتاز عن سائر الكائنات بامتلاك اللغة.

وقبل أن يصل أصحاب النظرية التوليدية إلى سلم الشهرة خلصت جين بيركو (Jean Berko, 1958) من تجربتها إلى أن الطفل يتعلم اللغة ليس على شكل وحدات غير مترابطة ولكن يتعلمها كلاً موحداً. بمعنى أن الإنسان مزود فطرياً بالقدرة على تعلم اللغة بغض النظر عن العوامل البيئية والخلفية اللغوية والبيولوجية وغيرها من العوامل الأخرى. وهو ما يؤكد أنصار هذه النظرية بأن جميع البشر لديهم القدرة ذاتها على اكتساب اللغة ويمتلكون عموميات اللغة (القواعد النحوية): ويطلق على ذلك النحو الكوني " Universal Language".

وهذه العموميات تقع تحت نظرية تسمى: فرضية الرتبة الوظيفية (The Natural Order Hypothesis) وهي إحدى فرضيات اكتساب اللغة الثانية عند كراشن (Krashen). الذي يرى أن اكتساب اللغة يُكتسب ويمكن التنبؤ به وهو متشابهة في اللغة الأم (L1) وفي اللغة الثانية (L2). وأثبتت الدراسات أن دارسي اللغة الإنجليزية كلغة ثانية على اختلاف لغاتهم، وقعوا بالأخطاء نفسها بغض النظر عن خلفياتهم اللغوية التي يمتلكونها. إن بعض هذه الأخطاء تشابه الأخطاء التي يقع فيها الأطفال عند تعلمهم لغتهم الأم (L1). وعلى أية حال فإن النقد الموجّه لهذه النظرية، هو أن الدراسات التي أجريت بصدد هذا محدود، فهناك عدد قليل من الأخطاء النحوية التي تم رصدها ودراستها وتحليلها. والمشكلة الأخرى هي أن الباحثين وعلماء اللغة بشكل عام لا يحيطون بجميع اللغات في العالم لكثرتها لذلك نجد أن نسبة ضئيلة منها تم بحثها ودراستها. كريستينا كونراد (Christina Conrad, 1978).

نظرية القواعد العمومية (Universal Grammar) لدى تشومسكي (UG):

إن عملية اكتساب اللغة الثانية (SLA) تدين بعمق إلى فرع آخر من اللغويات وهي مرتبطة بقوة بنظرية نعوم تشومسكي " القواعد العمومية". يرى تشومسكي أن اللغة تحكم من قبل مجموعة من المبادئ الموجودة في كل لغة. فالأطفال يتعلمون لغتهم الأولى (L1) معتمدين على معرفتهم وهذه المعرفة التي كانت عند بداية تشكّل هذه النظرية يُشار إليها بجهاز اكتساب اللغة الثانية (Language Acquisition Device) وباختصار (LAD) وهي ما تعرف الآن باسم عموميات القواعد (Universal Grammar) ومختصرها (UG). فنقاش تشومسكي يدور حول المدخلات (input) التي

تعرف الأطفال عليها، وهي غير كافية لأن تجعلهم قادرين على اكتشاف قوانين اللغة التي يودون تعلمها.

ومن هنا يرى اللغويون التوليديون التثومسكيون اكتساب اللغة الأولى باعتباره نشاطاً ومقدرة خاصين على نقيض معظم أشكال التعليم الأخرى، وهذا النشاط يعتمد على مكون معين موجود في المخ على نحو وراثي، وهو جهاز اكتساب اللغة (LAD) وهو بشكل محدد بجانب القواعد العمومية. وفي ضوء ذلك فإن اكتساب اللغة الأولى الذي ينجزه كل الأطفال الطبيعيين من دون ملاحظة غالباً ومن ودون تعليم منظم، يمتاز بشكل محدد عن تعلم اللغة الثانية فيما بعد، وعن الدراسة المتعمقة في المدرسة للغة المرء الأولى، وهي عملٌ مباشر المرء بشكلٍ واعٍ ويتطلب تعليمًا من الآخرين، أو هي على الأقل تعليم ذاتي متعمد. (Robins, 1997)

وقد أثرت الكثير من الأسئلة حول ما إذا كان اكتساب اللغة الثانية نتيجة عوامل بيئية أو عوامل عقلية تحكم المدخلات التي يُعرض عليها الدارس أو من عوامل عقلية داخلية والتي إلى حدٍّ ما تملّي كيف يفهم الدارس البنى النحوية. إن اكتشاف النموذج الذي يبيّن كيفية اكتساب المتعلم للغة هو واحدٌ من أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها. وهي تدعم النتيجة التي تمّ التوصل إليها عن طريق دراسة أخطاء الدارس الشائعة، أعني أنّ اكتساب اللغة الثانية يتسم بالتنظيم والعمومية ويعكس الطرق التي تحكم بها الآلية المعرفية الداخلية عملية الاكتساب، بغضّ النظر عن الخلفية الشخصية للمتعلّمين أو الموقف التعليمي. رود إلس (Rod Ellis, 1995).

إنّ نظرية التشومسكيين نحو القواعد التحويلية تفترض أنّ المهمة الأولى التي يكتسبها المتعلّم بطريقةٍ فطريةٍ وبالتحديد هي اللغويات والمعرفة وعموميات القواعد. وهذا يعني أنّ هناك مبادئ ثابتة في العقل البشري محدّدة بيولوجياً إلى درجة معينة ومختصة في تعلّم اللغة. وقد صاغها تشومسكي على النحو الآتي: "عموميات القواعد هي مجموعة من البنى والشروط التي تشكل الحالة "الأولية" في تعلّم اللغة التي يرغب في معرفتها وتطويرها".

وهذه المبادئ اللغوية المجردة مهمة وتخضع لها جميع اللغات الطبيعية، وتشمل القدرة الرئيسة الأساسية للغة والتي يتمتّع بها كل فرد، ووهبت لهم بشكلٍ موحدٍ وبالتساوي. ونظرية عموميات اللغة لا تتعلق فقط باكتساب اللغة الثانية، إنّ تطبيق هذه النظرية في هذا المجال جاء من خلال أعمالٍ جديدةٍ لعددٍ من الباحثين في مجال اكتساب اللغة الثانية. وايت (White, 1985b).

إذا سلّمنا مع تشومسكي بوجود هذه المبادئ فهذا يعني أنه باستطاعة الفرد أن يكتسب أي لغةٍ بشريةٍ ما دام يمتلك عموميات مشتركة موجودة لديه باعتبارها جزءاً من تجهيزه العقلي والفطري. وهذا يوضح لنا مدى أهمية تعلّم اللغة شفويّاً قبل تعليم القراءة والكتابة.

وأجرى التشومسكيون دراساتٍ معمّقة وذلك في محاولة لتحديد خصوصيات اللغة (UG) وتحديد المبادئ المجردة للقواعد التي تخص مجموعات معينة من اللغات البشرية. وتتألف نظرية عموميات القواعد من قوانين خاصة ليست للغة خاصة بعينها ولكن من مجموعة من المبادئ يمكن تطبيقها على جميع اللغات. باري (Barry, p.82).

وهناك طرقٌ وبحوثٌ متعددة أجريت في دراسة اللغويات بشكل عام وفي مجال اكتساب اللغة الثانية بشكل خاص. سوزان قاص (Gass, 1984).

فقام جرين بيرج (GreenBery, p.84) وتلامذته بتحليل معلومات تمثّل أنموذجاً للغات العالم من أجل استنباط أنموذج عام. وهناك اتفاقٌ عامٌ بين جميع اللغويين على هذه العموميات، والسؤال إلى أيّ مدى يمكن أن تختلف هذه اللغات في العموميات فيما بينها وذلك من حيث بناؤها. وركّزت دراسة جرين بيرج على العموميات المشتركة بين جميع اللغات، وعلى الاختلافات الحاصلة بينها. (Comrie, 1981).

وقد أطلق كومري (Comrie, p.84) على العموميات المشتركة بين اللغات اسم (Absolute universals) ومثال ذلك وجود حروف العلة في جميع اللغات. تقول فيفيان كوك (Vivian Cook, 1991): إن أنموذج عموميات اللغة (Universal Grammar) هو أحد نماذج المعرفة الذي يؤكد أهمية عقل الفرد في اكتساب اللغة الثانية. ويؤكد هذا النموذج أن اللغة جزءٌ من العقل، وقد اقترح تشومسكي هذا الأنموذج في عام ١٩٨٠م. وقد طور أفكاره السابقة حول هذا الأنموذج في عام ١٩٨٨م، ليتشكل ما يسمّى "الثورة المفاهيمية الثانية" (The second conceptual revolution) وقد استعمل هذا الأنموذج (UG) ليفسر كيف يتمّ تعلّم اللغة الثانية، وبالأخص من يهتمّون بتعلّم اللغة الثانية من رؤية لغوية. (P.113) وهناك عالم لغوي آخر سبق تشومسكي في الحديث عن القواعد العمومية وهو (Josef Greenberg) وأطلق عليها اسم التصنيف النوعي العام (Typological Universals) إلا أنّ قصب السبق كان لمعاصره تشومسكي.

وأجرى شممت (Schmidt,1998) دراسته على حالتين: الحالة الأولى، دراسة مفصلة حول اكتساب اللغة لدى الكبار، وأجريت على شابٍ يابانيٍّ عمره ثلاثون سنة ويقيم في أمريكا، والحالة الثانية، أجريت على طفلين مبتدئين في تعلم اللغة الإنجليزية، أحدهما عمره عشر سنوات وهو برتغالي عمره إحدى عشرة سنة باكستاني الجنسية يتكلم البنجابية، ولا يستطيع كتابتها. ودرس الطفلان في معهدٍ في لندن، وذلك من أجل تهيئتهما للانتقال إلى إحدى المدارس الثانوية المحلية.

وخلصت الدراسة إلى ما يأتي:

أولاً: أثارت هذه الدراسة المهمة بعض الأسئلة حول كيفية اكتساب اللغة الثانية وكيفية تدريسها.

ثانياً: أثارت قضايا تتعلق بوصف لغة المتعلم.

ثالثاً: أبرزت بعض المشاكل التي يمرّ بها الباحثون عند محاولتهم شرح عملية اكتساب اللغة.

وكان من القضايا الأكثر أهمية في هذه الدراسات، ما إذا كان المتعلم يكتسب اللغة بطريقة منهجية منظمة (Accuracy Order) ويجب أن ننبه هنا إلى أنه ليس جميع الباحثين متفقين مع هذه النتيجة، بأن هناك نظاماً طبيعياً عاماً. (Universal Natural Order) .

ومن المنتقدين لهذه النظرية بلومفيلد حيث أكد التحليل الشكلي المفصل للغات المختلفة، وهذا هو الذي حدد رأيه في العموميات اللغوية أو القواعد العمومية، بوصفها ممارسة استقرائية بشكل خالص يجب أن تتبع فقط على

أساس المعلومات المتراكمة، من أعداد ضخمة من اللغات أكثر كثيراً مما تم إنجازها حتى الآن. من هنا كانت معالجته الراضية بعض الشيء للموضوع بوصفها مخالفة لتحديد تشومسكي للقواعد العمومية، وذلك لأنها الفرضية المركزية لفهم بنية اللغة ومقدرتنا كلنا على أن نكتسب أو "ندخل في ذواتنا هذا النظام الغني المركب للقواعد من التعرض سنوات قليلة لكتلة عشوائية ومحدودة جداً من المادة اللغوية". بلومفيلد (Bloomfield, 1935)

ويسرى كل من صمادي وعبد الحق (Sumadi & Abdullhug, 1998) أن الدليل على وجود هذه القواعد مستمدٌ من مصدرين:

أ- المصدر النظري Theory-driven وفيه يجادل تشومسكي بضرورة وجود معرفة لغوية كاملة سابقة تفسر سرعة اكتساب اللغة ومنطقية ذلك الاكتساب ضمن أطر ومراحل مطردة.

ويضيف تشومسكي بأن المؤثرات اللغوية الخارجية التي يتعرض لها الإنسان لا تكفي، وغير ملائمة وحدها لتفسير اكتساب اللغة وتوليدها وفق قواعد اللغة السليمة. وقد تمّ استخلاص القواعد العمومية بعد دراسة الخصائص اللغوية الخاصة بلغة معينة ولغات أخرى. فهي مبادئ مجردة تقيّد استعمال اللغة وتتألف من قواعد خاصة بلغة معينة وقواعد عامة تشترك فيها كلّ اللغات الإنسانية، ومن الجدير ذكره أنها قواعد بسيطة محدّدة لكنّها تفسر ظواهر لغوية معقدة.

ب- المصدر التجريبي (Data-driven) ويهتم هذا المنحى بدراسة البنى السطحية للغات شتى لتحديد تباينها واختلافها واستخلاص قواعد خاصة وعامة بها تفسر هذا التباين. جرين بيرج (Greenberg 1966, 1974).

ويلحظ تكامل المصدرين السابقين، حيث إن المصدر التجريبي يدعم المصدر النظري بنتائج عملية واقعية كما أن الإطار النظري يساعد في تفسير هذه النتائج وفهمها. وهذا العجز يعزى إليه ضعف المثير (Poor of the Stimulus). ومن وجهة نظر تشومسكي فالأطفال عادةً يتلقون دليلاً إيجابياً (Positive Evidence) حيث إن آباءهم لا يصححون لهم أخطاءهم اللغوية.

ولذلك اعتبرت المدخلات (input) مفيدة للتعليم، وبعبارة أخرى فإنها لم تقدم المعلومات الضرورية الرديفة للتعلم الناجح. وفي حالة اكتساب اللغة الأولى (L1) هناك مسألة منطقية، كيف يتعلم الأطفال بثبات القواعد الكاملة للغتهم الأم، عندما تكون المعلومات التي يحتاجونها غير متوافرة في المدخلات؟

الجواب عند تشومسكي، أن الأطفال يجب أن تكون لديهم معرفة سابقة لما هو ممكن أو غير ممكن من القواعد، وهذا يعود إلى ما وهبهم الله من امتياز في ذلك.

ومن التطبيقات التربوية ذات الصلة بنظرية تشومسكي:

١- كان لهذه النظرية أثر حاسم في تقدّم تعليم اللغات، فإن ما قدمته نظرية تشومسكي يقع خصوصاً على مستوى التحليل اللغوي، فقد توصلت إلى فهم أفضل لطبيعة اللغة وعملها واللغات بصفة عامة.

٢- إن هناك نظاماً موروثاً لتوليد النحو، وهذا النظام أو الاستعداد الفطري ليس كافياً ولا يحقق مهماته إلا إذا عرضناه لمادة لغوية في حدها الأدنى.

٣- كان تشومسكي يرى بأنه عند تدريس النحو يجب التمييز بين نوعين من النحو، النحو العلمي والنحو العملي أو النحو التربوي. أي اختيار نمط خاص يتكون من مادة مختارة من النحو العلمي المفصل على أن يطبق معايير تتوخى السهولة والفائدة العلمية. وهذه الطريقة تسهل تدريس النحو وتحقق المنشود دون التعبير عنه صراحة.

٤- يقدم تشومسكي عرضاً مباشراً للبنية السطحية مع الإفادة في الوقت نفسه من الرؤية التحويلية.

٥- يحذف قدراً كبيراً من المعلومات التفصيلية كي يناسب الاستخدام الوصفي.

الطريقة الوظيفية (Functional Approach):

ما زالت هناك بعض الأسئلة التي لم تستطع النظرية الفطرية الإجابة عنها، ولكن في أواخر الستينيات حدث تطورٌ في البحوث ولكن ليس بعيداً عن الجانب المعرفي أو التوليدي حيث إن توصيفه كان أفضل وأكثر عمقا. فالقوانين التوليدية التي اقترحت في إطار النظرية الفطرية كانت مجردة وواضحة ومنطقية جدا. إنها تتعلق بشكل خاص في سطحية اللغة، وليس بالتعمق فيها، وهذا المستوى هو المعنى والإدراك والتفكير والعاطفة، جميعها تتداخل بعضها ببعض وتكون منظمة في البنية الفوقية لدماغ الإنسان. دوجلاس براون (Douglas Brown, 1987). بالتعمق فيها، وهذا المستوى هو المعنى

والإدراك والتفكير والعاطفة، تتداخل جميعها بعضها على بعض وتكون منظمة في البنية الفوقية لدماع الإنسان. دوجلاس براون (Douglas Brown, 1987).

وأوضح لويس بلوم (Lowis, Bloom, 1971) بشكل لا يقبل الشك بنقده لقواعد اللغة، أنّ العلاقة التي تحدث بنطق بعض الكلمات الموجزة ظاهرياً تكون متشابهة. إنّ بحث بلوم (Bloom) مع جين بياجيه (Jean Piaget) ودان سلوبين (Dan Slobin) وغيرهم، مهدت الطريق لموجة من الدراسات الجديدة للغة الطفل، حيث تمّ التركيز آنذاك على الخلفية المعرفية للسلوك اللغوي. ولخص لويس بلوم (Lois Bloom, 1976) هذا الانتقال بتأكيد أن هناك محاولتين قويتين رئيسيتين لتفسير كيفية تعلم الأطفال الكلام، فالأولى افترضت أن عملية تطور اللغة تعتمد مباشرة على طبيعة نظام اللغة، وبتعبير آخر على طبيعة مظاهر اللغة التي يجب أن تكون عامة وممثلة في الداخل، ويتوافر جاهز لتعليم هذه اللغة.

والمحاولة الثانية، بروز دليل بدا واضحاً لدعم الفرضيات المختلفة التي تؤكد التفاعل الذي ينمي قدرة الطفل الإدراكية والمعرفية مع الأحداث اللغوية وغير اللغوية في بيئته.

ويقول هربرت كلارك وايف كلارك (Clark, H. & Clark, E. 1987):

إن تشومسكي أكد أنّ الطفل يولد ولديه ميلٌ ومعرفة فطرية باللغة، وأن هذه الخاصية الفطرية عامة لدى جميع الأجناس البشرية ويطلق عليها (Language Acquisition Device) ووصف مكنيل (McNeil, 1966) أن جهاز اكتساب اللغة له أربع خاصيات:

١- القدرة على تمييز أصوات الكلام من الأصوات الأخرى في البيئة.

٢- القدرة على تنظيم الأحداث اللغوية في صفوف مختلفة، ومن ثم تصنيفها فيما بعد.

٣- التمكن من معرفة بعض الأنظمة اللغوية، وليس جميعها.

٤- القدرة على المشاركة في تقويم فوري لتطور النظام اللغوي، حتى أنه يبسطها إلى أسهل نظام ممكن، وذلك بوساطة البيانات.

ويرى بيرت ودوليه (Burt&Dulay.p,55):

أن ما نعلمه الآن أن الكبار والأطفال سيان، يبدو أن لديهم القدرة على اكتساب اللغة في أي سن، ولكن إذا وجد شخص لم يستطع اكتساب اللغة بنجاح، فإن ذلك قد يعود إلى متغيرات طارئة أو مؤثرات خارجية، وليس بسبب هبوط قدراته الفطرية.

يتبين لنا من هذه الدراسات اللغوية إنها جميعاً تندرج تحت موضوع مهم وجديد يطلق عليه " علم اللغة" (Linguistics). وهو يرجع في حقيقته إلى تشومسكي.

النظريات المعرفية:

تؤكد هذه النظريات دور العمليات العقلية الداخلية ودور السلوك الخارجي. وتهدف إلى تفسير ثلاثة جوانب للتعلم:

١- كيف تؤسس المعرفة.

٢- كيف تصبح المعرفة أوتوماتيكية أو تلقائية.

٣- كيف تمتاز المعرفة الجديدة وتدخل في نظام التعلم المعرفي. رود ألس (Ellis, 1998):

والنظريات المعرفية كانت نتيجة إجراء بحوث مكثفة حول الأثر الذي تتركه العمليات العقلية في التعلم. وهذه خلاصة البحوث التي تم التوصل إليها:

١- تزودنا النظريات المعرفية بمعلومات ملائمة حول كيفية ضبط المتعلم في تحصيل اللغة الثانية واكتسابها. فالتدريب الحر يجعلنا قادرين على ضبط عملية التعلم، حتى تصبح أوتوماتيكية أو آلية، كذلك يحتاج المتعلم إلى فرصة مناسبة، وذلك لتفعيل الإستراتيجيات من أجل تحصيل المعرفة.

٢- تزودنا ببعض الرؤى حول كيفية إعادة بناء المتعلمين في اكتساب اللغة الثانية، من أجل جعلها قابلة للاستعمال في واجبات متعددة.

٣- النظريات المعرفية غير قادرة على تفسير تتابع الاكتساب للبنى النحوية.

٤- النظريات المعرفية غير قادرة على تفسير الدور الذي تلعبه المعرفة الواضحة وكذلك لا تستطيع تفسير كيفية اكتساب اللغة الثانية عن طريق التعليم الرسمي.

وتعتبر هذه النظرية الأساس لأكثر طرائق التدريس الحالية، كونها انبثقت من بحوث وتجارب علم نفس اللغة "Psycholinguistics".

يرى ديفيد كرسنال (David Crystal, 1998) أن الخيار الرئيسي ذا الأهمية هو اكتساب اللغة، ويجب أن ينظر إليه ضمن تطور الطفل العقلي. فالبنى اللغوية تنشأ فقط إذا كانت هناك قاعدة معرفية. فعلى سبيل المثال، قبل أن يستعمل الأطفال تركيب المقارنة " هذه السيارة أكبر من تلك السيارة"، يجب أن يطوروا مفاهيمهم عن الحجم حتى يستطيعوا إعطاء حكم معقول.

وقد توصل العديد من علماء اللغة إلى أن هناك نوعاً من العلاقة موجوداً، ولكن الأكثر تأثيراً وأهمية ينشأ من أنموذج تطوير المعرفة المقترح من قبل جين بياجيه (Jean Piaget). إن عناصر المعرفة لدى بياجيه هي: الشخص ونشاطه أولاً، ثم الإثارات المحتملة من المحيط، وأخيراً آليات التفاعل بين هذا الشخص ومحيطه. (Sam Ammar, 2002).

وعلى الرغم من أن نظرية بياجيه من أعظم نظريات المعرفة التي حاولت تفسير النمو المعرفي عند الأطفال، إلا أن هناك عدداً من الجوانب التي اتجهت نحوها انتقادات العلماء والباحثين. يقول بعض الباحثين: إن نظرية بياجيه قللت من قيمة القدرات العقلية لأطفال مرحلة ما قبل المدرسة وبالغت في الوقت نفسه في عمليات التفكير المجردة للمراهقين والبالغين. وقد تكون الطريقة الإكلينيكية التي اتبعتها وراء ذلك. (Abo Jado, 1998).

وهناك خلاف بين نظريتي بياجيه وتشومسكي، ومرد هذا الاختلاف يرجع إلى تصور طبيعة بنى المعرفة لا إلى وظيفتها. يرى تشومسكي أن هناك

بنى خاصة بالاكتسابات اللغوية، وفطريتها مرتبطة بالطابع الفريد للغة البشرية. أما بياجيه فيرى أن بنى المعرفة عامة، وأنها تجد أساسها في بنى بيولوجية، ولكن لا توجد وراثياً. إنها بنية مخصصة لاكتساب الوظيفة البشرية النوعية التي هي اللغة (Sam Ammar,2002).

إن بياجيه يرفض مبادئ النظرية الفطرية وكذلك يرفض نظرية التعلم والاكتساب القائمة على التقليد. فاللغة بالأساس عند بياجيه هي عمل إيداعي، أما التقليد فله دور هامشي في اكتسابها. كما أن هناك خلافاً جوهرياً بين السلوكيين والمعرفيين حول دور العقل في اكتساب اللغة. فالمعرفيون يرفضون الرأي القائل بأن التعلم يحدث نتيجة لمؤثرات خارجية فقط، ويرفضون كذلك فكرة أن عقل الطفل صفحة بيضاء تؤثر فيها البيئة. أما المعرفيون فيرون أن اكتساب اللغة يتم بمهارات عقلية معقدة مرتبطة بكل من المؤثرات الخارجية. أما السلوكيون فيرون أن اكتساب اللغة يتم من خلال مهارات عقلية معقدة مرتبطة بكل من الذاكرة قصيرة الأمد "Short-Term Memory"، والذاكرة طويلة الأمد "Long-Term memory" (Osaily,2003)

وأجريت العديد من الدراسات لملاحظة العلاقة بين مراحل التطور المعرفي المقترحة من قبل بياجيه وبين المهارات اللغوية. وخلصت الدراسات إلى وجود علاقة عندما يكون عمر الطفل حوالي (١٨) شهراً. وعلى أي حال من الصعب أن تظهر علاقة دقيقة بين سلوك معرفي محدد والعناصر اللغوية في هذه السن المبكرة. إن هذه القضية مثيرة للجدل وتزداد تعقيداً وخاصة كلما تقدم الأطفال معرفياً ولغوياً.

ومن وجهة نظر بياجيه فإن هناك وظيفتين أساسيتين للتفكير ثابتتين لا تتغيران مع تقدم العمر. وهما التنظيم (Organization) والتكيف. (Adaptation). وتمثل وظيفة التنظيم نزعة الفرد إلى ترتيب وتنسيق العمليات العقلية، أما وظيفة التكيف فتتمثل نزعة الفرد إلى التلاؤم والتألف مع البيئة التي يعيش فيها (Toug and Adas, 1984).

ومن بعض المبادئ التربوية المستمدة من نظرية جين بياجيه ما يأتي:

- ١- ضرورة الاستفادة من أخطاء الطلاب في بناء مواقف تعليمية - تعليمية، نتجاوز بواسطتها جوانب الضعف في أدائهم.
- ٢- إتاحة فرصة التفاعل بين الطفل وبيئته الطبيعية أو الاجتماعية يساعد كثيراً في تطوره المعرفي.
- ٣- يجب علينا ألا نصنف إجابات الأطفال عن أسئلتنا إلى إجابات صحيحة وإجابات خاطئة، لأن كثيراً مما نعتقده إجابات خاطئة، يعتبر صحيحاً بالإشارة إلى الإطار المرجعي لتفكير الأطفال.
- ٤- يجب ألا نواجه الطفل بمشكلات تتطلب عمليات عقلية عليا تتفوق كثيراً على مرحلة تطوره المعرفي، كما يجب أن نوفر له الفرصة لممارسة النشاطات التي يؤهله نموه المعرفي لممارستها.
- ٥- ضرورة بناء مواقف تربوية تتسم بالتحدي المعقول لقدرات الأطفال المعرفية، بحيث لا تصل مواقف التحدي هذه إلى درجة تعجيز الطلبة، وشعورهم بالتالي بالإحباط والفشل.
- ٦- إن الطفل لا يفكر بالمستوى نفسه أمام جميع المواقف.

٧- يلعب التفاعل مع الآخرين دوراً تعليمياً وتعليمياً بارزاً في المجال المعرفي الوجداني الاجتماعي. (Abo Jado, p.93-94).

وأجرى دريك بكرتن (Bickerton, 1981) دراسة مهمة حول اللغات وخلص إلى أن هناك مجموعة من اللغات تربط فيما بينها أنماط لغوية وتطور معرفي، حيث افترض أن البشر هم "مبرمجون بيولوجياً" لاجتياز مرحلة تلو الأخرى.

لم تتوقف الدراسات حول كيفية تعلم الطفل اللغة، وأجريت أبحاث هائلة من قبل جميع أصحاب النظريات وأتباعهم. ففي مجال علم نفس اللغة قام روجر براون (Roger Brown) من جامعة هارفرد ودان سلوبين (Dan Slobin) من جامعة بيركلي بملاحظة سلوك الأطفال أثناء تعلمهم اللغة الأولى. وكان مهم البحث عن مدى صحة دليل تشومسكي "البناء العقلي" (Mental Structure) ومدى اتساقه في السلوك اللفظي في لغة المتعلمين.

ولقد تابعا حالة طفلين أحدهما عمره سنتان والآخر عمره ثلاث سنوات، وأبواهما حولهما وذلك لعدة سنوات، مستعملين أجهزة التسجيل، ليلمسا التعبيرات في المواقف المختلفة.

وجد عالما النفس اللغوي دليلاً قوياً، وهو أن بعض سلوك التعلم عام لدى جميع الأطفال بغض النظر عن اللغة التي يتعلمونها. وكانت هذه بداية جيدة لتأسيس وتطوير علم النفس اللغوي. ومعنى ذلك أن الأطفال الذين يتعلمون لغتهم أثناء طفولتهم، يستعملون أنواع البناء اللفظي نفسه، ويرتكبون الأخطاء نفسها، ولكن كل طفل بلغته.

وهذا أمر لا يختلف عليه اثنان إذ إن أي طفل في العالم يبدأ التفاعل والتناغم مع لغته " لغة الأم" إذ هي التي تبدأ تلقينه اللغة.

نموذج بيالستوك (Bialystok):

يعتبر بيالستوك من أشهر من فعلوا النظرية المعرفية في تدريس اللغة الثانية (Biolytic, 1979, 1981, 1982, 1983, 1988, Bialystock and Sherwood smith, 1985).

ولقد تغيرت نظريتها مع الأيام مرات عديدة، مع تغير مصطلحاتها في آن واحد. إلا أن مبنائها الأساسي لم يتغير. ترى بيالستوك ما يراه غيرها من العلماء مؤيدي هذه النظرية الذين تعرضوا إلى تعلم اللغة الثانية، فهي تؤكد بكل صراحة المبدأ الذي يقوم على أساس أن اللغة يجري تعامل العقل البشري معها بالطريقة نفسها التي يتعامل بها مع بقية المعلومات. والكفاية اللغوية يمكن تقديرها ببعدين: الأول البعد التحليلي (Analytical)، والثاني البعد الآلي (Automatically). (Bialystok, 1988:32).

نظرية كراشن:

إن نظرية كراشن (krashen, 1987) في اكتساب اللغة الثانية قائمة على خمس فرضيات:

A-The Acquisition-Learning hypothesis,	١- فرضية الاكتساب والتعلم
B-The Monitor hypothesis,	٢- فرضية المراقبة
C-The Natural Order hypothesis,	٣- فرضية الرتبة الوظيفية
D-The Input hypothesis	٤- فرضية المدخلات
E- And the Affective Filter hypothesis	٥- فرضية الراشح الانفعالي

يرى كراشن أن هناك ثلاثة عوامل توضح كيف يتعلم الناس اللغة الثانية؛ عاملان من خارج نطاق الوعي، وهو ما نطلق عليه المصفي أو الراشح (Filter) والثاني المنظم (Organizer) والثالث ضمن نطاق الوعي ويسمى الموجة (Monitor) (Dulay, Burt, and Krashen, 1982).

أ- فرضية النموذج المراقب أو الموجة (Monitor Model):

هذه الفرضية ترى العلاقة المتبادلة بين الاكتساب والتعلم. وترى بأننا في طلائقنا في إنجاز اللغة الثانية مدينون إلى ما اكتسبناه وليس إلى ما تعلمناه. إن التعلم موجود كموجه أو مرشد، ونلقن النطق عن طريق مقدرتنا المكتسبة، ثم نعود إلى قوانين الإدراك فيما بعد، ونستعمل الإدراك لتصحيح المخرجات من النظام المكتسب. وهذا يحدث قبل أن نتكلم أو نكتب، أو من الممكن أن يحدث فيما بعد، وهو ما يطلق عليه مصطلح التصحيح الذاتي (Self-correction). أما مهمة المراقب اللغوي الرئيسة فتتلخص في تنظيم التعلم

وتقويمه بصورة شعورية في المراحل المتقدمة من تعلم اللغة الثانية . أما مدى استخدام التوجيه والإرشاد (Monitor) فيعتمد على الأمور الآتية:

- ١- عمر المتعلم.
 - ٢- كمية التعليمات الرسمية التي خبرها المتعلم.
 - ٣- الطبيعة والتركيز المطلوب عن طريق الأداء الشفوي الذي تم إنجازه.
 - ٤- شخصية المتعلم المنفردة. دوليه (Dulay,p.59)
- وهذا ما يشار إليه " بالفروق الفردية" بين المتعلمين.
- وقد أثبت حديثاً أنّ هناك ثلاث حالاتٍ ضرورية لنجاح المرشد والموجه "Monitor" وهي:-
- الحالة الأولى: نحن بحاجة إلى وقتٍ للتعرف على القواعد ووضعها في حيز التطبيق.
- الحالة الثانية: نحن بحاجة إلى التركيز على الأسلوب أو التفكير الصحيح.
- الحالة الثالثة: نحن بحاجة لمعرفة القوانين. (بيرت ودوليه)
- (Burt&Dulay,1978)

ب- فرضية المدخلات (Input Hypothesis):

يرى كراشن (Krashen,1976) أنّ المدخلات (Input) يجب أن تكون ذات معنىً وملائمة لحاجات التلاميذ ليُصار إلى فهمها وإدراكها. وهذه الفرضية

تحاول أن تجيب عن سؤال مهم هو كيف نكتسب اللغة؟ وليس بمقدورنا أن نكتسب اللغة إذا لم نفهم المعنى المتضمن في المدخلات، والمدخلات إذا لم تكن واضحة فهي خلط وإرباك. وتدخل في ذلك تطبيقات كثيرة، فمثلاً نستطيع أن نطلب من التلاميذ المبتدئين أن يمضوا بعض الوقت في مشاهدة التلفاز باللغة المستهدفة أو أن يستمعوا للمحاضرة والتي يمكن أن تكون أعلى من مستوى فهمهم، ويمكن أن يستفيدوا من ذلك قليلاً. إن العالم خارج الفصل لا يستطيع أن يقدم الأفضل، لذلك يفضل في البداية الانتظام في فصول ولا سيما كبار السن لأن ذلك أفضل لاكتساب اللغة. وأكد كراشن (Krashen, 1985) أهمية تبسيط المعلم للمدخلات، لإمكانية تيسيرها وفهمها.

وناقش كل من تارون وليو (Tarone and Liu, 1995) بموجب المعلومات التي توافرت لديهما بدراسة أجريها ضمن ثلاثة مواقف، بأن تفاعل الدارس في مواقف متعددة يؤثر في عملية اكتسابه اللغة وسرعتها، ولكن بطرق ودرجات متفاوتة. بمعنى آخر "إن المدخلات وحدها غير كافية لاكتساب اللغة، لأن أي فرد عندما يستمع إلى اللغة، بإمكانه أن يفسر المعاني دون أن يفكر في قواعدها. فعلى سبيل المثال: إذا سمع أحد كلمة كلب ويعض وبننت، بغض النظر عن ترتيبها، فعلى الأرجح أن المعنى عض الكلب البننت. والأمر ليس كذلك في حالة المخرجات (Output) وذلك لأن الفرد مجبر على أن يضع الكلمات على الترتيب. لأن استخدام اللغة يجبر الدارس أن يتحرك من عملية دلالات الألفاظ إلى تركيب الجملة" (Swain, 1985). وباختصار يمكننا القول بأن المدخلات (Input) تتعلق بكيفية اكتساب اللغة الثانية، وليس في عملية تعلمها.

ويؤكد واجنر ووقوف وهاش (Wagner, Gough & Hatch, 1975) ذلك بقولهم: "إن العالم الخارجي عاجزٌ عن تقديم مدخلاتٍ مفهومةٍ للبالغين في اكتساب اللغة الثانية بينما في الفصل يستطيع أن يقدم أفضل". ومن المميزات الأخرى للمدخلات الجيدة، أن تكون ملائمة وذات معنى. إنه ليس من السهل في الوقت الحاضر أن يتبع الإنسان طريقة أو أن يتبنى نظرية من هذه النظريات، لأن النتائج التي تمّ التوصل إليها رغم إيجابية بعضها فهي لا تعطي حلاً شاملاً حول قضية "اكتساب اللغة". ومع ازدياد التجارب واستمرارها، وتدفق المعلومات وتحليلها، لم يتم التوصل بعد إلى حقائق مؤكدة تغطي ما يرغب الإنسان في فهمه ومعرفته حول الأطفال، إننا بحاجة إلى دراسات أكثر في المستقبل".

ويعتبر كراشن من أكثر المتحمسين والمؤيدين لأولوية المدخلات (Input) في اكتساب اللغة الثانية. ويؤيده كثيرون، منهم على سبيل المثال: بروفت ولارسن - فريمان ولونج، يرى بروفت (Brufit, 1994) و (Larsen- و Freeman & Long, 1991): "أن المدخلات المكثفة ضرورية للنجاح في اكتساب اللغة الثانية. ولكن بشرط تبسيط هذه المدخلات حتى يتم استعمالها بفاعلية من قبل المتعلم، ليتحقق له اكتساب اللغة وإتقانها".

وفرق كراشن (Krashen, 1981) بين الاكتساب وعمليات التعلم، فالأول يتعلّق بالفهم والتواصل أما الآخر فهو الوعي الموجه لاستعمال اللغة. وناقش كراشن أن عملية الاكتساب أكثر أهمية من عملية التعلم، ويجب أن تشجّع بالأنشطة التي تمارس المحادثة لا تمارين القواعد النحوية أو المفردات. وهناك العديد من الباحثين في مجال اللغة يؤكدون تبادل العلاقات عن طريق مهارات

اللغة الأربعة: - الاستماع والتحدث والقراءة وعمليات الكتابة. كوهين (Cohen,1995).

ولكراشن كتابٌ عنوانه فرضية المدخلات: " Input Hypothesis " وعلق سكوفل (Scovel,2001) على الكتاب بالقول: "إن هذا العنوان غير مناسب".

ويقرّر كراشن أنّ مستوى الصعوبة في مدخلات اكتساب اللغة الثانية، يجب أن يكون أعلى بقليل من مستوى المتعلم وقدرته الاستيعابية للغة الثانية. وقد رمز لها بالمعادلة الآتية: $i+I$

أي إنّ المتعلم يتحسن باستمرار لأنه يعطي اهتماماً للفروق بين المدخلات التي يفهمها (i) والفروق الأعلى مستوى نسبياً في المدخلات التي يحصلها (I+). وقد انتقد هذه النظرية كثيرون، وخلصوا إلى أنّ المزج في الأمر أنّ كراشن قدّم هذه المعادلة، من دون أن يشرح بوضوح كيف تكون المدخلات ملائمة لتعلم اللغة (Scovel, p85).

وقد رفض كلُّ من قاص وسيلنكر (Gass and Selinker,P.215) قول كراشن بأن المدخلات الكثيفة هي العامل الوحيد المؤدي إلى اكتساب اللغة الثانية. ويريان أن هناك خمس مراحل ضرورية للطريقة التي يتم بواسطتها تحويل المدخلات إلى مخرجات: ١- مدخلات مترابطة. ٢- مدخلات مفهومة. ٣- موصل لهذه المدخلات. ٤- التكامل. ٥- المخرجات.

ج- الراشح الانفعالي (Affective Filter):

تجسد هذه الفرضية وجهة نظر كراشن بأن هناك عدداً من المتغيرات الانفعالية، تلعب دور الميسر لا السبب في عملية اكتساب اللغة، وهذه المتغيرات تشمل: الدافع، الثقة بالنفس، القلق. كراشن (Krashen, 1988).

ويعتبر كراشن (Krashen, 1982) أن جميع مدخلات اكتساب اللغة الثانية تمر بوساطة مصفاة يطلق عليها اسم الراشح الانفعالي (Affective Filter) وهو يستطيع أن يقلص تدفق مدخلات اللغة إلى المتعلم، وذلك تبعاً لحالة القلق "Anxiety" التي تساوره. أي أنه كلما زاد القلق لدى المتعلم قلّ لديه اكتساب اللغة، وكلما قلّ القلق ازداد تدفق اللغة الثانية واكتسابها، سواء أكان هذا القلق ناتجاً عن ظروف شخصية أو صفيّة.

لذلك فإن الراشح الانفعالي يعيق تعلم اللغة عندما يكون نشيطاً، أي عندما يكون المدارس في وضع انفعالي سيئ كالقلق والخوف، وانعدام الحافز والدافعية، والتهيب وعدم الثقة بالنفس. وهذه الأوضاع العاطفية السلبية ترفع مستوى الراشح الانفعالي، وتقوي سماكته، فيعمل سداً يمنع وصول الدخل اللغوي إلى الدماغ. (AL-Abdan&Darweesh, 1997).

ويرى الباحث أن تخفيف حدة هذا الدافع يعود إلى المدرس وما لديه من قدرات على تهوين هذا الأمر وتبسيطه لدى الدارس. ولقد ثبت أن العاطفة مصدر رئيسي للتعلم، والتعلم الجيد لا يستبعد العواطف عن عملية التعليم. ويرى بيرت الحائز على جائزة علماء الأعصاب، أنه عندما يفسح المجال للتعبير عن العواطف فإن أجهزة الجسم كلها تتحد، وعندما تكبت العواطف فإن

شبكة الطرق السريعة في الدماغ تغلق، موقفةً بذلك سيلاً من المواد الكيماوية الإيجابية مثل السيروتونين والدوبامين التي هي جزء من نظام المكافآت الداخلي الذي يعيق كثيراً من الأعمال البيولوجية والسلوكية في الجسم. (Pert, 1997)

إن الأبحاث الميدانية في أواخر القرن الماضي، بدأت تُظهر نتائج مخالفة للتوجهات السابقة. ففي رأي لي دوكس (Doux, 1994) أن العواطف تثير الانتباه وتصنع المعنى، وأن لها مساراتها الخاصة في الدماغ. وأما كاغان (Kagan, 1994, 39) فيرى أن الاعتماد على المنطق وحده من دون أخذ العواطف بعين الاعتبار قد يؤدي بمعظم الناس إلى القيام بأعمالٍ سخيّةٍ أو مريكة. إنه لا يوجد فصل بين العواطف والعقل، فالمنطق يمكن أن يساعدنا في تحقيق الهدف. ولكن الذي يوجه القوى ويسوق الجسم بإمكاناته لتحقيق ذلك الهدف هو العواطف والمشاعر. جانسن (Jansen, 1999, P.72)

ويقف سكوفل (Scovel, 1978) في الصفّ المعارض لكراشن فيقول: "القلق كعدوّ لاكتساب اللغة أمرٌ غير معقول وغير دقيق ولا يمكن تبريره". ويشاركه علماء آخرون في وجهة نظره، ونصحوا بإعادة دراسته دراسةً موسّعةً. ومن هؤلاء العلماء إهرمان (Ehrman, 1996).

ويرى الباحث أن الإنسان: جسم، وعقل، وروح. وأن على المربي أن يعالج هذه الجوانب مجتمعة ولا ينظر إلى كل واحدة منها على حدة. وأن ترسيخ الإيمان عند الدارس كفيل وحده بالتغلب على القلق إذ إن القلق ينافي الإيمان والتوكل.

د- فرضية الاكتساب - التعلم (The Acquisition-Learning hypothesis) :

إن هذه الفرضية من أهم فرضيات كراشن وأكثرها تأثيراً في نظريته، وأوسعها انتشاراً بين اللغويين ومدربي اللغة. ويرى كراشن أن هناك نظامين مستقلين بخصوص اكتساب اللغة الثانية: النظام المكتسب ونظام التعلم. إن النظام المكتسب أو "الاكتساب"، هو نتاج ما وراء الوعي، وهو كثير الشبه بعملية اكتساب الأطفال لغتهم الأولى. والتي تتطلب تفاعلاً ذا مغزى باللغة الأم بالتخاطب المناسب طبيعياً، حيث يركّز المتكلمون على التواصل لا على شكل النطق. أما بالنسبة لنظام "التعلم" فهو نتاج التعليم الرسمي. ويجري ضمن نطاق الوعي، ونتيجته تتعلق بمعرفة اللغة والوعي بها، كمعرفة قواعد اللغة على سبيل المثال.

وبالنسبة لكراشن فـ "التعلم" أقل أهمية من الاكتساب (Schutz,2002).

هـ- نظرية بلياييف:

تجمع نظرية بلياييف العالم الروسي (Belyayev,1963) بين النظرية السلوكية والنظرية العقلية (Mentalist and Behaviourist). ويميّز بلياييف بين المعرفة والمهارات والعادات. وفيما يتعلق باللغة تتألف المعرفة عنده من حقائق مؤكدة حول قوانين لغوية. أما العادات فهي أفعال يمكن إنجازها من دون وعي فكري، وذلك كلفظ صوت معين أو كاختيار كلمات من المعجم. أما المهارات فهي مهارات اتصال تجري بوعي، مثل بعض أساليب استعمال اللغة تحت تأثيرات خاصة. وقد انتقد بلياييف التعليم القائم على شرح القوانين والقواعد المتعلقة بالتعليم (Communicative Language). ويرى أن

الستدريس يمكن أن يدفع المتعلم للأمام إذا كان متضمناً لأنشطة تختار خصيصاً لتطوير هذه الجوانب الثلاثة. إلس (Ellis,p28)

- نظرية ديفيد أوزابل (David Ausabel):

تعتبر نظرية أوزابل إحدى النظريات التعليمية التي تعتمد على البنى المعرفية في تفسيرها لعملية التعليم والتعلم، فالتعلم يكون ذا معنى لدى المتعلم إذا ارتبط بينيته المعرفية المخزونة لديه. ويعد أوزابل البنى المعرفية إطاراً يشمل الحقائق والمفاهيم والتعليمات والقضايا على شكل تنظيم هرمي، أعلاه المفاهيم الأكثر شمولاً وعمومية، ثم ينحدر تدريجياً مع التناقص كلما زاد الانحدار نحو قاعدته. (Lawton,J.andWanska,S.1979).

إن هذه النظرية المعرفية يمكن فهمها على أكمل وجه بالمقارنة بين الاستظهار من غير فهم مع التعلم ذي الهدف المحدد. ويصف أوزابل التعلم عن طريق الاستظهار بأنه عملية احتواء للمادة تشتمل على وحدات منفصلة لا يربطها رابط، تتصل بالبناء المعرفي بطريقة اعتباطية، دون أن تسمح بتأسيس علاقة ذات معنى. أوزابل (Ausabel,1968).

وتهتم هذه النظرية بالعوامل الداخلية المنظمة وخاصة بدور العمليات المعرفية الفعلية في اكتساب اللغة وتعلمها. وطبقاً لمفهوم هذه النظرية فإن التعلم ذا المعنى يساعد في تقبل المعلومات الجديدة وإضافتها إلى المخزون أو البنية السابقة. وقد قامت هذه النظرية على نتائج الدراسات والأبحاث في ميداني علم النفس وعلم النفس اللغوي. ومن مبادئ هذه النظرية الأساسية ما يأتي:

١- إن التعلّم مهارة معرفية معقدة تتضمن استعمال أساليب متنوعة للتعامل مع المعلومات للتغلب على المحدودية اللغوية.

٢- إن تعلم لغة ثانية يعني تعلّم المهارة اللازمة لذلك، ويتطلب ممارسة جميع جوانب هذه المهارة حتى تصبح متكاملة كأداء لغويّ طلقٍ وسليم إلى أن يصبح الأداء آلياً. وفي حال اكتساب اللغة فإن هذا التمثّل يعتمد على نظام لغويّ يشمل إجراءاتٍ لاختيار المفردات والتراكيب والمعاني المناسبة التي تحكم الاستعمال اللغوي (Sumadi and Abd Al hug, 1998).

نظرية اللغويات - النفسية (Psycholinguistics Theory):

استخدم مصطلح علم النفس اللغوي (Psycholinguistic) لأول مرة منذ الخمسينيات، وهو يتناول المناهج اللغوية لوصف المخرجات (Output) بالنسبة لمستخدمي اللغة، وعلى وجه الخصوص تحليل الوحدات اللغوية. ويدلنا هذا المصطلح على نقلة نوعية وتغيير في اتجاهات علماء النفس نحو السلوك اللغوي. ويطلق على هذه النظرية اسم (Holo Dynamic Model) وباختصار (H. D. M) وهي قائمة على فكرة مفادها أن تعلّم اللغة الثانية يتحقّق من تفاعل عناصر ذات طبيعة سيكولوجية ومعرفية، والتي تكون تحت سيطرة الصفات الشخصية للمتعلم. وشخصية المتعلّم يجب أن تكون عنصراً أساسياً في تعلّم أيّ لغة، كما يجب أن تكون عنصراً رئيسياً من عناصر أيّ نظرية من نظريات تعلّم اللغة الثانية. (Salma- Cazaco, 1961).

والمقصود بالشخصية نظام العلاقات المفتوحة الذي يربط ما في داخل الفرد مع المحيط الخارجي. ويقول نوتن (Nuttin, 1968): الشخصية " هي تفاعل النفس (Ego) مع العالم (World)". " إن الجمع بين الشخصية والبيئة يشكل نظاماً مفتوحاً" كما يقول بيرتالفي (Bertalanffy, 1950).

ويتألف هذا النموذج من ثلاثة مستويات مرتبة على شكل هرمي: الأعلى ويطلق عليه (Tactic Level): وهو السطح الأول في البناء اللغوي. والمستوى الثاني ويطلق عليه: (Strategic) وفي هذا المستوى يبدأ الفرد باستنتاج القوانين، ويختار ما يناسبه من الأحداث اللغوية. إن كل ما يقوم به المتعلم هو أمر عقلي ومعرفي بطبيعته. أما المستوى الأخير فيطلق عليه:

(Ego-dynamic) وهذا المستوى يتكون من المتغيرات الشخصية، كالخبرة، والاتجاهات والحالات الانفعالية، وأسلوب التعلم، والوعي العقلي. وهذه المظاهر جميعها تنسق وتضبط المستويين الأول والثاني، وأكثر من ذلك فهي تربطهما بالعالم الخارجي. (Titone, 1981).

الخلاصة:

إن استعراضنا لنظريات اكتساب اللغة نابع من شعورنا بأهمية اللغات في عالم اليوم، وهي ضرورة يفرضها الأمر الواقع. وقد أخذت به معظم الأمم المتقدمة منها والنامية. وذلك لمواكبة التطور، وتوسيع المدارك والاطلاع على تجارب الآخرين، وصدر بيان عالمي عن الأمم المتحدة عام ٢٠٠١ يبين أهمية تعلم اللغات في عالم اليوم.

- إن تدريس اللغة الثانية لا يعني امتياز هذه اللغة أو تفوقها على اللغة العربية، ولكن ينصح بتدريسها في مرحلة متأخرة، وذلك بعد أن يكون التلميذ قد استوعب أساسيات لغته الأم، وأتقن فعاليتها وتشبع بثقافته الوطنية، ويكون ذلك في صالح اللغتين (الأم والثانية). (Beadsmore, 1982).

- إن تدريس اللغة الثانية يساعد في تطوير لغتنا العربية، سواء أكان تدريسها كلغة أولى أو كلغة ثانية. ومعلوم أن هناك ملايين المسلمين من غير العرب لا يتقنون العربية لغة القرآن الكريم وهم بأمر الحاجة لتبسيطها وتسهيل انتشارها، لذلك أصبحت الحاجة ماسة للاستفادة من تجارب الآخرين، الذين سهلوا استيعاب وانتشار لغتهم حتى أصبحت اللغة الأولى في العالم. ولقد سجل علماءنا سبقاً بعيداً في هذا المضمار، فالإمام الشافعي قال: أرى أن لا يجري عقد زواج بين مسلم لا يتقن العربية ومسلمة تتقنها إلا إذا عرف من اللغة ما يعنيه عقد الزواج.

- إن الاطلاع على نظريات اكتساب اللغة الثانية يساعدنا في إعادة النظر في لغتنا؛ مفهومها ووظيفتها، حيث طرأت ظروف وأهداف جديدة وكذلك طرق حديثة لتعلمها وتعليمها.

- إن دراسة نظريات اكتساب اللغة الثانية، ستجعل المدرسين قادرين على أن يحدّدوا فرضياتهم حول تعليم جيد، ويتمكنوا من تطوير أفكارهم الخاصة فيما يتعلّق بالمتعلّمين الذين يدرسونها وكيف يكتسبون اللغة الثانية.

- تزوّد المسؤولين والقائمين على إعداد المناهج وتطويرها بالمعلومات ووجهات النظر المختلفة التي تمكنهم من استخدامها عند اتخاذ قراراتهم التربوية، وتساعدهم في تكوين فرضياتهم الخاصة بهم، بما يعود عليهم وعلى لغتهم بالخير.

- تقدّم الدراسة بعض المؤشرات والمعلومات التي تساعد على تكوين مشروعات تفيد في صياغة تعليم اللغة الأجنبية، وذلك على أسس علمية سليمة.

- تقر هذه الدراسة بأن الأطفال أسرع في تعلّم اللغات وفي إتقان ألفاظها من الكبار، ولكنهم أبطأ من الكبار في تعلم النحو والبنى اللغوية على الأقل في المراحل المبكرة من التعلّم. تشومسكي (Chomsky) وقد ضرب العرب بهذا الأمثال كقولهم: "العلم في الصغر كالنقش في الحجر". وقال شاعرهم:

إذا المرء أعبته المروءة يافعاً فمطلبها كهلاً عليه عسير

- تلعب عدة عوامل دوراً كبيراً ومؤثراً في اكتساب اللغة، مثل العوامل الاجتماعية والعمر والجنس والعوامل الشخصية الأخرى كالذكاء والدوافع

والاتجاهات. لذلك وجب على التربويين وأصحاب القرار التربوي والمدرسين مراعاة ذلك، عند وضع المناهج والخطط وتطبيقها في حجر الدراسة.

- لقد اتضح من الأبحاث المتعلقة باكتساب اللغة بعامه، وعلم النفس المعرفي بخاصة، أنّ اللغة ليست وسيلة للتخاطب الخارجي فقط، بل هي النظام الأساسي الذي يستخدمه الإنسان في التفكير حيث إنّ اللغة دوراً في صياغة التفكير، والمساهمة في التشكيل الثقافي والارتباط بالجزور، وتحقيق النقلة الثقافية المناسبة.

- إنّ الطلاب في البرامج ثنائية اللغة عندما يقارنون بطلاب أحاديي اللغة، تكون نتائجهم أفضل بشكل خاص في القراءة، والرياضيات والإنجليزية، بالإضافة إلى جوانب تحصيل ذات دلالة في مهارات الاستماع والقراءة والكتابة والاتجاهات نحو المدرسة.

وفي هذا يقول الشاعر:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه وتلك له عند الشدائد أعوانُ

فبادر إلى حفظ اللغات مسارعاً فكل لسانٍ في الحقيقة إنسانُ

- الاستفادة من خبرات وتجارب المعلمين في البرامج ثنائية اللغة، وذلك لاستعمالهم الكثير من المهارات الفعالة في تدريس اللغة، نظراً لتطور الوسائل المصاحبة لتدريس هذه اللغة، والتي خضعت لملايين البحوث من قبل أصحاب هذه اللغة وغيرهم. وهذا عكس واقع اللغة العربية حيث أهملها أبنائها. مع العلم أنّ هناك عشرات البحوث للمختصين والمهتمين من العلماء والباحثين العرب تهم وتخص اللغة الإنجليزية.

- لا توجد نظرية واحدة يمكن الاعتماد عليها في مجال اكتساب اللغة، ويمكن الإفادة من مبادئ وفعاليات المنهاج التكاملي. ويمكن الاستفادة أيضاً من توليف جوانب متعددة ظهرت إثر عرضنا لهذه النظريات في ثنايا هذا البحث المتواضع.

- ما نستخلصه من النظريات السابقة لا يشكل لدينا طريقة مفصلة لتعليم لغتنا العربية، ولكن بحذافة المختصين بالتعليم وإخلاصهم يمكن أن ينجحوا في اختيار الطرق المناسبة لنجاحهم في مهمتهم.

يلاحظ أن الدراسات المتعلقة باللغة عامة غربية المصادر، ولا يوجد أي إشارة أو اهتمام بالدراسات اللغوية عند العرب رغم أسبقيتهم بمعرفتها منذ مئات السنين.

ويرى الباحث أن أسباب إجحام اللغويين الغربيين عن ذلك، هو ارتباط اللغة العربية بالنص القرآني، وبالقيم الحضارية للعرب. ولو أن الغربيين وغيرهم وظّفوا جانباً من اهتمامهم ودراساتهم نحو الدرس اللغوي عند العرب، لوجدوا فيه فيضاً من العطاء ووفروا جهداً كبيراً وخدموا اللغات وأنصفوا علماء اللغة العرب.

References

- 1- Abo jyado, Saleh. (1998) Educational Psychology, Dar Al Maseerah Publishers: Amman.
- 2- AL- Abdan. Abdurrahman and Rashid Al-Darweesh.(1997).Majalat Jamiat Um- Algura, Strategies of Second Language Teaching, ISSUE 16, Year,10.
- 3- AL- Harithi, Ibrahim. (2001) Thinking, Learning and Memory in The Light of Brain Research. Al- Shargi Bookstore: Riyad.
- 4- AL- Kholi, M. (1982) The Life with Two Languages: Bilingual Language. Riyad: SA.
- 5- Ammar, Sam. New Approach in Teaching Arabic Language, Al Risalah publishers: Beirut.
- 6- Anto'n and DiCamilla.(1998).(in julie A. belz Second Language Plays as a Representation of the Multicompetent Self in Foreign Language Study, Lawrence Erlbaum Assocation, INC., USA.
- 7- Assayed, Mahmood. (1982) Methods of Teaching Arabic, Directorate of University Publications: University of Damascus, Damascus.

- 8- _____,(1998) *Linguistics and Language Teaching*,
Dar Almaref: Tonesia_ Safagos.
- 9- Ausubel, David A.(1968). *Educational Psychology: A
Cognitive View*, New York: Holt, Rinehart& Wins.
- 10- Baker, C.(1988) *Key Issues in Bilingualism and Bilingual
Education*, Clevedon, Multilingual Matteres.
- 11- Bandura, A. (1977) *Social Learning Theory*. Englewood
Cliffs, N. J.: prentice- Hall.
- 12- Banich, M. T. (1997) "Neuropsychological: The Neural
Bases of Mental Function. "Boston: Houghton- Mifflin,
p.306-312.
- 13- Benjamin Whorf (1956), (in Giltman L.R., Liberman M.,
and Usherson D (Eds.), *An Invitation to Cognitive science*
2nd ED. Volume 1: Language. Cambridge, Ma: MIT press,
1991.
- 14- Berk, (1998) "Developmental Psychology: Language
Development & Reading Acquisition".
- 15- Berko, Jean, (1958) *The Child's Learning of English
Morphology*. World 14: (In Douglas Brown, 1978).

- 16- Bertalanffy, L. (1950) "The Theory of OPEN Systems in Physics and Biology." *Science* 3. 23-28. Bickerton, Derek. (1981) *Roots of Language*. Ann Arbor, MI.: Karoma publishers.
- 17- Bialstok, E. (1992) (in Rod Ellis, *Instructed Second Language Acquisition*, "Learning in the classroom," Basil Blackwell: UK.
- 18- _____, (1988) *Psycholinguistic Dimensions of Second Language Proficiency*. (in Rutherford. and Sharwood- Smith, M.(eds), *Grammar and Second Language Teaching* Rowley, Mass, Newbury House.
- 19- Bigler, E.D. (1992) *The Neurobiology and Neuropsychology of Adult Learning Disorders*. *Journal of Learning Disabilities*, 25, 488-506.
- 20- Bloom, Lois (1970) *Why not Pivot Grammar?* *Journal of Speech and Hearing Disorder* 36: 40-50 .
- 21- Bloomfield, (1935) in Chomsky, N, *Principals and Parameters In Syntactic Theory,* in R H Robins. *A Short History of Linguistics*, Longman: London and New York, 1990, p.346.

- 22- Brown, Dogles. (1970) English Generalatinization and Sentence Comprehension in Child Language. Unpublished Doctoral Dissertation. University of California, Los Angeles.
- 23- Brown R.(1973) A First Language: The early stages. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- 24- _____, 1987(Principals of Language Learning and Teaching). 2ed Prentice- Hall, Inc., Englewood Cliffs, N. J.USA.
- 25- _____,(1995). Reading On Second Language Acquisition. Prentice Hall Regents: Englewood Cliffs, NJ.
- 26- Brufit, (1994). The Linguist and the Language Teaching Profession: Ghost in a Machine (in R. Barasch and C. James. eds., Beyond The Monitor Model).
- 27- Burt, M. and Dulay, H. (1978) Some Guidelines for the Assessment of Oral Language Proficiency and Dominance." TESOL Quarterly 12:2.

- 28- _____, (1981). The second language classroom: Optimal Language Learning Environments, New York: Oxford University Press.
- 29- Burt, M. and Dulay, (1978) Some Guidelines for the Assessment of Oral Language Proficiency and Dominance, *Tesol Quarterly* 12:2.
- 30- _____, (1975) " Factors Affecting Foreign Language Learning: A Consideration of Some Recent Findings. *Language Teaching and Linguistics Abstracts* 8.
- 31- Carroll, J. (1967) Foreign Language Proficiency Levels Attained By Language Majors Near Graduation From College. *Foreign Language Annals* 1: 131-51.
- 32- Chaplin, J.p. and T.S.Krawiec. (1979). *Systems and Theories of Psychology*, 4th ed. New York: Holt, Rinehart and Winston.
- 33- Chomsky, Noam. (1965) *Aspects, the Theory OF Syntax*. Cambridge, Ma: MIT. Press. 20 – Chomsky, NC19 *Aspects of the theory of syntax* cambridge MA: MIT. Press.

- 34- _____, (1981) Principles and Parameters in Syntactic Theory in Hornstein and Lightfoot, Explanation in Linguistics, "the Logical Problem of Language Acquisition". Longman: London.
- 35- _____, (1959) Syntactic Structure, The Hage Mouton.
- 36- Clark, Herbert. And Clark, Eve (1977) Psychology and Language: An Introduction to Psycholinguistics. New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc.: 33- Conrad, Christina. (1978) Second Language Acquisition. Net site.
- 37- Cook, Vivian (1991). Second Language Learning and Language Teaching. Chapman and Hall Inc. New York.
- 38- Crystal. David. (1998) The Cambridge Encyclopedia of Language 2nd, ed. Cambridge University Press: U.K.
- 39- Driessen, G. (1997a) Form Mother Tongue: Prospects for Minority Language Education in the Netherlands, (in T. Bongaets& k.DE BOT (Eds).
- 40- Dulay, H. And Burt M (1977). "Remarks On Creativity in Second Language Acquisition". New York: Regents.

- 41- Dulay, H, Burt, Marina and Krashen Stephen (1982) Language Two, Oxford University Press.
- 42- Dutcher, N. (1997) in Collaboration With Toker, G.R.: The Use of First and Second Language in Education: A Review Of Education: A Review of Educational Experience. Washington D.C., World Bank Country Department III.
- 43- Eckman, F. (1996) On Evaluating Arguments for Special Nativism IN Second Language Acquisition Theory, Second Language Research, 12, 398- 419.
- 44- Ehrman, M. (1996) Understanding Second Language Learning difficulties. Thousand Oaks, CA.: Sage Publications.
- 45- Ellis, R. (1998). Second Language Acquisition.. London: Oxford University Press.
- 46- _____, (1995). The Study of Second Language Acquisition, Oxford University Press: Oxford.
- 47- _____, (1992) Instructed Second Language Acquisition, Blackwell: Oxford UK and Cambridge USA.

- 48- Elman. J., Bates, E. A., Johnson, M., Karmiloff- Smith A, parisi, D., & Plunkett, k.(1997). Rethinking Innateness, Cambridge, Ma.: Press.
- 49- Fodor, J. Bever, T.& Garrett,M. The Psychology of Language. New York: McGraw- Hill.
- 50- Furnham, a. and S. Bochner. (1986) Culture Shock: Psychological Relations to Unfamiliar Environments. London: Merthuen in Scovel (2001).
- 51- Gasem J, Mithgal. (2000) Educational Psycology, Dar Assafa Lilnasher: Amman.
- 52- Givon, T. (1979) On Understanding Grammar, New York Academic Press.
- 53- Givon, T. (1984) "Universal SOIS Course Structure and Second Language Acquisition" (in Study, 1998).
- 54- Gelfand, D. M, Jenson, William and Clifford Drew (1982) Understanding Child Behavior Disorder. Holt, Rinehart and Winston: USA.
- 55- Hatch, E. (1978) "Discourse Analysis and Second Language Acquisition" in Study 1998.

- 56- Hudson, D. (1990) Socio- Linguistic. Translated by Mahmoud Ayyad. The World of Books: Cairo, p. 46.
- 57- Ibn Khaldoon. (1991) Al Mogadimah, Dar Al Maaref: Soosah- Toneasia.
- 58- Izzo, Suzanne. (1981). Second Language Learning. "A Review of Related Studies". National Clearing House For Bilingual Education.
- 59- Jansen, E,(1998) Teaching With Brain In Mind. Alexandria, Virginia: ASCD.
- 60- Jean, Piaget. (1968). Six Psychological Studies, With an introduction, Notes and glossary by David Elkind, translation from the french by Anita Tenzer, translated & edited by David Elkind, New York: Vintage Books, pp.88-98.
- 61- Kagan. (1994). Cited in Al- Harithi, Ibrahim. (2001).
- 62- Klein, Wolfgang. And Dittmar, Norbert. (1979) Developing Grammars: The Acquisition of German Syntax by Foreign Workers. New York: Springer-Verlag.

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

- 95- _____, (1998) *Linguistic Schools*, Translated by Muhammed Ziyad Kobbah, Riyadh: King Saud University, p.42.
- 96- Schutz, Ricardo (2002) "Stephen Krashen's Theory of Second Language Acquisition". *English Made in Brazil: Dejanero*.
- 97- Scovel, Tom (1978) The effect of affect: A review of the anxiety literature. *Language Learning* 28:129-142.
- 98- _____, (2001) *Learning New Languages "A Guide To Second Language Acquisition"*. Newbury: Canada.
- 99- Schumann, John (1978b) The acculturation model for second language research, *Applied Linguistics*.14, 295-306.
- 100- _____, (1976b) *Second Language Acquisition. The Indigenization Hypothesis*. *Language Learning*.26:135-143.
- 101- Skinner, B.F.(1957). *Verbal Behavior*. New York: Appleton – Century – Crofts.

- 102- Skinner, B.(1968)The Technology of Teaching New York: Appleton –Century – Crofts.
- 103- Slobin, D. (1973) Studies of Child Language Development. Holt, Rinehart& Winston.
- 104- Sotillo, Susanne.(2002) Current Theories of Second language Acquisition.Sotillo @mail.montclair
- 105- Sumadi , Oglah. And abd Alhug Fawaz (1998) Language Learning and Acquisition.” For Teaching and Learning Arabic” Majalat Majma Allugha AL Ordoni.
- 106- Swain, M.(1985) Communicative Cmpetence: Some rules of comprehensible input and coprehinisble output in its development.In Gass& C. Madden(Eds.), Input in Second Language Acquisition (pp.235-253).Rowley, Ma: Newbury House.
- The PSI CFE.(2002)” Social –Cultural Theory of Development” .A Psychology Recourse Site.
- 107- Tarone, E. and Liu, G.(1995) Situational Context, Variation and Second Language Acquisition Throphy. In G.Cook and Seidlhofer(Eds), Principale and Practice in

Applied Linguistics: Studies in honour of Widowson
England Oxford University press.

Titone, Renzo.(1981)The Holistic Approach to Second
Language Education”. In James E.Alatis, Howard B.
Altman and Penelope M. Alatis, The Second Language
Classroom: Directions of the 1980’s.

108- Toug and adas A.(1984) (in Abo jado, S.Dar Al
Maseerah: Amman, 1998, P.81.

109- Tucker, G . Richard.(1977) “The Linguistic perspective”
In Linguistics, Bilingual Education: Current
Perspectives, vol.2.

110- Vegotsky, L.(1962) Mind in Society.Cambridge,MA:
Harvard University Press.

111-_____, (1962) Thought. and Language.: MA: IT
press.

112- Wagner –Gough, J.and Hatch,E.(1976)” The Importance
of Input Data in Second Language Acquisition Studies”
Language Learning 25.

- 113- Walsh C.A(1991) .Pedagogy and the Struggle for Voice :
Issues of Language, power, and Schooling for Puerto
Ricans Toronto: OISE press.
- 114- Weldon, C. (1997) Feminist Practice and Poststructuralist
Theory. Second Edition. London: Blackwell.
- 115- Wertsh, J. V (1985).Cultural, Communication and
Cognition:Vygotskian Perspectives.Cambridge
university Press.
- 116- Wong Fillmore, Lily .(1976)" The Second Time Around "
Cognitive and Social Strategies in Second Language
Acquisition ". Ph.D Dissertation, Stanford University.
(in Izzo, 1981).



ثانياً: مع الكتب



قراءة في كتاب:

"الأخطاء الشائعة في استخدامات حروف الجر"

للدكتور محمود إسماعيل عمّار "بحث نصي"

د. ياسين أبو الهيجاء

جامعة الإسراء

لا مرء في أن العربية تعيش في عصرنا هذا فوضى لغوية عارمة؛ وأبرز أسبابها الإقبال غير المسبوق على استخدام اللغة، فوسائل الإعلام بشتى أنواعها تنتشر انتشاراً لم تنتشره من قبل، يقابل هذا ضعف مستشر في العربية، لدى من يفترض أنهم من المختصين فيها، قبل أن يكون لدى غيرهم، يضاف إلى ذلك أن المؤثرات في الحياة اللغوية خرجت من أيدي المعنيين على أن هذه الحقائق - على مرارتها - لا تعني أن يترك الحبل على الغارب، بل يجب مناقشة التعبيرات والأساليب المُحدثة وتمحيصها، وإجازة ما كان منها لإجازته سبيل. وهذا يقتضي أن تُعالج تلك التعبيرات والأساليب معالجة بعيدة من الرفض المسبق، والاتهام بخرق القوانين اللغوية، لا سيما أن الكثير منها أصبح منتشرًا، والتلويح بالمعجمات في وجه تلك الاستعمالات، وجعلها سيوفاً مصلتة على رقابها مرتقى غير يسير ولا مأمون، لا من حيث الاستقراء المعجمي، ولا من حيث استخدامها عند القدماء، وينبغي ألا يغيب عن كل هذا معطيات الحضارة الحديثة وما أنتجته من تعبيرات، وأساليب، فضلاً عن الألفاظ، والاحتكام في هذه التراكيب إلى المعجم، لن يفضي إلى شيء ذي بال في الكثير منها.

وقد قرأت في هذا الصدد كتاب الدكتور محمود إسماعيل عمار "الأخطاء الشائعة في استعمال حروف الجر"، وهو كتاب طريف في موضوعه، بذل فيه مؤلفه جهداً يستحق الثناء. وقد قرأته منذ زمن، وسجلت على حواشيه كثيراً من الملحوظات، والنصوص التراثية التي تدفع ما يقول به من تخطئة جملة من التعبيرات والأساليب، ثم وجدتني أعود إليه، فأقيد ملحوظات جديدة، وقد رأيت أن أخرج ذلك مخرجاً، يناقش بعض الآراء التي احتج لها المؤلف في تخطئة بعض الاستخدامات اللغوية، وقد عنيت بآراء مجمع اللغة العربية في القاهرة- إن كانت مما يمت بصلة إلى القضايا المطروحة - تلك الآراء المخمورة لدى الكثيرين.

لقد دفع المؤلف إلى عمله هذا ما رآه من توسع في استخدام حروف الجر، إذ يقول: "وجدت حروف الجر في لغتنا المعاصرة قد جرى التوسع فيها، عما عهدته العربية من استعمالات ومعان وتراكيب، ورأيت الموضوع - كما قال ابن جنّي - جديراً أن يوضع فيه كتاب ضخم"^(١). ويردف قائلاً: "وقد تتبعت الخلل في استعمال حروف الجر، في لغتنا المعاصرة، كما يظهر في الكتابة والخطابة والشعر... وفي ضوء تصنيف هذه الأخطاء، تمثل البحث في ستة فصول"^(٢). وينبئ هذا القول بشيئين: أولهما أن ثمة خللاً في استخدام حروف الجر، وثانيهما أن هذا الخلل مما أحدثه المعاصرون، غير أن المسألة تحتاج إلى تمحيص كبير وروية عميقة، فيما يجوز ولا يجوز في هذا الصدد، وهي مراقبة وعرة كما ذكرت قبلاً. وفي هذا البحث أنا معنيّ بأمرين، أولهما وأهمهما استقرار

(١) الأخطاء الشائعة في استعمال حروف الجر: ١٣.

(٢) نفسه: ١٨.

النصوص عند القدماء والمتأخرين وبعض المعاصرين، في محاولة لرصد استخدام هؤلاء للأساليب والتعبيرات موضع التخطئة، فهذا البحث هو بحث نصّي بشكل رئيس، وثانيهما محاولة تقصي سبب هذا الخروج عن المؤلف في استخدام حروف الجر، إن كان ثمة سبب يلوح وراء ذلك.

وقد تَخَيَّرت ست عشرة مسألة، ممّا يتسع له هذا المقام، بدا لي أنها أكثر تداولاً بين الكتاب والمتقّفين؛ لذلك قدمتها على غيرها. وتحمل معالجة هذه المسائل فكرة معينة، ألا وهي التحريّ والتثبت في مسألة تخطئة وتصويب التعبيرات والأساليب اللغوية لدى المحدثين، فنحن نعاني اليوم من هوة هائلة بين اللغويين والمتقّفين. فاللغويون يتحصّنون وراء المعجمات والشواهد اللغوية، والمتقّفون - وعلى الأخصّ الكتاب بشتى أصنافهم - يرفعون راية شعراء عصر الاستشهاد" علينا أن نقول وعليكم أن تؤولوا"، على كثرة الدخلاء والمستكثبين في طرف المتقّفين، وقد تتعدم القنطرة التي يلتقي فوقها الطرفان. ويزيد هذه الهوة اتساعاً غياب الهيئة اللغوية التي تعمل بمنزلة المصفاة اللغوية التي تمر من خلالها الاستخدامات المحدثّة، ورأس الأمر الذبوع والتقاط الكتاب والمتقّفين لهذه التعبيرات، ثم نشرها على ألسنتهم وأقلامهم.

ومصادر البحث كما أقرها المؤلف تصنف في أربع مجموعات، وهي: كتب المعجمات، والكتب المعنية بالأخطاء اللغوية، والقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الجاهلي، وأخيراً كتب النحو للوقوف على بعض القواعد، أو الاستشهاد بما ورد فيها. وقد توزعت الأخطاء بين تغيير حرف الجر، وإسقاطه، وزيادته، وإدخاله على غير مجروره الأصلي.

وأهم ما ينبغي أن أؤكد عليه مرةً أخرى في هذا البحث أنه بحث نصي بالدرجة الأولى، وعلى هذا فالإطالة في سرد مواضع وجود التركيب أو التعبير موضوع البحث، ليست بالإطالة المملة، ولا بالزيادة المخلة، وإنما هي شيء مقصود لذاته، يهدف إلى تتبّع سيرورتها، وأوجه تطورها، ولئن تقاطع هذا مع البحث التاريخي في بعض جوانبه، فهو يفارقه في انصرافه عن الاستقصاء التام للظاهرة المدروسة. ولست بزاعم بما جمعت من نصوص، أثبت بها تلك الاستخدامات، أن سبب استخدام المحدثين لتلك التراكيب أو التعبيرات، إنما هو وقوع الكتاب على تلك النصوص، فقد يكون ذلك، ولكن ليس بشرط، وإنما هي محاولة لتسجيل سبق القدماء في الخروج على تلك القواعد الذهبية التي صاغها اللغويون، وأصحاب المعجمات على رأسهم، وأن الكتاب المحدثين ليسوا بدعاً من المستخدمين، وأن سبب خروج القدماء قد يكون سبباً يسلكه المحدثون، فيفضون إلى النتيجة نفسها. وقد اتخذت ميداناً للبحث طائفة كبيرة من الكتب، تضمّ عشرات المجلدات، من كتب الأدب واللغة والفقه والتاريخ والمعجمات والسير والرحلات، وما كان هذا البحث ليظهر لولا توفيق الله أولاً، ودور الحاسوب الكبير فيه ثانياً، وكان استغرق السنوات الطوال قبل الوصول فيه إلى النتائج التي انتهى إليها.

• ينبغي عليك أن تفعل كذا:

يقول المؤلف في ما غيّر فيه حرف الجرّ، من الاستعمالات الخاطئة قولهم: "ينبغي عليك الحضور، وينبغي عليك أن تستعدّ للاختبار...، وهذا الفعل تُستعمل معه (اللام)، ولا تستعمل معه على، قال تعالى: "لا الشمس ينبغي لها أن تُدرك القمر" (يس ٤٠) و "وما علّمناه الشعر وما ينبغي له" (يس ٦٩) و "وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي" (ص ٣٥).

وعلى ذلك تقول: "ينبغي لك الحضور" و"ينبغي له أن يستعدّ، ويجوز أن يستخدم بدون اللام، فيقال، ينبغي أن يحضر" و"ينبغي أن يتابع أولياء أمور التلاميذ أبناءهم"، وفي النفي تقول: "ينبغي ألا تتأخّر عن الطائرة" (٣)، وقد خطأ زهدي الجار الله التركيب المذكور من قبل (٤).

إنّ أول ما يمكن أن يسجّل في الكلام على هذا التعبير قلة استخدامه نسبياً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى الاجتزاء فيه بالمضارع من الماضي "انبغي"، الذي يستخدم نادراً (٥)، وبعد تتبّع الفعل "ينبغي" في عشرات المجلدات، عند القدماء والمتأخرين وجَدْتُهُ يُستخدم على خمسة أوجه، أولها وأكثرها وأشيعها أن

(٣) الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجرّ: ٥٧.

(٤) الكتابة الصحيحة: ٤٩.

(٥) وممن استخدمه ابن جنّي في "الخصائص": ١٨٥/٢. ومن زعم أن الكاف في ذلك اسم انبغى له أن يقول ذلك نفسك" وابن تيمية في "درء تعارض العقل والنقل": ٦٦/٦. وإنما انبغى للعبد أن يفعلها لأنها نسبة شريفة.

يلبي "ينبغي" المصدرُ المؤولُ؛ "أن" والفعل المضارع^(٦)، وقد يفصل بينها وبين المصدر المؤول بشبه جملة، مكونة من جار هو (اللام) ومجرور، نحو: "ينبغي له أن يفعل كذا"^(٧)، وهو كثير أيضاً، وأقل منه أن يكون الجار هو (على)، على سبيل الجملة المعترضة، نحو^(٨) "ينبغي" على هذا، أو "على ما ذكره"، أو "على قياسه" أن يكون كذا، وأندر شيء أن يلي "ينبغي" حرف الجرّ "باء" داخلةً على ضمير المخاطب، ولم أقع عليه إلا مرة واحدة في تاريخ دمشق، في حديث ابن المقرئ، وهو مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، إذ جاء فيه^(٩): "يا مقداد هذه بركة كان ينبغي بك أن تعلمني حتى توقظ صاحبينا"، وثانيها ذكر "ينبغي" دون أن يليها شيء، نحو^(١٠) "الحمد لله الذي خلق كل شيء كما ينبغي"، وهو قليل، وثالثها أن يليها الفاعل صريحاً، وقد يليه اسمٌ مقترنٌ باللام نحو^(١١) "سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ"، و^(١٢): لا ينبغي هذا للمتقين"، وقد يفصل بينها وبينه شبه

(٦) ينظر على سبيل المثال: صحيح البخاري: رقم: ٣٢٤٣ (المناقب)، سنن الترمذي: ٨٩٩ (الجنائز)، ١٠٣٩ (النكاح)، ١٥٧١ (فضائل الجهاد)، سنن أبي داود: ١٧٣٥ (المناسك)، ٢٣٠٠ (الجهاد)، ٤٥٨٤ (الأدب، مسند أحمد: ٢٩٠٣) (مسند بني هاشم، (موسوعة الحديث الشريف).

(٧) ينظر على سبيل المثال: صحيح البخاري: رقم: ٢٩٥٤ (بدء الخلق)، ٥٦٧٢ (الأدب)، ٦٤٩٣ (التعبير)، صحيح مسلم: ٢٦٣، ٢٦٤، (الإيمان)، ٣٢٥٧، اللقطة، ٤٢٧١ (الفضائل)، ٤٣٥٧ (فضائل الصحابة)، (موسوعة الحديث الشريف).

(٨) ينظر: لسان العرب (سلق)، دلائل الإعجاز: ٢١٨، المثل السائر: ١٩١، ٣٥٣، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: ١٨٦/١، تفسير القرطبي: ١٥٤/٣، ١٧٤/٧، ١٨٥/١٣، عيون الأنبياء: ٥٢. (٩) تاريخ دمشق: ٣٧٨/٤.

(١٠) موطأ مالك: (الجامع)، (الحج)، (البيوع)، (موسوعة الحديث الشريف).

(١١) سنن الترمذي: ٣٣٤١ (الدعوات)، وينظر: مسند أحمد: ١١١٨٣، ١١١٨٤ (باقي مسند المكثرين من الصحابة)، موطأ مالك (البيوع)، (موسوعة الحديث الشريف).

(١٢) البخاري: ٥٣٥٥ (اللباس)، ومسلم: ٣٨٦٨ (اللباس والزينة)، سنن النسائي: ٧٦٢ (القبلة)، مسند أحمد: ١٦٧٠٤ (مسند الشاميين)، (موسوعة الحديث الشريف).

جملة، نحو، "ولا ينبغي عندي التنازع"^(١٣)، وهو قليل أيضاً، ورابعها الذي خطأه المؤلف، وقد وقعت عليه في نصوص نادرة عند المتأخرين، كالقرطبي (٦٧١ هـ) ^(١٤) "هكذا ينبغي على أئمة الحاج فمن دونهم"، والمالقي (ت ٧٤١ هـ) في "مقتل الشهيد عثمان"^(١٥) "فكان ينبغي عليهم أن يقاتلوا عنه وينصروه" والزرعي (ت ٧٥١ هـ) في "مدارج السالكين"^(١٦) "هذا لو قام بما ينبغي عليه أن يقوم به لسيده من حقوقه".

إن معالجة هذا التركيب بعيداً من المعنى، هو جهادٌ في غير ميدان، فـ "ينبغي" في كل أنماط تركيبها - المذكور آنفاً - عند القدماء والمتأخرين، باستثناء النمط الرابع الذي خطأه المؤلف، يختلف عن معنى "ينبغي عليه"؛ من قَبْلِ أَنْ الْأَوَّلِ مَحْمَلُهُ إِمَّا عَلَى مَعْنَى يَصْلُحُ لَهُ، أَوْ "يَحْسُنُ بِهِ"، أَوْ "يَسْتَحِبُّ لَهُ"^(١٧)، ولا يخرج في الأنماط المذكورة عن أحد هذه المعاني، أمّا تركيب "ينبغي عليه" فيحمل معنى الوجوب والقسر، والقدماء لم يعرفوا هذا المعنى لـ "ينبغي"، إلا ما وجدناه عند بعض المتأخرين في النصوص المذكورة. وعلى هذا فإن من يستخدم تركيب "ينبغي عليه"، يُضْمَنُ "ينبغي" معنى جديداً هو "يجب"، فهل يجوز هذا التضمين أم لا؟ تلك هي القضية.

(١٣) ينظر على سبيل المثال: صحيح البخاري: ١١١ (العلم)، ٢٨٢٥ (الجهاد والسير)، ٢٩٣٢، (الجزية والموادعة)، ٤٠٧٨ (المغازي)، وصحيح مسلم: ٣٠٨٩ (الوصية)، ومسند أحمد: ١٨٣٤ (مسند بني هاشم)، (موسوعة الحديث الشريف).

(١٤) تفسير القرطبي: ٤١٨/٢ (٩٣/٢)؛ دار الكتب العلمية، بيروت).

(١٥) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان: ١٩٦.

(١٦) مدارج السالكين: ٤٤١/٣.

(١٧) ينظر (بغى): الجمهرة، وتهذيب اللغة، واللسان.

لقد أجازَ مجمعُ اللغة في قرار لا يَعدُّ الجُرأةَ التضمينَ^(١٨)، وأصدر في ذلك قراراً، ولم يتكَبَّ جاذة الصواب، وهذا التعبير تتوافر فيه الشروط الثلاثة التي أقرها المجمع لجواز التضمين، وهي المناسبة بين الفعلين، ووجود القرينة، وملاءمته للذوق العربي. أمّا سبب تضمين بعض المتأخرين، وجلّ المحدثين "ينبغي" هذا المعنى القسري بشكل واسع، فلا يبعد أن يكون قد وصل إليهم من الاستخدامات الكثيرة لـ"ينبغي" مقرونة بحرف الجرّ "على" على سبيل الجملة المعارضة، المشار إليه، في النمط الأول، ثم نُظِرَ إلى هذا الحرف على أنه لصيقة لهذا الفعل، فساوى عندهم "يجب على"، وقد يكون وراء ذلك الفهم الخطأ لمعنى "ينبغي"؛ ذلك أنّ جلّ السياقات التي ترد فيها، يمكن حملها فيها على معنى الوجوب، خلاصة الأمر ولد هذا التعبير الجديد؛ عند المتأخرين على استحياء، وعند المحدثين بشكل واسع، والأصوب أن يُقبل، وقد أصبح مستخدماً، ولا يضير ذلك التعبير الفصيح القديم، الذي لم يعد متداولاً، إلا في نطاق محدود.

يتابع العمل عن كُتب:

وهذا التعبير أيضاً أدرجه المؤلف في باب تغيير حرف الجرّ، وذكر أنهم يقولون: المسؤول يتابع العمل عن كُتب أو راقبه عن كُتب، وقد أشرفت على تنفيذه عن كُتب، فيستعملون "عن" موضع "من" ويستعرض مادة كُتب في المعجمات، ويخلص إلى أنها تدل على تجمّع، وعلى قرب، والكُتبية القطعة المرتفعة المجتمعة.. ويقال رماه من كُتب، وطلبه من كُتب عن قرب، ولذا فالصواب أن تقول "يتابع العمل من كُتب"، ويراقبه من كُتب، وفي حديث بدر

(١٨) مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً: ٦٠، الدورة (١) الجلسة (١٧).

"فارموهم بالنبل من كَثَب"، جاء في اللسان: ويقال: هو يَرْمِي من كَثَبٍ، ومن كَثَمَ أَي من قُرْبٍ وَتَمَكَّن؛ قال الشاعر:

فَهْـذَانِ يَهْـذَوَانِ وَذَا مِنْ كَثَبٍ يَرْمِي
وقال الآخر:

رَمَتُ مِنْ كَثَبِ قَلْبِي وَلِمْ تَرْمِ بِكُتَابِ^(١٩)

ويُردف قائلاً: ولا محلّ لقول المنجد "رماه من كَثَب أو عن كَثَب"^(٢٠).

وقد عرض العدناني لهذا التركيب "عن كَثَب" من قبل، وسجّل استخدام الحريري له في "المقامة الزبيديّة"، كما ذكر إجازة "محيط المحيط"، و"أقرب الموارد" استعمال جملي "رماه عن كَثَب"، و"رماه من كَثَب"، ويجيزه بناءً على رأي ابن جنّي، الذي يُجيز تناوبَ حروف الجرّ مادام المعنى لا يتغير، على أنه يرى أنّ استخدام من كَثَب أعلى؛ لأن المعجمات تنصّ عليها^(٢١).

وإذا يَمَمنا صوب النصوص لفت نظرنا استئثار الشعر بتركيب "عن كَثَب" بالدرجة الأولى. وأوّل ما نقع عليه من ذلك مجموعة من الأبيات نسبها عمرو بن معدّي كَرِب إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ذكرها ابن عساكر، وابن كثير^(٢٢) ومستهلّها هذا البيت:

بِالْغَدْرِ نَلْتُ أَخَا الْإِسْلَامِ مَا إِنْ سَمِعْتَ كَذَا فِي سَالِفِ الْعَرَبِ

(١٩) الكُتَاب: السهم.

(٢٠) الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجرّ: ٩٥.

(٢١) معجم الأغلط اللغوية المعاصرة: ٥٧١.

(٢٢) تاريخ دمشق: ٣٩٥/٤٦، والبداية والنهاية: ٣٤٦/٢.

وَجاءَ أيضاً عند بشار (ت ١٦٧هـ) إذ قال^(٢٣):

من قرَّ عيناً رماه الدهرُ عن كُثْبِ والدهرُ رامٍ بإصلاحٍ وإفسادِ
وابن المعتز^(٢٤) (ت ٢٩٦هـ):

ورثتُ الخلافةَ عن والدِ فأحرزتُ ميراثه عن كُثْبِ
كما جاء عند المتنبّي (ت ٣٥٤هـ)^(٢٥):

إن ترمي نكباتُ الدهرِ عن كُثْبِ ترمي امرأً غيرَ رعيديٍّ ولا نكسِ
وقال في رثاء أخت سيف الدولة:

وهل سمعتَ سلاماً لي ألمَ بها فقد أطلتُ وما سلّمتَ عن كُثْبِ

وهذه الرواية ذكرها صاحب "قرى الضيف"^(٢٦). وفي رواية العكبري "من
كُثْبِ"^(٢٧).

وأبو فراس الحمداني (ت ٣٥٧هـ)^(٢٨):

فوافتك تعثّر في مرطِها وقد رأيت الموت من عن كُثْبِ

والسريّ الرّفاء (ت ٣٦٦)^(٢٩):

وجانبتك صروفُ الدهرِ فانصرفتُ وقابلتك سُعودُ العيشِ عن كُثْبِ

(٢٣) ديوانه: ٢/٢١١، تحقيق صلاح الهواري، دار ومكتبة الهلال، ط ١، ١٩٩٨.

(٢٤) ديوانه: ٦٦، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم.

(٢٥) ديوانه: ٢/١٨٨.

(٢٦) قرى الضيف: ١/٢٠٨.

(٢٧) ديوانه: ١/٩٢.

(٢٨) ديوانه: ٢٠، ٣٠، دار صادر، ١٩٦٦.

(٢٩) قرى الضيف: ٢/٢٠٢.

والصاحب بن عبّاد (ت ٣٨٥هـ) وهو من بُلغاء عصره^(٣٠):

فحاز خصل الرهان عن كُثبٍ وفرجت عنده مضايقتها
كما جاء عند الشريف الرضي^(٣١) (ت ٤٠٦هـ)، إذ يقول:

نفسى تقيك فكم وقيتني بيدٍ وقد أظّ بيّ الرامونَ عن كُثبٍ

وقال:

ولو عة تحطم الضلوع إذا ذكرت قرب اللقاء عن كُثبٍ

وقد استخدم أيضاً من كُثب^(٣٢):

ومعرك صافحت أيدي الحمام به طلى الرجال على الخرصان من كُثبٍ

وعرّج على الغرّ من هاشم فأهد السلام لهم من كُثبٍ

وابن زيدون (ت ٤٦٣هـ) في قصيدته المشهورة "أضحى التتائي"^(٣٣):

ولا اختباراً تجنّبناه عن كُثبٍ ولكن عدّتنا على كُره عوادينا

وأبو الفتح البُستي (ت ٤٠٠هـ)^(٣٤)، فيما رواه ابن عساكر::

مهلاً فقد أوجدت من عدم وتصير عن كُثبٍ إلى عدم

وابن حيّوس^(٣٥) (ت ٤٧٣هـ):

سأعود عن كُثبٍ وإن لم تُبق لي فعلائك الحُسنى إليها مرجعا

(٣٠) نفسه: ٣٩١/٢.

(٣١) ديوانه: ١٠١/١، ١٥٢، وزارة الإرشاد الإسلامي، إيران.

(٣٢) نفسه: ١١٣/١، ١٢٨.

(٣٣) ديوانه: ١٤٧، تحقيق علي عبد العظيم، دار نهضة مصر.

(٣٤) تاريخ دمشق: ١٦٥/٤٣.

(٣٥) ديوانه: ٣٥٦، تحقيق خليل مردم بك، دار صادر، ١٩٨٤.

وأبو الصلت^(٣٦) (ت ٥٢٩هـ)، فيما ذكره ابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ) في "عيون الأبناء في طبقات الأطباء":

سَهَمٌ مِنَ اللَّحْظِ رَمْتِي بِهِ عَنْ كُتُبِ قَوْسٍ مِنَ الْحَاجِبِ
وَأَنْشَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَيْضاً لِفَخْرِ الْقِضَاةِ^(٣٧):

العبد يذكر مولاه بما سبقت وعوده لعماد الدين عن كتب
وقد استخدمه سبط التعاويذي (ت ٥٨٣هـ) تسع مرات^(٣٨)، نحو قوله:

وقد حدثتني معالي الأمور بأني سأدرکها عن كتب
وقوله:

مُؤَدِّةٌ أَنْ أَوْ لَـ عِى بَعْدَهَا عَنْ كُتُبِ
وقوله:

كَمْ شِدَّةِ أَيْسَتِكَ مِنْ فَرَحٍ يَعْقُبُهَا وَالرِّخَاءِ عَنْ كُتُبِ
وابن الرقا (٥٨٦هـ) فيما رواه العكري في "شذرات الذهب"^(٣٩):
قَرَأْتُ خَطَّ عِذَارِيهِ فَأُطْمَعِنِي بَوَاوِ عَطْفٍ وَوَصَلَ مِنْهُ عَنْ كُتُبِ
والعماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ)^(٤٠):

فَتَحَّتْ مِصْرَ وَأَرْجُو أَنْ تُصِيرَ بِهَا مَيْسِرًا فَتَحَّ بَيْتَ الْقُدْسِ عَنْ كُتُبِ

(٣٦) عيون الأبناء في طبقات الأطباء: ٥٠٩.

(٣٧) نفسه: ٦٥١.

(٣٨) ديوانه على التوالي: ٢٨، ٤٦، ٤٧، وينظر: ٥٨، ١٣٢، ٢٠٠، ٣٥٧، ٤٠٩، ٤١٦. عني

بتصحيحه مرجليوث، مطبعة المقتطف، ١٩٠٣.

(٣٩) شذرات الذهب: ٣/٣٠٩.

(٤٠) ديوانه: ٨٠، ١٧٠ (تحقيق د. ناظم رشيد، ١٩٨٣).

وقال أيضاً:

قضى القضاء بما نرجوه عن كذب حتماً ووافقك التوفيق والقدر

وقال ابن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ) (٤١) :

واستعطفته فوافقتها عواطفه وأكذب الصلح إذ نادته عن كذب

وروى صاحب الروضتين لسديد الدين بن زقيفة (٤٢) (٦٣٥هـ):

ويحمل الفاضل الطبع الكريم على حسن الجزاء لمولى العرف عن كذب

كما جاء عند ابن نباتة (ت ٧٦٨هـ) يمدح ابن أبي المواهب (٤٣):

قالت أياديه للحساد عن كذب ما أقرب العز إلا أنها همم

وله أيضاً (٤٤):

بيننا وفود العلى والعلم ينزلهم إذ نازلتنا فيه الليالي عن كذب

وذكر صاحب "قرى الضيف" لأحمد بن محمد الكحال (٤٥):

فلا تضيع سرورا جاء عن كذب عجزا فتكتسب التويخ والفندا

(٤١) ابن سناء الملك حياته وشعره: ٤، تحقيق محمد نصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧ م.

(٤٢) نفسه: ٧١١/١. (هذا من قرى الضيف على الأغلب)

(٤٣) ديوانه: ٤٠٤ (دار إحياء التراث).

(٤٤) طبقات الشافعية الكبرى: ٣١٨/١٠.

(٤٥) نفسه: ٥٠٦/١.

كما ذكر لمحمد بن أحمد العطار^(٤٦):

للدين واستيقظت من نومها الهمم

هبت به ربح نصر الله عن كذب

ولللخيل بن أحمد السجزي^(٤٧):

بملاء عينيه فلينظر إلى الباني

أو سره أن يرى رضوان عن كذب

وجاء في "معجم البلدان"^(٤٨)، فيما روى أعشى همدان:

عين وراء وماء يذهب اللغبا

ثم اعدلوا شامة فالماء عن كذب

أما المؤلفات، فأول ما وقعت على استخدام تركيب "عن كذب" كان في "دلائل الإعجاز"^(٤٩) للجرجاني (ت ٤٧٤هـ).. لأن الدليل عليه حاضر معه، والشيء بحيث يقع العلم به عن كذب". وجاء في "جمهرة خطب العرب" في حديث "مصاد بن مذعور القيني"^(٥٠) "قاله غيرهن نشب وسيثوب عن كذب"، و"المواقف" لعضد الدين الإيجي (٧٥٦هـ)^(٥١) "ويحق الحق ويبطل الباطل، من ذينك الدليلين المتعارضين عن كذب؛ أي قرب". ونفح الطيب^(٥٢) "فاستحکم عن قرب واستغلظ عن كذب"، كما نجده في "الظلال"^(٥٣) "وحيث تطالع العين آثارهم ومساكنهم عن كذب"

(٤٦) نفسه: ٧٦/٢.

(٤٧) نفسه: ٣٨٨/٤.

(٤٨) معجم البلدان: ١٠٦/١.

(٤٩) دلائل الإعجاز: ٣٥٣.

(٥٠) جمهرة خطب العرب: ٨٧/١.

(٥١) المواقف: ١٠٧.

(٥٢) نفح الطيب: ٤٠٤/٥.

(٥٣) في ظلال القرآن: ٢٣٥٦ (طه ١٢٨-١٢٩).

وعلى هذا فاستخدام تركيب "عن كُتِب" وارد وليس بالقليل ولا بالمعزول، و"من" و"عن" تتبادلان، على الرغم من أن المرادي (ت ٧٤٩هـ) لم يورد ذلك في "الجنى الداني" (٥٤)، وأورده الهروي (ت ٤١٥هـ) في "الأزھية" (٥٥)، في صدر كلامه عليها، كما أورده ابن هشام (ت ٧٦١هـ) في "المغني" (٥٦)، وقد رأينا أن من معاني "كُتِب" قُرب"، وقد استخدمت "عن قرب" في الشعر كما نجد عند العباس بن الأحنف (٥٧):

يُوهمنيكَ الشوقُ حتى كأنما أناجيكَ عن قرب وإن لم تكن قُربي
والشريف الرضي (٥٨):

وعن قرب سيشغلني زمني برعي الناس عن رعي القروم

وجاء في تعليق العكبري على بيت المتنبي، أنف الذكر "إن ترمني نكبات الدهر عن كُتِب.. يقول إن رماني الدهر بنوائبه عن قرب"، كما جاء استخدام "عن قُرب" في "الفهرست" لابن النديم (٣٨٥هـ) (٥٩)، وثمار القلوب للثعالبي (ت ٤٢٩هـ) (٦٠)، وتاريخ بغداد للبغدادي (٤٦٣هـ) (٦١)، و"معجم البلدان" لياقوت (ت ٦٢٦هـ) (٦٢)، و"الحلة السبراء" للقضاعي (ت ٦٥٨هـ) (٦٣)، و"وفيات الأعيان"

(٥٤) الجنى الداني: ٢٤٢.

(٥٥) الأزھية في علم الحروف: ٢٧٨.

(٥٦) المغني: ١٩٨.

(٥٧) ديوانه: ٤٩، تحقيق عمر الطباع، ط ١، ١٩٩٧.

(٥٨) ديوانه: ٤١١/٢.

(٥٩) الفهرست: ٣٣٥.

(٦٠) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٢٨٣.

(٦١) تاريخ بغداد: ٢١٦/٧، ٩٧/١٠.

(٦٢) معجم البلدان: ٥٣٩/٢، ٧٨/٥، ٤٠١.

(٦٣) الحلة السبراء: ٩٦/٢.

لابن خلكان (ت ٦٨١هـ) (٦٤)، و"مقدمة ابن خلدون" (ت ٨٠٨هـ) (٦٥)، و"الإصابة"
للأصبهاني (ت ٨٥٢هـ): (٦٦) و"شذرات الذهب للعكري" (ت ١٠٨٩هـ) (٦٧).

والمُحدِّثون من المتقِّين والكتاب أهملوا استخدام "من كتب" إهمالاً بيناً
واقترضوا على التركيب الذي خطأه المؤلف.

• وَقَعَ مَدِيرُ الْمَدْرَسَةِ عَلَى الشَّهَادَةِ:

ذكر المؤلف هذا التعبير في مسائل تغيير حرف الجرّ، وذكر أنهم يقولون:
"وَقَعَ مَدِيرُ الْمَدْرَسَةِ عَلَى الشَّهَادَةِ، وَعَلَى خَطَابِ الشُّكْرِ، وَأَبَى أَنْ يُوَقَّعَ عَلَى
الشُّكْرِ، وَقَدْ حَاوَلَ الشَّيْخُ مَصْطَفَى الْغَلَائِينِي (ت ١٩٤٤هـ) تَسْوِيعَ ذَلِكَ بِأَنَّ
المَقْصُودَ وَضْعَ التَّوْقِيعِ عَلَى الخَطِّ، وَأَجَازَ بَعْضُ المَعَاصِرِينَ تَعْدِيَةَ الفِعْلِ بِنَفْسِهِ.

لكن المعجمات القديمة على تعدية الفعل بـ"في"، وعند الزمخشري في "أساس
البلاغة" قولهم "وَقَعَ فِي الكِتَابِ تَوْقِيعاً مِنَ المَجَازِ"، وَقَالَ الرَّاغِبُ: التَّوْقِيعُ أَثْرُ
الكَتَابَةِ فِي الكِتَابِ، وَمِنْهُ اسْتُعِيرَ التَّوْقِيعُ فِي القِصَصِ، وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ: "تَوْقِيعُ
الكَاتِبِ فِي الكِتَابِ المَكْتُوبِ أَنْ يَحْمِلَ بَيْنَ تَضَاعِيفِ سَطُورِهِ مَقَاصِدَ الحَاجَةِ"،
وعلى ذلك نقول وَقَعَ المَدْرَسُ فِي الشَّهَادَةِ ووقَّعَ فِي خَطَابِ الشُّكْرِ، والتعبير على
كل حال تعبيرٌ إسلاميٌّ مُحدِّثٌ، نشأ مع تطوُّر وتفرُّع الحضارة الإسلامية ووضع
النُّظْمِ، ويدخل عليه عدد من حروف الجرِّ فيتغير معناه بتغيير هذه الحروف (٦٨).

(٦٤) وفيات الأعيان: ٢٤٩/٢، ٤١١/٣، ٣٩٦/٦.

(٦٥) مقدمة ابن خلدون: ٦٣، ٧٣.

(٦٦) الإصابة: ٤٤٠/٦.

(٦٧) شذرات الذهب: ٣٠٦/٣، ٣٤٤، ٧٥/٤، ١٤٠/٤، ١٤٢، ٤٢٩.

(٦٨) الأخطاء الشائعة في استعمال حروف الجرّ: ١٠٩.

وقد خطأ زهدي الجار الله هذا التركيب من قبل^(٦٩)، وأجاز العدناني "وَقَعَ على الكتاب"، بناء على إجازة المعجم الوسيط، ولم يذكر ذلك أحد من قبل^(٧٠).

ينبغي قبل الخوض في هذا التركيب أن نعرض لتعريف التوقيع، فهو - فضلاً عما أورده المؤلف عن الأزهري والراغب - كما يذكر المحكم "التوقيع في الكتاب إلحاقُ شيء فيه بعد الفراغ منه"، وقال ابن فارس في "المجمل": "ما يلحقُ بالكتاب بعد الفراغ منه"^(٧١)، وجاء في صبح الأعشى^(٧٢) "قال جعفر بن يحيى" إن قدرتم على أن تجعلوا كتبكم توقيعاتٍ فافعلوا، ونستخلص من هذا أن مفهوم التوقيع عند القدماء إنما هو كتابة جملة أو جملٍ مختصرة مكثفة، تعبر عن معنى معين، وهذا يسهم في إضاءة المسألة؛ ذلك أن التوقيع في الكتاب، كما رأينا آنفاً، إنما هو الكتابة فيه، وعلى هذا قالوا وَقَعَ في الكتاب، أي كتب فيه، ولكن مفهوم التوقيع قد تغير عند المحدثين، فلم يعد كتابةً، وإنما هو رمزٌ، على نحو مخصوص، يشير إلى شخص ما يتولى إدارة المؤسسة المعنية بإصدار الوثيقة المذيلة بالتوقيع، أو يشير إلى الشخص نفسه، عندما يكتب لأحد ما، وغايته في كل الأحوال، تأكيد شخصية الموقع دفعاً للبس، أو التزوير، إيداناً بتحمّله تبعات المكتوب في الوثيقة أو الورقة، أو غير ذلك.

والتوقيع لدى القدماء كان شائعاً في فئتين؛ الأولى الأمراء والساسة، والثانية الأدباء والمتقنون؛ ويتضمن آية أو حكمة، أو شيئاً من العبارات الأدبية المكثفة، التي يلمح من ورائها ثقافة الموقع، وهو بعد، وليد الحضارة، وما أنتجته من

(٦٩) الكتابة الصحيحة: ٣٩٧.

(٧٠) معجم الأخطاء الشائعة: ٢٧٢.

(٧١) ينظر (وقع): تهذيب اللغة ٣/٣٥، والمحكم: ٢/٢٧٦، ومجمل اللغة لابن فارس: ٧٦٠، و ينظر اللسان أيضاً.

(٧٢) صبح الأعشى: ٢/٣٦٢.

المكاتبات. وهنا ينبغي التمييز بين التوقيع على هذا المعنى، وبين الخاتم، الذي قد يكون التوقيع مُذَيلاً به، وهو نَقْشٌ يحمل اسم الشخص، ومنصبه إن كان ذا منصب، والخاتم كان مقصوراً على فئة محدودة أيضاً من الناس دون سائرهم، تشبه الفئة التي يقتصر عليها التوقيع، ومفهوم التوقيع عند المحدثين يقابل هذا الخاتم، وعلى الرغم من وجود هذا الخاتم - وإن اختلف قليلاً - في المؤسسات، والدوائر الحكومية، عند المحدثين، إلا أنه لا يغني عن التوقيع "الرمز"، المذكور آنفاً.

ومع ذلك فقد وقَّعتُ على غير استخدام لتعبير "وقَّع على"، مما أنكره المؤلف، وممن استخدم ذلك الطبري (ت ٣١٠هـ) في تاريخه^(٧٣): "وجدته قد وقَّع على كتابه إليك بالهندية". وجاء في "تاريخ بغداد" للبغدادي^(٧٤) ت (٤٦٣هـ)، وذكر ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق^(٧٥): "قال المرزباني وحدثني العباس بن أحمد النحوي أن المأمون وقَّع على ظهر هذه الأبيات...". وجاء في تاريخ دمشق^(٧٦) "فأعاد الرقعة وقد وقَّع عليها"، وجاء في نفح الطيب^(٧٧) "ثم وقَّع على ظهر كتابه"، و"سير أعلام النبلاء"^(٧٨) ويقال أنه (عبد الله بن طاهر) وقَّع بحضرة هارون الرشيد على ألف توقيع "وقيل أنه وقَّع مرة على رقاع بصلات"، و"المغرب في حلى المغرب"^(٧٩) لابن سعيد المغربي (٦٨٥ هـ) وذكر

(٧٣) تاريخ الطبري: ٤٨٨/١.

(٧٤) تاريخ بغداد: ٢٠٩/٦، وتاريخ دمشق: ٢٧٤/٧.

(٧٥) تاريخ دمشق: ٢٧٤/٧.

(٧٦) تاريخ دمشق: ٢٠/١.

(٧٧) نفح الطيب: ١٨٠/٤.

(٧٨) سير أعلام النبلاء (عبد الله بن طاهر): ٢٢٨/١، ٦٨٥/١٠.

(٧٩) المغرب في حلى المغرب: ٢٦٠/٢.

أن ابن زهر وقع له على ورقة" ، و"المنتظم حتى ٢٥٧هـ" (٨٠) فإذا رَضُوا به قاضيا وقع على العهد اسمه، فقدم ففعل، فقال الناس ما نريد إلا الواصي"، فوقع على الكتاب اسمه وحكم في وقته بالرصافة" ، وعبد الله بن محمد بن قيس في "قرى الضيف" (٨١) " وحين استأذنه لمعاودة بلده... وقع على ظهر رقعته : كُنَّا نؤثر أطل الله تعالى بقاءك أن تقيم ولا تريم".

ومن الشعر قال بدر الدين الذهبي (ت ٦٨٠هـ) (٨٢):

ورياض وقفت أشجارها وتمشت نسمة الصبح إليها
طالعت أوراقها شمس الضحا بعد أن وقعت الورق عليها

والفعل "وقعت" في عجز البيت الثاني ليس المقصود به بناء ألحان الغناء على مواقعها؛ إذ إن الفعل من ذلك "أوقع"، ولم يرد الفعل "وقع" على هذا المعنى، لا عند القدماء ولا عند المحدثين.

ولست أسوق هذه الشواهد المتفرقة لأدلل على أن المحدثين احتذوها في استخدامهم لهذا التعبير، ولكنها إشارات على وجود اختراق للقاعدة في هذا التعبير عند القدماء، مما يجوز لمثله أن يقع عند المحدثين، كما ذكرت من قبل، على اختلاف المعنى، فلا مانع من تسويغ "وقع على". وثمة ملمح دلالي في هذا التعبير؛ ذلك أن "وقع على" لا تختلف عن "وقع في" في استبدال حرف جرٍ بآخر، بل نجد في "وقع على" ملمحاً دلالياً جديداً، وهو الإجازة للموقع عليه، وعندما نستخدم لم يوقع على الشهادة، أو المعاملة؛ فذلك يعني أنها لم تجز.

(٨٠) المنتظم: ٢٠٨/١١.

(٨١) قرى الضيف: ٣٩٢/٤.

(٨٢) هذان البيتان وقعت عليهما في البلاغة الواضحة (التورية): ٢٧٨، ولم أعر عليهما في غيره، وقد أثبتتهما لأن المسألة لا تقوم عليهما.

• الزيارة في أثناء العمل تُخرج الموظف:

ناقش المؤلف هذا التعبير في باب " إسقاط حروف الجر"، إذ قال: "يُخطئ بعض الناس حين يقول: "الزيارة أثناء العمل تُعطل الموظف"، أو قابلت فلاناً أثناء الرحلة. وأثناء الشيء أوساطه وتضاعيفه على وزن أفعال مفردها تني بالكسر، وأثناء ليست ظرفاً ولا مضافة إلى ما تكسب منه الظرفية، ولهذا يجب أن تقترب بحرف الجر، فيقال: "في أثناء العمل، وفي أثناء الرحلة".

وقد أجاز مجمع اللغة العربية في القاهرة استخدام "أثناء" دون حرف الجر، قياساً على ما سُمع من قولهم " أنفذتُ كذا تني كتابي"، بالإفراد والنصب على الظرفية، لكن الأرجح عندي استعمال حرف الجر معها^(٨٣).

وإذا نظرنا في إجازة مجمع اللغة هذا الأسلوب وجدناها على اعتبارين؛ الأول أن "أثناء" ليست مكاناً مختصاً، وإنما مبهم، و بالاستناد إلى ما ورد من قولهم: أنفذتُ كذا تني كتابي" في نسخة من "الصّحاح" واللسان وغيرهما بنصب "تني" على الظرفية المكانية سماعاً. وقد زاد الأستاذ عباس حسن أن "أثناء" مسموعة جمعاً بالنصب على الظرفية في قول الشاعر جاهلي يهجو عمرو بن ماجد:

ينامُ عن التّقوى ويوقظه الخنا فيخبط أثناء الظلام فسول^(٨٤)

وتجدر الإشارة في البدء إلى الشاهد الذي زاده الأستاذ عباس حسن ولم يوضّحه، وقد ذكر أنه لشاعر جاهلي يهجو فيه عمرو بن ماجد قد وقعت عليه

(٨٣) الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجر: ١٣٠. وينظر الكتابة الصحيحة: ٦٠.

(٨٤) القرارات الجمعية في الألفاظ والاساليب: ١٠٤، والحاشية.

في "الأغاني" لأبي الفرج (ت ٣٥٦هـ)، وهو فيه للحزين الديلي، والحزين لقبه، واسمه عمرو بن عبيد، ويهجو فيه عمرو بن عمرو بن الزبير، وهو شاعر حجازي، من شعراء الدولة الأموية، وتوفي سنة ٩١هـ^(٨٥). والبيت كما ذكره الأستاذ عباس حسن، باختلاف القافية في الأغاني؛ إذ هي "يجول" مكان "فسول" وهو الصحيح.

وقد وقعت على هذا الاستخدام في بيتين لكعب بن زهير، ذكرهما الخُصري (ت ٤٥٣هـ) في "زهر الآداب"، إذ قال: "وأصدق بيت قالته العرب، وأمدحه قول كعب ابن زهير في رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

تَجْرِي بِهِ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبُرْدِ جَلَى لَيْلَةَ الظُّلَمِ
فَفِي عِطَافِيهِ أَوْ أَثْنَاءَ بُرْدَتِيهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمِ

وأردف قائلاً: "وقال الأصمعي: والجهال يروون هذا لأبي دَهَبَل، واسمه وهب بن ربيعة في عبد الله بن عبد الرحمن الأزرق والي اليمامة. والصواب ما ذكرناه، وهو بصفات النبي (عليه الصلاة والسلام) أعلق، وبمدحه أليق"^(٨٦). وقد نسبهما أيضاً لكعب أبو العباس التادلي (ت ٦٠٩هـ) في "الحماسة المغربية"^(٨٧)، وقد ضبط "أثناء" بالفتح. كما نسبه المرزباني (ت ٣٨٤هـ) في "معجم الشعراء" لكعب أيضاً، غير أنه روى البيت الثاني "وفي عطافيه مع أثناء ريطته"^(٨٨). ولعلّ تغيير الرواية جاء لتتماشى مع القاعدة الشائعة في استخدام "أثناء"، وقد نسب

(٨٥) الأغاني: ٣٢٧/١٥ (أخبار الحزين ونسبه).

(٨٦) زهر الآداب: ١١٦٢/٤. تحقيق د. زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ط ٤.

(٨٧) الحماسة المغربية: ٧٠/١. تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الفكر دمشق، ط ١، ١٩٩١.

(٨٨) معجم الشعراء: ٢٣١. للمرزباني محمد بن عمران، تحقيق عبد السلام فراج.

الجاحظ(ت٢٥٥هـ) البيت الأول لأبي دهيل^(٨٩) وكذا ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ) في "الشعر والشعراء"^(٩٠).

وعلى الرغم مما جاء في اللسان^(٩١): "والتثني: واحد أثناء الشيء أي تضاعيفه؛ تقول: أنفذت كذا تثنى كتابي أي في طيه" فلم أفع-على كثرة البحث-على استخدام مماثل لـ"تثني"، لا عند القدماء ولا عند المحدثين.

على أننا إذا ما نقبنا في النصوص عن استخدام "أثناء" ظرفاً، دون حرف الجر، وقعنا على ذلك كثيراً عند المتأخرين، وممن أساغ هذا الاستخدام القضاعي(ت٦٥٨هـ) في "الحلة السيرة" كثيرا^(٩٢): "وكتب به.. في أسره أثناء مخاطبة"، وتفسير الكلم الغر أثناء المشارق"، "وصرفوا هشاماً المؤيد، وسلمان المستعين أثناء ذلك يجوس خلال الأندلس". والقرطبي^(٩٣) (ت٦٧١هـ): "اعتراضاً بليغاً أثناء القول"، "و يسبح أثناء التكبير"، "لم يعص الله تعالى فيه أثناء أدائه" والزُرعي(٧٥١هـ) في "زاد المعاد"^(٩٤) "وإذا طَلَقَتْ أثناء الطهر" و"الصواعق المرسله"^(٩٥): "استدراك مفسدة النهي أثناء ذلك".." و"البداية والنهاية"^(٩٦) لابن كثير(ت٧٧٤هـ): "وتلقى الناس أبا جعفر المنصور أثناء طريق

(٨٩) رسائل الجاحظ: ٢/٢٤٤.

(٩٠) الشعر والشعراء: ٢/٦١٤. وقد نسب علي الجارم البيت الأول في "البلاغة الواضحة" لعبدالله بن رواحة. في الكلام على الجنس: ٢٦٧.

(٩١) اللسان: (ثني).

(٩٢) الحلة السيرة: ١/١٤١، ٢٠٥، ٧/٢. وينظر: ٢٩، ٨٣، ٢٠٧، ٢١٩، ٣٨٩.

(٩٣) تفسير القرطبي: ٢/٢٤٢، ٣٠٧، ٤٠٨. وينظر: ٦/١٦٠، ٢٠/٢٠١.

(٩٤) زاد المعاد: ٥/٦٣٣.

(٩٥) الصواعق المرسله: ١/٣٧٥.

(٩٦) البداية والنهاية: ١٠/٨٠، ١١/١٦٦. وينظر: ١١/١٩٩، ١٤/٢٦٩.

مكة"، "وقد بلغ مؤنساً أثناء الطريق". وخبايا الزوايا للزركشي^(٩٧) (ت ٧٩٤هـ) "تذكرها في هذا الباب أثناء التعليل"، "إذا مات المستأجر أثناء المدة". ومقدمة ابن خلدون^(٩٨) (ت ٨٠٨هـ): "ويدركه أثناء ذلك"، "وتسقى أثناء إمهائها".

وقد استخدمه المقرئ (ت ٧٥٨هـ) في "نفع الطيب"^(٩٩): "ما اندرج له أثناء مدحه" وللنسيم أثناء ذلك المنظر "ونفت به أثناء زفراته" "وسياتي لهذا النمط مزيد أثناء الكتاب"، و استخدم القلقسندي (ت ٨٢١هـ) "أثناء" عشرات المرات^(١٠٠)، ولكنه أوردها مرة واحدة دون أن يسبقها حرف جرّ، إذ قال^(١٠١) "... المحلّ الثاني أثناء الولاية". وفتح الباري للعسقلاني (ت ٨٥٢هـ):^(١٠٢) "ما لم يترجم له أثناء الكلام" و"ما فيه فائدة أثناء الحديث". والمبدع^(١٠٣) للحنبلي (٨٨٤هـ): "واستدبرهم أثناء الصلاة". والتاج والإكليل للعبدي (ت ٨٩٧هـ)^(١٠٤): (ويكاد يقتصر عليه) ثم قال أثناء كلامه، "من شك أثناء صلاته"، "أجاز الكلام أثناء الأذان"، ثم ذكر ذلك أثناء النافلة. و"الأشباه والنظائر في الفقه" للسيوطي (ت ٩١١هـ): "لو نوى أثناء النهار"

(٩٧) خبايا الزوايا: ١١٨، ٣١١.

(٩٨) مقدمة ابن خلدون: ٩٢، ٥٢٥، وينظر: ٥٣٨، ٥٥٣.

(٩٩) نفع الطيب: ٢/١، ٦، ٩٢، ١٢٦. وينظر أيضاً: ٣٢٦/٢، ٣٣١، ٤٤٠، ٤٧٧، ٧٨/٣، ٣١٤،

٣٨/٤، ٢٧٧، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٨٥، ٣٠٨، ١٥٣/٥، ١٧٧، ٢٦٣، ٣٢٨، ٨/٦، ١٠٤، ٤٠٢، ٤٧٥.

(١٠٠) صبح الأعشى: ينظر على سبيل المثال: ١/٩٥، ١٣١، ١٣٩، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٨٦،

٣٥٣/٢، ٥٤٨/٣.

(١٠١) نفسه: ٥/٤٠٥.

(١٠٢) فتح الباري: ٢/٤٧٨، ٨/٤٨٩.

(١٠٣) المبدع: ١/٣٧٣.

(١٠٤) التاج والإكليل: ١/٢٣٠، ٣٠٠، ٤٢٧. وينظر: ٥١٦، ١٠/٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٦٢، ١٨٧،

٤١٨/٢، ١٢٧/٤، ٢٥٤/٥، ٢٦٠/٦.

و" فسافر أثناء النهار"^(١٠٥). والدارس^(١٠٦) للدمشقي (ت ٩٧٨هـ): "ويَتَجَرُّ أثناء ذلك". وكشف القناع^(١٠٧) لمنصور بن يونس البهوتي (ت ١١٠٥هـ): "أي أثناء الطهارة" أي أثناء ما ذكر"، "وإن ارتدَّ أثناء عبادته"، "أي أثناء الوقعة" وقد استخدم أيضاً الأسلوب الآخر في العبارة نفسها، إذ يقول^(١٠٨): "أي في أثناء مدة الإجازة". والشرح الكبير^(١٠٩) لسيدي أحمد الدردير (ت ١٢٠١هـ): "يد الماسح أثناء مسحه"، "يعني أثناء الوقت"، "أي أثناء الصلاة". وحاشية البجيرمي^(١١٠) (ت ١٢٢١هـ): "وإن طرأ له أثناء فعله"، "فأنه بإقامته أثناء ما مرَّ" "إذا عملا جنازة أثناء الصلاة" و"عود المريض أثناء النهار". وصديق القنوجي (ت ١٣٠٧هـ) في "أبجد العلوم"^(١١١): "أخذهم أثناء المدارس"، "كثير من الملكة أثناء التعليم"، "مبتوثة أثناء ذلك". والاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى^(١١٢)، لأبي العباس الناصري (ت ١٣١٥هـ) "وفي نفسه أثناء هذا"، "والسلطان يعقوب أثناء هذا كله يغادي شَرِيشَ و يراوحها"، "وهلك السلطان يوسف أثناء ذلك"، وفي أدب

(١٠٥) الأشباه والنظائر: ٢٦، ١١٤.

(١٠٦) الدارس: ١١٨.

(١٠٧) كشف القناع: ١/٨٦، ٢٢٣، ٣٢٢، ٨٤/٣، ٢١٢، ٢٠٣/٤، ٥٤٢.

(١٠٨) نفسه: ٣١/٤.

(١٠٩) الشرح الكبير: ١/١٤٥، ١٧٩، ٤٤٣. وينظر: ١/٥٥٠، ١٢/٢، ١٠٥، ٤٣٢، ٤٧٣، ٤٧٦.

٣/٥٤٧، ٤/٣٢٢، ٣.

(١١٠) حاشية البجيرمي: ١/٢٦٦، ٣٧٠، ٤٧١، ٨٠/٢، ١٢١، ١٥٩/٣، ٣١٤، ٨٥/٤، ١٠٦.

١١١، ١٨٥، ٢١١.

(١١١) أبجد العلوم: ١/١١٠، ٢٧٦، ٣٤٨.

(١١٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: ١/٤٥، ٦١، ٨٤. وينظر: ١٠٣، ١١٣، ١١٩، ١٦٠.

١٨٧، ٢٠٥، ٢/١١، ٩٧/٢، ١٠٣، ١٤/٣، ١٦، ٥٢، ٩٠.

الرحلات جاء في "رحلة ابن جبير"^(١١٣) (ت ٦١٤هـ) إذ استخدمها مرة واحدة كذلك: "ظهر الهلال أثناء فرج السحاب"، وسائر استخداماته على القاعدة^(١١٤)، و عند ابن بطوطة^(١١٥) (ت ٧٧٩هـ): "ويغنون أثناء ذلك"، "أصابتي أثناء ذلك حمى". كما نجده في تفسير الجلالين^(١١٦) في سورة القصص "فبالجففة نزلت أثناء الهجرة".

وقد استخدم سيد قطب (ت ١٩٦٦هـ) "أثناء" فيما أحصيته في "الظلال"، (٦٣) مرة، وقد حاول جهده أن يلتزم التعبير الأفصح، ولكن ندّ منه استخدامان خالف فيهما ذلك^(١١٧): "و" لا يخطرَنَ بباله أثناء هذه الجهود البالغة..."، و"والذي أمدّ فليب وقلب الأسد بالمرطبات والأدوية والأزواد أثناء مرضهما". كما استخدمه طه حسين (ت ١٩٧٣هـ) في عنوان أول فصل في كتابه "حديث الأربعاء"، إذ وسمه بـ "أثناء قراءة الشعر الحديث"، وهو يستخدم التركيبين أيضاً، ففي كتابه "القدر" نجده يقول في أوائل فصل "الأنف"^(١١٨): عاهدت الآلهة أثناء حزنها ثم يقول في منتصفه^(١١٩): "وفي أثناء العشاء شكا كادور المأ"، كما

(١١٣) رحلة ابن جبير: ١٢٧.

(١١٤) نفسه: ينظر: ١١٦، ١١٩، ١٢٤، ١٣٥، ١٦٠، ١٥٩، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٣.

(١١٥) ابن بطوطة: ٣٧٨/١، ٦٦٢/٢.

(١١٦) تفسير الجلالين: مستهل سورة القصص.

(١١٧) في ظلال القرآن (على التوالي): ١١٤٧، ١٦٢٩.

(١١٨) القدر (زدج): ٢٧٢، (منشورة في مجلة الكاتب المصرية).

(١١٩) نفسه: ٣٧٣.

استخدمها أحمد أمين، في كتابه "حياتي" (١٢٠): "كل ما يلقاه أثناء حياته"، ومحمود شاعر (١٢١): "ولكني انصرفت عن ذلك أثناء الكتابة".

بقي أمران، أولهما أنه بالرغم من هذه النصوص كلها فمن المرجح أن للترجمة دوراً مهماً في ترسيخ هذا التعبير، وبالتحديد كلمة "during"، وثانيهما أن ثمة كلمة أخرى مرادفة لـ "أثناء" وقد استخدمها القدماء مجرورة وغير مجرورة ألا وهي "خلال" أو "خلّ"، نحو قوله تعالى: (١٢٢) "فجاسوا خلال الديار" وقوله تعالى (١٢٣): "ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة"، وقول الشاعر الأموي نصر بن سيار: "أرى خلّ الرمادِ وميضَ نارٍ"، وجاء في اللسان (١٢٤) "قال اللحياني: "جلسنا خلالَ الحيّ، وخلالَ دورِ القوم؛ أي جلسنا بينَ البيوت، ووسط الدور، قال: وكذلك يقال سرنا خلّ العدو وخلالهم؛ أي بينهم"، وهذا يقوّي هذا الاستخدام لإثناء دون حرف الجرّ. وعلى هذا فلئن سجّل خروجَ حيّ عند القدماء في استخدام "أثناء" دون أن يسبقها حرف جرّ، فمن الجليّ أن المتأخرين، وعلى الأخص بعد القرن السابع، قد خرجوا على هذا الاستخدام خروجاً واسعاً، ولا مجال لتخطئة المحدثين في استعمالها على هذا الوجه.

(١٢٠) حياتي: ٥٣، دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٧١.

(١٢١) أباطيل وأسمار: ٢١٩.

(١٢٢) الإسراء: ٥٠.

(١٢٣) التوبة: ٤٧.

(١٢٤) اللسان: (خلّ).

• شجعتُ الطلابَ خاصةً الممتازين:

ذكر المؤلف هذا الأسلوب في باب ما أسقط منه حرف الجر، ومثله: قرأت الكتب خاصةً كتب الأدب، ويردف قائلاً: خاصة اسم على وزن فاعلة، يستعمل بمعنى المصدر، ويفيد ما تفيده "ولاسيما" في التعبير غالباً، والأرجح جرّه بالباء، فقد سُمع أبو العباس ثعلب وهو يقول: "إذا ذُكر الصالحون فبخاصة أبو بكر، وإذا ذكر الأشراف فبخاصة علي"، والمؤلف يختاره لأن المعجم الوسيط اختاره، فقد جاء فيه: "يقال بخاصة فلان أي خصوصاً فلان". وهو بخلاف استعماله مفرداً بعد تمام الجملة، فإنه يكون منصوباً على الحالية أو المصدرية، أو مفعولاً لأجله، كما تقول فعلت ذلك بك خصيئة أو خاصة أو خصوصية^(١٢٥).

وهو يردّ على العدناني إجازته ترك هذه الباء، ويعدّ دليله على ذلك متهاقناً؛ ذلك أن ما ذكره من نفي الصعوبة عند النطق بهذه الصيغة دون الباء يُوجب أن تنزل عن نصف اللغة، فما أكثر الكلمات المختصرة وهي خطأ؛ لذلك كله فالأولى أن يُقال: شجعتُ الطلاب وبخاصة الممتازون، وقرأت الكتب وبخاصة كتب الأدب^(١٢٦).

بادئ ذي بدء هذا الأسلوب من الأساليب التي ناقشها مجمع اللغة العربية باعتبارها من الأساليب المحدثة، وقد أجاز استخدام خاصة وخصوصاً وجاء في قراره أن خاصة اسم مصدر، أو مصدر جاء على فاعله، كالعافية، وأن خصوصاً مصدر، ولها في الاستعمال صور، منها:

(١٢٥) الأخطاء الشائعة في استعمال حروف الجر: ١٣٤.

(١٢٦) نفسه.

١- " أحب الفاكهة وخاصة العنب " ، وفي مثل هذا تنصب خاصة على أنها مصدر، قام مقام الفعل، وما بعدها مفعول به.

٢- " أحب الفاكهة خاصة العنب " دون واو، ومثل هذا تنصب فيه خاصة على أنها حال وما بعدها مفعول به.

٣- " أحب الفاكهة وخصوصاً العنب " ، وفي مثل هذا تنصب خصوصاً على أنها مصدر قام مقام الفعل، وما بعدها مفعول به. وزاد الأستاذ محمد خلف الله أحمد(ت١٩٨٣م) عضو المجمع استعماليين آخرين، لم تذكرهما اللجنة، وهما "أحب التفاح واللبناني منه خاصة، والثاني يعجبني التفاح واللبناني خاصة"، وخرج الشيخ الصوالحي عضو المجمع "خاصة" هنا على الحال، ورده عباس حسن لوجود الواو(١٢٧).

ومن عجب أن هذا الذي عدّه الدكتور عمار خطأً واستبدل به "بخاصة وبعامّة"، عدّه الدكتور إحسان النصّ غير فصيح على شيوعه بين الكتاب اليوم، ولا نجده في أساليب العرب القدامى، وبعد أن ذكر الدكتور إحسان قول ثعلب أنف الذكر، قال معلقاً: "وهذا قول روي من طريق السماع، ولم نتحقق من صحة نسبه إلى اللغوي المشهور، ثعلب"، وأردف قائلاً: "ومهما يكن من أمر فإن الأفصح استعمال هذين اللفظين: "عامّة وخاصة" مجردين عن الباء الجارة"(١٢٨).

(١٢٧) محاضر جلسات الدورة(٣٧):٢٩٥.

(١٢٨) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الثالث، المجلد الحادي والسبعون. ١٩٩٦، الصفحة: ٤٨٧.

وإذا عدنا إلى هذه المسألة كان علينا إن نقول إن ترجيح الدكتور عمار استخدام خاصة مسبوقه بحرف الجر "الباء" لا حجة مقنعة تسنده، كما أن رد الدكتور إحسان له، وإثبات استخدم "خاصة" دون الباء لا يمثل رداً مقنعاً لغيره من الاستخدامات، ولا يقل ما ذهب إليه العدناني - في سهولة نطق هذه الصيغة دون الباء - بعداً عن تمثل هذا الأسلوب.

وعلينا ههنا أن نذكر شيئين، الأول أن الأسلوب الذي تستخدم فيه خاصة بأنماطه المختلفة هو محدث على الأغلب، وقد دخل إلى العربية من الإنجليزية، ومن كلمة "especially" على وجه التحديد، والاستخدام النادر الذي وقعت عليه عند القدماء - كما سيأتي - لا يعني بحال أن استخدام المحدثين صدى له، والشيء الثاني أن "خصوصاً" تختلف عن "خاصة"، فقد استخدمها المتأخرون استخداماً ظاهراً، كما يستخدمها المحدثون، إذ استخدموها منصوبة وجعلوا ما يليها منصوباً أو مرفوعاً، كما أدخلوا عليها حرف الجر.

أما عن استخدام "خاصة" فقد وجدتها في نصٍّ يتيم للأعشى وهو من المتأخرين: "أما البطيخ فينجب عندهم نجابة وخاصة الأصفر" (١٢٩).

أما "خصوص" فقد استخدمها المتأخرون كثيراً على الأوجه المذكورة آنفاً وأول ما وقعت عليه من استخدامها كان عند العكبري (ت ٦١٦هـ) في "المسائل الخلافية"، إذ يقول: "بل يستدل بالظاهر على الخفي خصوصاً في الاشتقاق" (١٣٠)،

(١٢٩) صبح الأعشى: ٤/٤٦٧.

(١٣٠) مسائل خلافية في النحو: ٦١.

وفي "التبيان" (١٣١): ".فجعلت قبل الشين كراهية الهمزتين بينهما ألف خصوصاً بعد الياء"، وفي "اللباب" (١٣٢): "قلو حُرَكَتْ لتوالت الحركات وتَقَلَّتْ خصوصاً في الياء بعد الكسرة"، و"عوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال خصوصاً إذا كانت أفعالاً"، و"الرضي في شرح الكافية" (ت ٦٨٦هـ): "فإذا قلت أحب زيداً ولا سيما راكباً أو على الفرس، فهو بمعنى خصوصاً راكباً" (١٣٣)، و"القلقشندي" (٨٢١هـ) في "صبح الأعشى" (١٣٤) "أفضى إلى الهأكّة خصوصاً أسرار الملوك"، و"الجري على قواعد العربية خصوصاً عرب الحجاز، والمقريّ (ت ٧٥٨هـ) في "نفع الطيب" (١٣٥) "قراءاته بعد كل صلاة خصوصاً صلاة الجمعة"، "من يدري كمن لا يعلم خصوصاً الحديث عن خير البشر"، و"ياقوت في خزنة الأدب" (١٣٦) "في إرسال المثل على أنواعه خصوصاً أهل الإنشا".

وقد جاء هذا التركيب أيضاً في كتب الفقه والتفسير كما في "تفسير الطبري" (ت ٣١٠هـ) (١٣٧) "حدثنا بشر.. ثم ربك للمتقين خصوصاً القول في تأويل قوله تعالى"، و"قواطع الأدلة في الأصول" للسمعاني (١٣٨) (ت ٤٨٩هـ) ذكرها

(١٣١) التبيان: ١/٢٢٧.

(١٣٢) اللباب: ١/٥١٩، ٢/٣٦، وينظر: ٧٠، ٣٠١.

(١٣٣) شرح الكافية: ١/٢٤٨.

(١٣٤) صبح الأعشى: ١/١٤٢، ٢/٢١٢، وينظر: ٢٤٥، ١/٣١٩، ٢/٢١٠، ٣/٤١٩، ٤/٣٢٣، ٥/١٨٠.

٧/٢٦٨، ٩/٣٦٧، ١١/٢٨٩، ٣٥١، ١٢/٧٤.

(١٣٥) نفع الطيب: ٢/٥٦، ٩٠٥، وينظر: ١٠١٥، ٥/١٥٢، ٢/٥٣٠، ٥/٣٥٤، ٧/١٣٦، ١٣٧، ٤٨٠.

(١٣٦) خزنة الأدب: ١/٢١٤.

(١٣٧) تفسير الطبري: ٢٥/٧٢.

(١٣٨) قواطع الأدلة في الأصول: ٢/٣٤، ٤٦،

أليق بهذا الموضوع خصوصاً مسألة استصحاب الحال، " من أصحاب أبي حنيفة خصوصاً العراقيون"، و"تفسير القرطبي" (٦٧١هـ) (١٣٩) "مذهب الحضر خصوصاً إذا كانت الحالة..." و"المجموع" للنووي (١٤٠) (٦٧٦هـ) "يخرج كل يوم إلى البقيع خصوصاً يوم الجمعة"، و"الفروع" للمقدسي (٧٦٢هـ) (١٤١) "كشهر رمضان خصوصاً الليالي" "لاسيما الجبر خصوصاً صاحب العائلة"، و"فتح الباري" لابن حجر (٨٥٢هـ) (١٤٢) "سقي الماء خصوصاً ماء زمزم" "التي رتب عليها الجواب خصوصاً المقاتلة" "في صدور الصحابة خصوصاً الفاتحة" "لم ينقل عنهم خلاف في الجواز خصوصاً أهل المدينة". و"المبدع" للحنبلي (٨٨٤هـ) (١٤٣) "قد استفاضت به خصوصاً حديث عثمان" "ويُسَنّ التكبير في ليلتي العيدين خصوصاً في الفطر"، و"مغني المحتاج للخطيب الشربيني (٩٧٧هـ) (١٤٤) وهو منتظر الصلاة وخصوصاً إذا قربت"، و"فتح القدير للشوكاني (١٢٥٠هـ) (١٤٥) والتأسيس خير من التأكيد خصوصاً في كلام الله" "حتى يعلم بحكمه خصوصاً في أمور الدين"، "ذكر سبحانه تعظيم القرآن خصوصاً هذه السورة".

(١٣٩) تفسير لقرطبي: ٢٥٩/١٣.

(١٤٠) المجموع: ٢٠٣/٨.

(١٤١) الفروع: ٤٩٣/١، ٤٩٨/٢.

(١٤٢) فتح الباري: ٤٩٢/٣، ١٠٥/٤، ٤٥٧، ٥١١، وينظر: ٢١٤/٥، ٤١٥/٦، ٦٠٩/٦، ١٥٤/٧،

٢٤٧، ٤٠/٨، ٤٧٩، ١٢٦/٩، ٤٨٩، ٥٣٣/١٠.

(١٤٣) المبدع: ١٢٣/١، ١١٤/٧.

(١٤٤) مغني المحتاج: ١٨٨/١.

(١٤٥) فتح القدير: ٦٣، ٧٥/١، ٣٥٣/٣.

كما جاء في كتب التاريخ والمعاجم، كما في "تاريخ دمشق" (١٤٦) لابن عساكر (ت ٥٧١هـ) "كان عالماً بالقراءة خصوصاً بقراء أبي عمرو"، وبنى بها الأمير المظفر.. خصوصاً لأهل الحديث"، و"وفيات الأعيان" (١٤٧) لابن خلكان (ت ٦٨١هـ) "كان ماهراً في فنون عديدة خصوصاً علم الحساب" "كان أحد أئمة الأدب خصوصاً اللغة". "وقد ذكرته الشعراء خصوصاً أبا عبادة البحتري"، و"سير أعلام النبلاء" (١٤٨) للذهبي (ت ٧٤٨هـ) "تكلّموا فيه بالقبائح خصوصاً الزهاد"، "القراءة في المحراب خصوصاً ليالي رمضان"، حفظ أسماء الرجال خصوصاً من تأخر زمانه"، و"مقدمة ابن خلدون" (١٤٩) (ت ٨٠٨هـ) "وكثر هؤلاء في الأقاليم المنحرفة.. خصوصاً بلاد الهند"، وفيهم الكثير من المنتحلين للعلوم وخصوصاً علوم اللسان"، "الدرر الكامنة" (١٥٠) لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) "من اعتقد عقيدة ابن تيمية حلّ دمه خصوصاً الحنابلة" و"اشتغل بالعلم خصوصاً العربية" "وكان محبوباً للناس خصوصاً أهل الحديث"، و"كشف الظنون للحاج خليفة" (١٥١) (١٠٦٩هـ) "واعلم أن الإشرافيين من الحكماء كالصوفيين.. خصوصاً المتأخرين"، "اشتغل بتتبع التواريخ خصوصاً الوفيات" و"شذرات الذهب" (١٥٢)

(١٤٦) تاريخ دمشق: ٢٥٤/٥١، ٢٥٥.

(١٤٧) وفيات الأعيان: ٢٠٣/٣، ٣٢٣، ١١٧/٦، وينظر: ٦٨/٤، ١٨٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ١٦٩/٥، ٢٢٧، ٢٢٠/٧.

(١٤٨) سير أعلام النبلاء: ١٤/٢٥٠، ١٣٢/٢٠، ١٣٦/٢٣.

(١٤٩) مقدمة ابن خلدون: ١٠٩، ٥٨٣.

(١٥٠) الدرر الكامنة: ١٧١/١، ١٩١/٢، ٣١١، وينظر: ٣١٨/٢، ٣٢/٤، ١٢٤/٤، ١٨٨، ٣٠/٥، ٢٣٦، ٤٥/٦، ٢٢٠، ٢٣١.

(١٥١) كشف الظنون: ٤١٤/١، ٢٠١٨/٢.

(١٥٢) شذرات الذهب: ٣/١، ٣٦٧، ١٣١/٢، وينظر: ١٢، ٤٥/٢، ١٢٣، ٢٦٠، ١٨٧، ٩١/٣، ٥٦، ١٤٥، ١٦٥، ٢٣٣، ٣٩٩، ٤٣٨، ٦/٤، ١٦٩.

الإمامة لبني هاشم خصوصاً بني العباس "في علوم كثيرة خصوصاً الفقه" كان إماماً في علوم شتى خصوصاً اللغة، و"التحفة اللطيفة" للسخاوي (ت ٩٠٢هـ) (١٥٣)، وتأسف الناس وخصوصاً أهل المدينة، "يستحضر من الأحاديث شيئاً كثيراً خصوصاً المتعلقة بالأوراد"، و"عجائب الآثار" (١٥٤) للجبرتي (١٨٢٢م) "كانوا بمنزلة أولاده خصوصاً الأولين" "صاروا يفتشون على من بقي منهم خصوصاً في الكرثلية"، و"أبجد العلوم" (١٥٥) للقنوجي (ت ١٣٠٧هـ) "سبب حرمان الرزق خصوصاً الكذب"، "في المشرب والإصلاح خصوصاً المتأخرين منهم" "صاحب العلوم العقلية خصوصاً الأمام فخر الدين الرازي"، و"الاستقصا" للناصرى (١٣١٥هـ) (١٥٦) "واستحرّ القتل في المسلمين وخصوصاً قرآء القرآن"، "تقبض على قواد الفساد خصوصاً أحمد بن عبد الحق".

أما جرّ "خصوص" أو إضافتها فإننا نقع عليها في "معجم البلدان" (١٥٧) لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) "خرج من أصبهان من العلماء والأئمة في كل فن .. وعلى الخصوص علو الإسناد" "أندة كثيرة المياه والرساتيق والشجر.. وعلى

(١٥٣) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة: ينظر: ١/١٠٢، ١٢٧، وينظر: ٣٢٢، ٤٤٤، ٧٥/٢، ١٤٢، ١٣٤، ٧٧.

(١٥٤) عجائب الآثار: ١/٤٥٩، ٢/٢٤٥، وينظر: ٢/٣٣٠، ٣٣٤، ٥٤٨، ٦٠٢، ٣/١٧٠، ١٧١، ٤٧٧، ٤٨٧، ٤٧٩.

(١٥٥) أبجد العلوم: ١/١٣٣، ٢/١٥٤، ١٨٢، وينظر: ٢/٤٠٦، ٢/٥١٣، ٢/٥٤٦، ٣/٥٦٨، ٣/٢٥٠.

(١٥٦) الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى: ١/٧٧، ٢/١٧٤، وينظر: ٣/٦٩١، ٣/٦٩٣، ١١٨، ١٢٩، ١٥٨، ٧٣.

(١٥٧) معجم البلدان: ١/٢٠٩، ٢٦٤، وينظر: ٢/٢٠١، ٤٩٣،

الخصوص شجر التين"، و"المثل السائر"^(١٥٨) لابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) "وأن تحكم فيهم بحكم الله الذي قضاه على لسان سعد في بني قريظة والنضير وعلى الخصوص البيت المقدس"، و"الإيضاح في علوم البلاغة"^(١٥٩) للقزويني (ت ٧٥٦هـ) "لها من الهيئات والجوارح وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتياله للنفوس"، و"مغني اللبيب"^(١٦٠) لابن هشام (٧٦١هـ) "وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا" و"صبح الأعشى"^(١٦١) " والإقلاع وعلى الخصوص إذا كانت الخيانة.."، و"عجائب الآثار"^(١٦٢) "تعطلت من المارة وعلى الخصوص طريق بغداد" "على ما كانوا عليه وعلى الخصوص أن دين الإسلام..".

ومما لا شك فيه أن السياق الذي ترد فيه "خاصة" وأخواتها، ليس غريباً عن العربية، ومن الأساليب الفصيحة التي استبدلوها به "أسلوب" "لاسيما"، وكان يمكن للمترجمين أن يستخدموها، غير أنهم اختاروا عليها خاصة وأخواتها، ولعل انصرافهم عن "لاسيما" كان لتركيبها، وكثرة ما يقع من الاختلاف في ضبط الاسم بعدها.

قصارى القول أن الأسلوب الذي ترد فيه خاصة قد شاع على السنة الكتاب والمتقنين، وليس من الحكمة تخطئته، والوقوف في وجهه، وقد سبقَ القديماً إليه، غير أن الإشكال الذي يؤخذ بعين الاعتبار هو إعراب هذه الصيغ، وقد رأينا المجمع يقسمها باعتبارات مختلفة، ولا أراه أصاب فيما ذهب إليه. فإذا

(١٥٨) المثل السائر: ٢٣١.

(١٥٩) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٩٤.

(١٦٠) مغني اللبيب: ٧٧٨.

(١٦١) صبح الأعشى: ٢٧٥/٨.

(١٦٢) عجائب الآثار: ١٧٢/١، ٢٥٥/٢، وينظر: ٢٨٣/٢، ٤٣١.

أردنا أن نتمثل الدلالة الحقيقية لهذه الأساليب، علينا النظر إليها باعتبارين، حسب ما بين أيدينا من الاستخدامات، النمط الأول ويشمل الصيغ التي لا تُسبق بحرف جرّ، وهذه جميعاً فيما يظهر مصادر نائبة عن أفعالها، ودلالة ذلك أيّين، وقد تخرّج على الحال، ويكون ما بعدها مفعولاً به، أمّا النمط الثاني فهو المسبوق بحرف الجرّ، نحو بخاصة وعلى الأخص وبالأخص، وهذه لا مفرّ من إعراب الذي يليها مبتدأ مؤخرأ، وشبه الجملة خبرٌ مقدم.

ونزيد أن هذا الأسلوب يؤدي على الأوجه التي جاءت في قرار المجمع، وما زاده الأستاذ محمد خلف الله أحمد، ونضيف إليه كما نرى عند الكتاب والمتقنين: أخصّ، وعلى وجه الخصوص، وخصوصي، وعلى وجه التخصيص وعلى الأخص وفي الأخص وبشكل خاص وبالخصوص وخصيصاً، وكل هذا مستخدم ومتداول ومن اليسير الوقوع عليه.

• لم تعحيني السطور فشطبتها :

ذكر هذا التعبير مما أسقط منه حرف الجرّ، يقول المؤلف: "يقول الناس شطبت السطور، ويشطب التلميذ الخطأ"، وهذا الفعل يستعمل متعدياً بمعنى شقّه طولاً، ومنه شطبت المرأة الجريد شقته طولاً، ولازماً بمعنى عدل وترّك، يقال: شطب عن الشيء عدل عنه، وفي الحديث: فشطب الأمير عن مقتله، بمعنى عدل عنه، وعلى ذلك فالصواب أن يقال شطب عن السطور، ويشطب التلميذ عن الخطأ. وأجاز مجمع القاهرة شطب الكلمة طمسها عدولاً عنها اعتماداً على ما قاله الشهاب الخفاجي في شفاء الغليل "شطبّه وشطبّ فوقه مدّ عليه خطأ" (١٦٣)، وقد خطأ الجار الله من قبل هذا الاستخدام (١٦٤).

(١٦٣) الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجرّ: ١٤٣.

(١٦٤) الكتابة الصحيحة: ١٧٨.

وقد أجاز مجمع اللغة العربية هذا الاستخدام، ووافق عليه في الدورة الرابعة والخمسين. (١٦٥). وقدّم الدكتور شوقي ضيف بحثاً في ذلك، وعرض للاستخدامات الحديثة لكلمة (شَطَبَ)، وذكر أنّ كل هذه الاستعمالات وما يُطوى فيها من معنى الإلغاء، لا توجد في المعجمات، غير أنه يوجد فيها ما هو منها بسبب؛ إذ يوجد فيها الشُّطْبَة واحدة شَطَبَ السيف؛ أي الخطوط والطرائق في مَنَه، ويوجد أرض مُشَطَبَة إذا خَطَّ فيها السيل خطوطاً، واشتقوا منها الفعل الرباعي "شَطَبَ". واستعمالهم الرباعي "شَطَبَ" بهذا المعنى يتيح إضافة شَطَبَ يَشَطِبُ الثلاثي بمعنى خَطَّ يَخُطُّ، ولما كان هذا الخطُّ يستلزم إلغائها، سمّوا هذا الصنيع إلغاء، ثم اتسعوا في استعمالها، فجعلوها تدلّ على الإلغاء مطلقاً، من باب إطلاق الخاصّ على العام عن طريق المجاز المرسل (١٦٦). وما ذكره الدكتور شوقي ضيف لم يتكبّ جادة الصواب.

وقد أيّد شَطَبَ بمعنى "طَمَسَ" محمد العدناني (١٦٧)، فبعد أن استعرض معانيها في المعجمات، عرّج على قول الخفاجي في "شفاء الغليل"، وهو ما استند إليه المجمع في إجازتها على هذا المعنى، وقد استشهد بقول ابن العبد الظاهر:

جئتُ شَطَبْتُ فوقه وقلتُ هذا غلط

أمّا النصوص فتنبئ أنّ استخدام شَطَبَ بمعنى ألغى لم تستخدم -فيما اطلعت عليه- أمّا استخدام عبارة "شطب عنه" فقله نادر، وقد أعياني البحث، ولم أفع

(١٦٥) الدورة (٥٤): وينظر: كتاب الألفاظ والأساليب: ١٠٦، ٣٢١.

(١٦٦) نفسه: ١٠٧.

(١٦٧) معجم الأخطاء الشائعة: ١٣٠.

على استخدام لها. على أن في العربية مادة صميمة تفيد معنى الشطب والإزالة ألا وهي الترميج، وهو - كما جاء في التهذيب والمجمل والمحكم واللسان^(١٦٨) - إفساد النصوص بعد تسويتها وكتابتها بالتراب ونحوه، يقال: رَمَجَ ما كتب بالتراب حتى فسد، وهذه مادة لا يكاد يستخدمها أحد من القدماء ولا من المحدثين، فيما اطلعت عليه. واستخدام "شطب" بمعنى ألغى مستخدمة استخداماً واسعاً في عصرنا وليس من الحكمة تخطئتها، والتمسك بصيغة نَدَرَ استخدامها عند القدماء، فضلاً عن المحدثين.

• تخرّجت في قسم الجغرافيا - كلية الآداب:

وهذا ممّا أسقط منه حرف الجر أيضاً، يقول المؤلف: "يكثر إسقاط حرف الجر من المرتبة الثانية في مثل هذه الحالة، فيقول أحدهم: تخرّجت في قسم الجغرافيا - كلية الآداب، أو في قسم الكيمياء-كلية العلوم. وهذه المواضع تستحق دخول حرف الجر على الجزء الثاني من العبارة فيقال بكلية الآداب أوفي كلية الآداب^(١٦٩)."

إنّ سلك المؤلف هذا الأسلوب في الأخطاء، من الغرابة بمكان، فهذا أسلوب يكاد يكون عالمياً، وهو أسلوب لا شك من ابتداع المحدثين، ومن المؤكد أنه نتاج الحضارة الغربية. وهو لا يعارض العربية الفصيحة؛ إذ غدت هذه الشرطّة الفاصلة مصطلحاً له دلالته، ليس في هذا النمط من التعبيرات فحسب، ولكن في كلّ متعلّقين، تعلق الجزء بالكل؛ ولهذا نرى: السعودية-الرياض، ووزارة التربية

(١٦٨) تهذيب اللغة: ٧٣/١١، مجمل اللغة: ٤١٩/٢، المحكم: ٤٢٢/٧، و اللسان: (رمج). وينظر:

كتاب الأفعال" للسعدي (ت٥١٥هـ)، ٥١/٢.

(١٦٩) الأخطاء الشائعة في استعمال حروف الجر: ١٥٤.

- المدارس الخاصة، وما إلى ذلك من التعبيرات. ولا مجال مطلقاً لتخطئة هذه الأساليب، وهذه الشرطية - كما ذكر - تُبنى بانضواء الأصغر تحت الأكبر، والجزء تحت الكل، ولا يشترط أن يكون الأول هو الأكبر، فقد يقال قسم الجغرافيا - كلية الآداب، أو العكس. أمّا حرف الجرّ "في" فيحدّ من هذه الإمكانية، إذ لا يمكن أن يكون العكس، هذا من باب، ومن باب آخر فإنّ الشرطية الفاصلة مصطلح مخصوص، على حين يدلّ حرف الجرّ "في" على الظرفية على نحو غير مخصوص؛ فقسم الجغرافيا في كلية الآداب كما هو في الجامعة، كما هو المدينة.

قصارى القول أنّ هذا أسلوب يمكن أن يُدرج ضمن الأساليب التي أنتجتها الحضارة الحديثة، والتقسيمات الإدارية الحديثة في شتى مناحي الحياة، ولا مجال لتخطئته وقد أصبح أسلوباً عالمياً.

• اليوم ١٥ مُحَرَّم:

وهذا ممّا أسقط منه حرف الجرّ، يقول المؤلف: "يكتب كثير من الناس على خطاباتهم أو من الموظفين على معاملاتهم فيقولون: اليوم ١٥ محرم، واليوم ٩ ربيع الأول، أو الأربعاء ٣٠ كانون الأول أو السبت ١٣ شوّال.. ويجب أن تسبق الشهر كلمة "من"؛ لأن اسم الشهر ليس تمييزاً للعدد الذي يمثل ترتيب اليوم بين أيام الشهر. والمقصود أن يقال: هذا اليوم هو الخامس عشر مثلاً من الشهر أو من شهر كذا، وعلى ذلك فالصواب اليوم ١٥ من المحرم، و ٣٠ من كانون الأول. (١٧٠)

(١٧٠) الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجرّ: ١٦٢.

بادئ ذي بدء إن تدوين التاريخ بالطريقة التي ذكرها المؤلف هو من عمل المُحدثين، فالقدماء، والمتأخرون كانوا يكتبون التاريخ كتابة حرفية، لا رموزاً رياضية، والمحدثون يجنحون إلى الأسلوب المذكور اختصاراً للجهد، وهو أسلوب عالمي في التاريخ، لا تستقل به العربية وحدها، غير أن الكتاب إذا كتبه كتابة حاكوا القدماء، فهم مثلاً لا يكتبون الخامس عشر محرم، بل من المحرم، إلا إذا وضعوا بينهما شرطاً، كذا: الخامس عشر/المحرم، وهذا أقل من ذلك. وقد اجتزأ المحدثون من طرق القدماء في تدوين التاريخ بذكر حرف الجر "من" قبل الشهر، على الرغم من أن القدماء أرخوا على غير صورة، لما مضى، وما سيأتي من الشهر، نحو: خَلَّتْ، وَخَلَوْنَ، وَبَقِيَتْ، وَبَقِيَتْ، كما استخدموا لأول الشهر: لأول ليلة منه، ولِعُرَّتِهِ، ولمُسْتَهَلِّهِ، فإن بَقِيَتْ ليلة واحدة منه قالوا لليلة بَقِيَتْ أول سراره أو سرره، فإذا بقي نهاراً قالوا لآخر يوم منه، أو لسَلْخِهِ أو انسِلَاخِهِ. وكل هذا ما عاد يُسمع.

على أن المؤلف لو تتبع استخدام المتأخرين للتاريخ، لما خطأ المحدثين في استخدامهم المذكور، فقد افتن هؤلاء في تاريخهم. فإذا كان المؤلف قد أنكر على المحدثين إضافة الرموز الرقمية إلى الأشهر، فقد أضافها القدماء كتابة، وعلى الرغم من أن النحويين أجازوا إضافة العدد المركب إلى معدوده، غير التمييز، واستثنوا اثنتي عشرة، واثني عشر، إلا أن المتأخرين خرقوا هذه القاعدة أيضاً، فأضافوا كل الأعداد إلى معدوداتها، مفردة ومركبة، ومعطوفة.

وأول ما يطالعنا من هذا الاستخدام في "أخبار النحويين" (١٧١) لابن أبي هاشم
 ت(٣٤٩هـ) "وأنا أسمع سبعَ عشرَ ربيعِ الآخر"، "وأنا أسمع في شهر ربيع
 الأول" "وصح ذلك عشر ربيعِ الآخر". كما جاء في كتب الأدب كما في
 "الأغاني" (١٧٢) للأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، إذ جاء فيه "ثم دخل إليه ثانيَ شوالٍ
 فأنشده.."، و "الأمثال في الحديث النبوي" لجعفر بن حيان (١٧٣)
 (ت٣٦٩هـ) "وأنا أسمع في يوم الأربعاء سبعَ عشرَ جمادى الآخرة.."
 و "المستطرف" (١٧٤) "وذلك في تاسعَ عشرَ شهرِ رمضان المعظم". كما جاء في
 "نفع الطيب" (١٧٥) "يوم الاثنين خمسَ رجبِ سنة اثنتين..". "توفي يوم الخميس
 حادي عشر شوال"، "وتوفي.. ثاني عشر رجب..". و "صبح الأعشى" (١٧٦) "ثم
 تولى الخلافة بعده أخوه المعتضد بالله أبو الفتح.. سابع عشر شعبان.. وتوفي
 عاشر جمادى الأولى ..."، "مؤرخة بثاني عشر شهرِ صفر..".

وقد بدا ذلك واضحاً في كتب التاريخ كما في "المنتظم" لابن
 الجوزي (١٧٧) (ت٥٩٧هـ) "توفي يوم الجمعة تاسع محرم.."، "توفي ثامن

(١٧١) أخبار النحويين: ١١، ٤١، ٥٥.

(١٧٢) الأغاني (أخبار علي بن جبلة العكوك): ٤١/٢٠.

(١٧٣) كتاب الأمثال في الحديث النبوي: ٣٠٥.

(١٧٤) المستطرف في كل فن مستطرف: ٤٧٣/١.

(١٧٥) نفع الطيب: ٢٤٠/١، ٣٩٦، ٣٨٣، وينظر: ٢١/٥، ٤٩/٢، ٩٣٣، ٩٥٨، ٥٢٤/٤، ٣٣٤/٤

، ٣٨٢، ٥١٦، ٥٢٢/٤، ٢١/٥، ٣٧، ٣٤٣، ٣٨٣، ٣٤٥، ٤٢٧، ٨٨/٦.

(١٧٦) صبح الأعشى: ٢٨٠، ٣٤٧/٧، وينظر: ٢٧٥/٣، ٣٨٩، ٢٧/٥، ١٢٧، ٢٤٩/٧، ٣٣٨/٨.

٤٠٥/١١، ٢٥٧/١٢.

(١٧٧) المنتظم لابن الجوزي: ٣٧٠/٦، ٨٧، ٣٦/٩، وينظر: ٥٧، ٩١/٧، ١٣٥، ١٠٠/٨، ١٠٣،

١٨٩، ٢٧٦، ١٠١، ١٧٧، ١٠١، ١٤٦/١٠، ١٨٩.

وعشرين محرّم.."، "وفي ثاني عشر محرّم جاء نظام الملك" و"الكامل" للشيباني (٦٣٠ هـ) (١٧٨) "رابع عشر ربيع الأول وثب المختار بالكوفة"، "في هذه السنة ثاني عشر صفر". و"الروضتين" للمقدسي (١٧٩) (ت ٦٦٥ هـ) "ومات حادي عشر شوال"، ونزل حماة ثاني عشر شوال"، "البداية والنهاية" لابن كثير (١٨٠) (٧٧٤ هـ) "ببيع له.. في رابع عشر ربيع الأول"، "ثاني عشر صفر أحضر القضاة أبا عبدالله"، و"مآثر الأناقة" للقلقشندي (١٨١) (ت ٨٢١ هـ) "توفي ثالث عشر شعبان"، "وتوفي في سابع عشر رجب"، و"النجوم الزاهرة" لابن تغري بردي (١٨٢) (ت ٨٧٤ هـ)، "ليلة الخميس خامس شوال"، "وقعت في ثامن عشر شوال"، "في ثالث عشرين شوال" و"شذرات الذهب" (١٨٣) "توفي في ثاني عشر ربيع الأول" "إلى أن أسره يوم الأحد خامس عشرين محرّم.."، "وتوفي ثامن عشرين صفر".

وجاء في كتب الفقه والسير والأعلام: كما في "سيرة ابن إسحاق" محمد ابن إسحاق (١٨٤) (ت ١٥١ هـ)، "في أول شوال". و"مسائل الأمام أحمد" (١٨٥)

(١٧٨) الكامل: ٢٧/٤، ٥٠/٩. وينظر: ٥٠/٥، ٨٤/٦، ٧٣/٧، ١٩٤، ٢٠٧، ٢٩٠، ٤١/٨، ٢٧٨، ٢٥/٩، ٤٨.

(١٧٩) الروضتين في أخبار الدولتين: ٩٢/١، ٣٨٥، وينظر: ٣٣١، ٣٦٠، ١٦٠/٢، ٤٥٠.

(١٨٠) البداية والنهاية: ٢٣٧/٨، ١٢/٨٠. وينظر: ٢٦٢/١١، ٢/١٢، ٥٢، ٣٤٢، ٥١/١٣، ٣٣٥/١٣، ١١٧/١٤، ٨٤، ١٢٥، ١٦٧، ٢١٦، ٣٢٢.

(١٨١) مآثر الأناقة: ٣٣٥/١، ٢/٤٦. وينظر: ٣/٢، ٤١، ٤٧، ٧٢، ١٠٤، ١٤٤، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٩، ١٧٤، ٢٥٠، وانظر: ١٧٨/٢، ٢١٥.

(١٨٢) النجوم الزاهرة: ، ٣٢٤، ٥١/٣. وينظر: ٨٨/٢، ١٧٢/٣، ٢٦٥/٥، ٥٨/٧.

(١٨٣) شذرات الذهب: ٩٦/١، ٣٥٩، ١٤١/٢. وينظر: ١/١١٦، ٣٦٤، ٥٣/٢، ١١٥، ١٤١، ٤١٢، ١٤٣، ٢٨١، ٣٦٤، ٦٠/٣، ٧٦، ١٣٤، ٨٣/٤، ٢٢٣، ٢٨٥، ٢٨٧، ٣٤٧.

(١٨٤) سيرة ابن إسحاق: ٢٩٠/٣.

لأحمد ابن حنبل (ت ٢٦٦هـ) "ومات رابع ربيع الآخر.." وجاءت زلزلتان في دمشق.. ثامن رجب"، و"عيون الأنبياء في طبقات الأطباء" (١٨٦) لابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ) "وكان تاريخه تاسع عشر شهر رمضان" "كان موت الحكيم ثامن عشر جمادى الأولى"، و"وفيات الأعيان" (١٨٧) لابن خلّكان (ت ٦٨١هـ) "كانت ولادته في عاشر رمضان"، "توفي ثالث وقيل ثاني شهر ربيع الأول"، وجاء في "سير أعلام النبلاء" (١٨٨) للذهبي (ت ٧٤٨هـ) "ومات في عاشر رمضان"، "توفي في ثامن وعشرين رمضان"، و"زاد المعاد" للزرعي (١٨٩) (ت ٧٥١هـ) "فلما كان يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول.." "وكانت وقعة أحد يوم السبت في سابع شوال سنة.."، و"مقدمة ابن خلدون" (١٩٠) (٨٠٨هـ) "وتحويل السنة الأولى في ثاني رجب.."، "الدرر الكامنة" (١٩١) للعسقلاني (ت ٨٥٢هـ) "مات في ثاني عشر شهر ربيع الآخر"، "ومات في رابع عشري رمضان".

-
- (١٨٥) مسائل الإمام أحمد: ٦٥/١، ٦٨، وينظر: ٦٩، ٧٠.
- (١٨٦) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء: ٣٤٤، ٤٠٦، وينظر: ٦٥٧، ٧٠٦، ٧٣١، ٧٣٧، ٧٦٠.
- (١٨٧) وفيات الأعيان: ١١٢/١، ١١٤، وينظر: ١٤٧/١، ٢١٢، ٢٩٦، ٢٩٩، ٥٢٨/٢، ٧٧/٣، ٣١٤٢/٤، ٤٥٠، ٣٨٢، ١٧٦، ٦٧/٥، ١١١، ٣٣١.
- (١٨٨) سير أعلام النبلاء: ١١٠/١٣، ٣٠١/١٨، وينظر: ٤٠٠/٤، ٢١٨/٦/٦، ٢٦١/٨، ٤٢٩/١٠، ٥٨٠، ١١٠/١٣، ٥٣٢، ١٦/١٤، ٢٨٩، ٣٦٠، ٤٧٩، ٨٤/١٦، ٢٤٧/١٧، ٥٤٦، ٣٠١/١٨.
- (١٨٩) زاد المعاد: ٥٨/٣، ٢٤٣، وينظر: ٣٩١.
- (١٩٠) مقدمة ابن خلدون: ٣٣٨.
- (١٩١) الدرر الكامنة: ٣٣٠، ٣٣٥، ٢٣٠/٥، وينظر: ١١٦/١، ١٦٢، ٩٦/٢، ١٠١، ١٠٧، ١١٢/٢، ١٤٧، ١٨٧، ١١/٣، ٢٣٠/٥، ٣٣٠، ٣٦١، ٢٤٣/٦.

كما جاء أيضاً في "الإصابة للعسقلاني"^(١٩٢) "انتهت كتابتي في ثالث ذي الحجة .." "وفرغت منه في تاسع عشر شوال.."، طبقات الحفاظ^(١٩٣) للسيوطي ٩١١هـ "مات أبو الزناد سابع عشر رمضان"، "مات في تاسع عَشْرِي رمضان". الدارس للدمشقي^(١٩٤) (ت ٩٧٨هـ) "توفي ثاني صفر"، "توفي ثاني عشرين شهر رمضان" و"رحلة ابن بطوطة"^(١٩٥): "ولما كان رابع شوال وصل السلطان.."، "وفي تاسع جمادى الأولى خرج السلطان".

كما جاء في المعاجم المخصوصة، كما في "أبجد العلوم القنوجي"^(١٩٦) (ت ١٣٠٧هـ) "ولد تاسع عشر من رمضان.."، "وُلِدَ حاديَ عشرَ جمادى الأولى..و" كشف الظنون^(١٩٧) للحاج خليفة (ت ١٠٦٩هـ) "فرغ منه في خمس وعشرين رمضان..". "فرغ من تأليفه في إحدى وعَشْرِي محرم"، و"الفهرست لابن النديم"^(١٩٨) (ت ٣٨٥هـ)، (سنان بن ثابت بن قرة) "وتوفي حادي عشر ذي القعدة.."،

(١٩٢) الإصابة: ٧٢٨/٦، ٧٧٠/٤.

(١٩٣) طبقات الحفاظ: ٦٣/١، ٥٦٤٦٣٠ هـ ٤١٠، ٤٣٧، ٣٤٣، ٤٠٦، ٤٣٣، ٤٦٣، ٤٧٧، ٤٨٧، ٥١٦، ٥١٩.

(١٩٤) الدارس: ٧٧/١، ٢٧٠. وينظر: ٨٨، ٢٠٤، ١٠٠، ١٥٨، ١٦٣، ١٧٢، ٢٠١، ، ، وانظر ٢٢٤/١، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٣٢٦، ٣٧١، ٣٧٠.

(١٩٥) رحلة ابن بطوطة: ٥٨٠/٢، ٥٩٥، وينظر: ٣٧/١.

(١٩٦) أبجد العلوم: ٣٦٨/١، ١١/٣. وينظر: ٩٣/٣، ١٣٤٥/٢، ١٠٥٣/٢، ٢٠/٣.

(١٩٧) كشف الظنون: ١٠٦/١، ٢٠٣٣/٢. وينظر: ٥٤٨/١، ٥٩٢، ٦٠٢، ٦٩٨، ٧٥٩، ٨٣٣، ١٠٢٨/٢، ١٠٥٣، ١١٨٠، ١٢٥١، ١٣١٢، ١٣٦٨، ١٣٤٥، ١٤٩٥، ١٦٤٣.

(١٩٨) الفهرست: ٤٢١.

و" معجم البلدان" (١٩٩) لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) "ومات في خامس رجب"،
مات خمارتكين في رابع صفرٍ " .. مات ثاني عشر ربيع الآخر".

على أن هناك من المؤرخين من التزم المنهج القديم في تأريخه، ولم يحد
عنه، في كل استخداماته، كالطبري في تأريخه.

خلاصة المسألة أنه لا يجوز تخطئة من يؤرخ بإضافة الرموز الرقمية إلى
الشهر، فهو كما مرّ، أسلوب عالمي لا تستقلّ به العربية، وكما رأينا فكثير من
الكتاب العرب القدماء والمتأخرين لم يلتزموا أسلوباً واحداً في التأريخ، بل أرخوا
على غير وجه، وفي هذا أيضاً سعة لمن يستخدم من المحدثين هذا النمط من
التاريخ.

• نتج عن هذا الدغم شيوخ الثقافة:

ذكر المؤلف هذه المسألة ممّا زيد فيه حرف الجر، إذ يقول: "يقولون نتج
عن هذا الدغم شيوخ الثقافة، ولن ينتج عن التعصب إلا العداً والكراهية". وهذا
الأسلوب من الأساليب المجازية، وهو أسلوب حديث، لأن أصل الفعل نتج يدلّ
على الولادة والوضع في عالم الحيوان، ثم استعير بعد ذلك إلى معانٍ عدّة،
ويرى الأستاذ العدناني تبادل "من" و"عن" في هذه التعبيرات اعتماداً على أن
يقال نتج الشيء من الشيء بمعنى خرج، ولم أجد ذلك فيما بين يدي من
المعجمات، وقد وجدتها تورد هذا الفعل:

(١٩٩) معجم البلدان: ٧٢/١، ١٥/٢، ٥٥. وينظر: ٤٢٤/١، ٤٥٦، ١٥٨، ٤٢٤، ١٥، ٤٢/٢، ٥٥،
٥٧، ٩٨، ٢٢١، ٢٤١، ٤٠٦، ٤٨١، ٤٨٦، ٣٨٣/٣، ٤٢٢، ٤/٤، ٧، ١٧٨، ٢٤٦، ٣٤٩،
٢٥٤، ٢٧٨، ٣٦٣، ٤٨٤، ٢٢٢/٥، ٣١٩

- مبنياً لما لم يُسمَّ فاعله فيقال نَتَجَتِ الناقَة.

- مجرداً مبنياً للمعلوم، فيقولون نَتَجَّهَا صاحبُها.

وكلا التعبيرين يدلّ على أن الفعل في أصله متعدّدٌ، ولا حاجة لوجود حرف الجر معه؛ ولهذا فإنّ الراجح عندي تعدّيته بنفسه وعدم الحاجة إلى حرف جر، وأنهم أدخلوا حرف الجر فيه على الفاعل، كما يدل على ذلك المعنى ولهذا صحّ أن نقول: "نتجّ هذا الدعمُ شيوعَ الثقافة، وتنتجّ المناقشةُ جودةَ الفهم (٢٠٠).

بادئاً إنّ ما أورده العدنانيّ من وجود "نتج منه" لم أقع عليه في المعجمات، واستخدام "نتج منه" قليل جداً، فالوقوع عليه من الصعوبة بمكان، على أنني وقعت عليه في بعض المصنّفات، منها المستقصى في أمثال العرب للزمخشري (٢٠١) ت ٥٣٨هـ "أخيبُ من ناتج سببٍ من حائل"، و"منهاج الطالبين" ليحيى بن شرف النووي (٢٠٢) (ت ٦٧٦هـ) "ما نتج من نصاب"، و"شرح فتح القدير" للسيواسي (٢٠٣) (ت ٦٨١هـ) "ينتج من الشكل الثالث بعض القاذورات" و"الإبهاج" (٢٠٤) لعلي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦هـ) "ما نتج من نكاح نور الشرع لصافي بنات الفكر"، و"التعريفات" للجرجاني (٢٠٥) (ت ٨١٦هـ) وربي ليس بأقلّ ينتج من الثاني الكوكب ليس بربي"، و"المستطرف" (٢٠٦) (ت ٨٥٠هـ)

(٢٠٠) الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجر: ٢٤٨، وانظر: الكتابة الصحيحة: ٣٥٦.

(٢٠١) المستقصى في أمثال العرب: ١/١١٢ (رقم ٤٢٧).

(٢٠٢) منهاج الطالبين: ٣٠/١.

(٢٠٣) شرح فتح القدير: ٨٥/١.

(٢٠٤) الإبهاج: ١٧/١.

(٢٠٥) التعريفات، للجرجاني: ٢٦٥.

(٢٠٦) مستطرف: ١٧٢/٢.

"إذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن"، "فتح الباري" (٢٠٧) (٨٥٢هـ) "لأن الدَّر
يَنْتَج من العين، بخلاف ما إذا كان اللين في إنباء"، و"صبح الأعشى" وزان
الولايات بما ينتج من مقدمة فعله وقوله"، "وما نتج من النَّصاب"، و"المنهج القويم"
للهيتمي (٢٠٨) (ت ٩٧٤هـ) "نتج من مائة شاة"، "ما نتج من نصاب"، و"فتح القدير"
الشوكاني (٢٠٩) (ت ١٢٥٠هـ) "إذا نتج من صلبه عشرة".

وبعد، فهذا التركيب الذي خطأه المؤلف محدث تماماً، وعلى الأغلب
هو وليد الترجمة؛ ذلك أن ليس ثمة فعل يمكن أن يكون "نتج" قد تضمن معناه،
يتعدى بـ"عن"، وإن كان "يستخدم أحياناً في معنى "صدر" أو "أسفر" إلا أن
كثيراً من استخداماته على غير ذلك، وهو مستخدم عند المحدثين استخداماً
واسعاً، وليس من الحكمة تخطئته، ويمكننا أن نقبل التناوب بين "من" و"عن"
ههنا، لا من قبيل ما ذكر العدناني، ولكن من قبيل الاستقراء لاستخدامات
المحدثين .

• دخول حرف الجر على كافة:

ذُكِرَ ممَّا زيد فيه حرف الجرّ، يقول المؤلف: يقولون عمّت الخبرَ على
كافة الموظفين، وسلمت على كافة الحاضرين، واحتفت بكافة الزملاء. يُدخلون
حرفَ الجرّ على كافة، والنحاة يوجبون نصبها على الحال فهي لا تتصرف
عندهم عن الحالية، ويمنعون دخول "ال" عليها أو إضافتها، ويستظهر برأي

(٢٠٧) فتح الباري: ١٤٤/٥، ١٢٣١/١٢.

(٢٠٨) المنهج القويم: ٤٥٥/١، ٢٢٣/٣.

(٢٠٩) فتح القدير: ٨٢/٢.

الحريري في ذرّة الغوّاص الذي بالغ في النكير على من أخرجها غير مخرج
الحالية، ولكن الحريري وقع فيما أنكره حين قال: "وتشهد الآية باتفاق كافة أهل
الملل".

ويستعرض رأي بعض اللغويين والمفسرين مما يؤيد ما ذهب إليه،
ويستخلص من ذلك ثلاثة أمور :

١- أن ما ورد من استعمال كافة على خلاف شرط النحاة عند الفقهاء
والمصنّفين والعامّة هو سهو أو تساهل في الاستعمال، لا يُعتدّ به ولا
يقاس عليه.

٢- أن الرواية بقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - "قد جعلت لآل
بنّي كأكلة على كافة المسلمين لكل عام مائتي متقال ذهباً " متناقضة.
وتروى مجرورة بالإضافة كما في نصّ الصبّان ونصّ الأوسيّ في
رُوح المعاني (قد جعلت لآل بنّي كأكلة على كافة بيت مال
المسلمين...)، مما يضعف الاحتجاج بالنصّ.

٣- أن كافة لم تَرَدّ في القرآن الكريم إلا على شرط النحاة^(٢١٠).

وهذا رأي زهدي الجار الله من قبل، إذ يقول: "كلمة كافة لا تضاف ولا تدخل
عليها اللام، بل تأتي دوماً في آخر الجملة منصوبة على الحال"^(٢١١).

(٢١٠) الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجر: ٢٥٧.

(٢١١) الكتابة الصحيحة: ٣١٣.

وقد أجاز مجمع اللغة العربية استعمال " كافة " في الحال وفي غيرها،
معرفةً ومنكرةً، ولغير العاقل استناداً إلى استعمالات فصيحة قديمة^(٢١٢). وقَدَّمَ
عبد السلام هارون (ت ١٩٨٨م) بحثاً في استعمال كافة ذكر اختلاف العلماء في
استعمالها، تعقبها في الاستعمال القرآني، والحديث الشريف، وفي كتب اللغويين
والمفسرين والنحاة. ورصد استخدامين لـ " كافة " مخالفين لما عليه جُلّ اللغويين
والنحاة، الأول في كلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - المذكور آنفاً،
والثاني للزمخشري في خطبته لكتاب المفصل، وينتهي إلى إجازة استخدام
كافة؛ في الحال ومعرفة ولغير العاقل، ومضافة ومسبوقة بحرف الجر^(٢١٣).

بادئاً لا مرأى في أن الاستخدام الأعلى والأفصح لـ "كافة" أن تأتي حالاً،
ويظهر ذلك الاستخدام المبكر لها، في القرآن الكريم^(٢١٤) والحديث الشريف^(٢١٥).
غير أن هذا لا يمنع أن ثمة استخداماً مغايراً، وُجِدَ منذ القدم، وشاع عند
المتأخرين، وسادَ عند المحدثين.

(٢١٢) القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب: ٢٦٧، وكتاب الألفاظ والأساليب: ٦٩/٣.

(٢١٣) كتاب الألفاظ والأساليب: ٧٠/٣.

(٢١٤) وردت في القرآن الكريم كذلك خمس مرات: ٢٠٨ (البقرة)، ٣٦ (التوبة) مرتين، ١٢٢ (التوبة)،
٢٨ (سبا).

(٢١٥) ينظر الحديث في: صحيح البخاري (الصلاة) رقم: ٤١٩، ومسلم (المساجد ومواضع
الصلاة) رقم: ٨١٢، (الأضاحي) رقم: ٣٦٥٩، و (التوبة) رقم: ٣٩٦٤، (صفات المنافقين) رقم:
٤٩٨٣، ٤٩٨٤، سنن الترمذي (السير) رقم: ١٤٧٤، و (تفسير القرآن) رقم: ٣٠٣٧، سنن
النسائي (الغسل والتيمم) رقم: ٤٢٩، وسنن أبي داود (الحدود) رقم: ٣٨٧٥، مسند أحمد (مسند
العشرة المبشرين بالجنة) رقم: ٩٠٨، ١٢٣٨، (موسوعة الحديث الشريف).

وسنتناول ههنا مذهبين في الخروج على القاعدة الأفصح لاستخدام "كافة"،
الأول إضافتها، والثاني دخول حرف الجرّ عليها. أمّا الأول ففعلّ أول ما
يصادفنا منه ما روي في "جمهرة خطب العرب" عن الحسن البصريّ
(ت ١١٠هـ) إذ قال^(٢١٦): "وجعله رسولاً إلى كافة خلقه" والحسن من أفصح
العرب، وهو بعدُ ربيبُ أمّ سلمة (زوج النبيّ صلى الله عليه وسلّم)، قال
الشافعي: "لو أشاء أقول: "إنّ القرآن نزلَ بلغةِ الحسنِ لَقُلْتُ"^(٢١٧)، كما جاء في
"سر صناعة الإعراب" لابن جنّي^(٢١٨) (٣٩٤هـ) "كافة أصحابنا"،
و"الخصائص"^(٢١٩) "كافة اللغات" "كافة أصحابنا". و"دلائل الإعجاز" للجرجاني
(ت ٤٧١هـ) ^(٢٢٠): "كافة الأوقات" "كافة العلماء"، و"نفع الطيب للمقري"^(٢٢١)
"كافة أهل البلد" "كافة الخلق"، و"صبح الأعشى"^(٢٢٢) "كافة المستخدمين" "كافة
سامعيه" "كافة البرية" "كافة الخلق". و"المستطرف" للأبشيهي (ت ٨٥٠هـ)
^(٢٢٣) "كافة الخلق".

(٢١٦) جمهرة خطب العرب: ٤٩٢/٢ (مقام الحسن عند النضر بن عمرو).

(٢١٧) غاية النهاية: ٢٣٥/١.

(٢١٨) سرّ صناعة الإعراب: ١٢٨/١، ١٨١.

(٢١٩) الخصائص: ١٥/٢، ٣٨٨.

(٢٢٠) دلائل الإعجاز: ٢٨٩، ٥٢١.

(٢٢١) نفع الطيب: ٤٢٨، ٣٥٢/٦.

(٢٢٢) صبح الأعشى: ٥٦٧/٣، ٢٨٧/٦، ٤٥١، ٤٦١، وينظر: ٢٤٤/٨، ٢٦٤، ٣٤٧، ٣٨٠، ٤٠٠،

١١/٩، ١٢، ١٤، ١٣٩، ٣٠٥/٩، ١٣٩/١٠، ١٣٩/١٠، ١٥٧.

(٢٢٣) المستطرف: ٩/١.

وقد ورد هذا الاستعمال في كتب التاريخ كما في "تاريخ بغداد" للبغدادي^(٢٢٤) ت ٤٦٣ هـ — "كافة أصحابه"، "كافة أصحابنا"، "كافة أهلها"، و"تاريخ دمشق" (٥٧١ هـ) ^(٢٢٥) "كافة الأنام"، و"روى عنه كافة أهلها"، و"رأيت كافة شيوخه"، "تناوله كافة أصحابه"، و"الروضتين في أخبار الدولتين" للمقدسي^(٢٢٦) ٦٦٥ هـ — "كافة الأمراء"، "كافة التجار"، "كافة الناس"، و"وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٨١ هـ) ^(٢٢٧) : "كافة المصريين"، "كافة عبيده"، و"تاريخ الخلفاء" للسيوطي^(٢٢٨) هـ — "كافة العلماء"، و"شذرات الذهب" ^(٢٢٩) "كافة شيوخنا"، "كافة الإسلاميين"، "كافة الخواص"، و"عجائب الآثار" (١٨٢٢ هـ) ^(٢٣٠) "كافة علماء الإسلام"، "كافة الرعايا"، "كافة أهالي مصر".

أمّا كتب التفسير والفقہ والتراجم والمعاجم المختصة، فنجد ذلك في تفسير الطبري^(٢٣١) : "كافة المسلمين"، "كافة عبدة الأوثان". و"تفسير القرطبي" ^(٢٣٢) "كافة المشايخ" "كافة المسلمين"، "كافة العلماء"، و"قرى الضيف" ^(٢٣٣) "كافة المسلمين" "كافة

(٢٢٤) تاريخ بغداد: ١٠٦/٢، ٢١٣/٣، ٣٤٣/٤، وينظر: ٢١٦/٨، ٣١٢/١٢، ١١٩/١٣.

(٢٢٥) تاريخ دمشق: ٤/١، ١٥٧/٥، ١٧٤/٥٥، ٢٤٩/٥٦.

(٢٢٦) الروضتين في أخبار الدولتين: ٤٤/١، ٧٢، ٢٤٣، وينظر: ٣٠٦/١، ٣٤٤، ٢٣٤/٣٨٢، ٢٨٩، ١٧٦/٣، ٨٥/٤.

(٢٢٧) وفيات الأعيان: ٥٦/٢، ١٣٢/٦.

(٢٢٨) تاريخ الخلفاء: ٢٧/١.

(٢٢٩) شذرات الذهب: ٢٦٥/١، ٣٥٣، ١٩٤/٢.

(٢٣٠) عجائب الآثار: ٢٢٦/٢، ٢٣٧، ٢٣٨، وينظر: ٤١٤، ٤٢٤، ٤٣١، ١٧١/٣.

(٢٣١) تفسير الطبري: ١٣٢/٢، ٢٧٩/٧.

(٢٣٢) تفسير القرطبي: ١٥/١، ٢٣/٢، ٨٥/٣، وينظر: ١٧٠، ٣٨١/٣، ٣٠٠/٤، ١١٦/٥، ٢٠٥، ٣١٤، ٣٢١، ٣٦٤، ٧٦/٨، ٢٠٣/٩، ٤٧/١٢.

(٢٣٣) قرى الضيف: ٣٠٣/١، ٤٤٥/٤، ٤٥٠/٤.

حاضرته "كافة الأشباه" و"طبقات الحفاظ للسيوطي" (٢٣٤) (ت ٩١١ هـ) "كافة شيوخنا"، و"فتح الباري" للعسقلاني ت ٨٥٢ هـ (٢٣٥) "كافة أصحابه"، "كافة الناس"، "كافة أهل التفسير" "كافة العلماء"، و"كشف الظنون" (٢٣٦) "كافة الخلق" "كافة الخلايق" و"أبجد العلوم" (٢٣٧): "كافة الخلق"، "كافة بيت أهل النبوة"، "كافة الأمم".

ونجد هذا الاستخدام يظهر عند الكتاب المحدثين، كما في "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" (٢٣٨) "كافة قبائل المغرب"، "كافة قبائل البربر"، "كافة أهل المغرب"، و"تاريخ الدولة العلية" لمحمد فريد (٢٣٩) "وأقطعه كافة الأراضي"، "كافة منقولاته"، "كافة قبائل الصقالبة"، وفي "الظلال" (٢٤٠) "كافة الشؤون" "كافة العلاقات" "كافة الروابط"، وجاء عند محمد الغزالي (ت ١٩٩٦ م) (٢٤١) "وأن كافة ما اختلقه الدجالون من التفاضل...".

(٢٣٤) طبقة الحفاظ: ٣١٥/١،

(٢٣٥) فتح الباري: ٢٩/٢، ٣١٧، ١٢٩/٩، ٤٦٨.

(٢٣٦) كشف الظنون: ١٣/١، ٩٥١/٢، ١٨٧٦.

(٢٣٧) أبجد العلوم: ٦٢/١، ١٧٩/٣، ٢١٤.

(٢٣٨) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: ١/٢١٨، ٢٣٥، ٢٥١، وينظر: ٢٧٣، ٢٠/١، ٨٠،

٨٩، ١٠٢، ١٦٧، ٢٠٣، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٤٩، ٢٥٩.

(٢٣٩) تاريخ الدولة العلية: ١١٨، ١٢٤، ١٢٥، وينظر: ١٦٥، ١٧٢، ١٩١، ١٩٨، ٢٠٦، ٢١١،

٢٢٤، ٢٢٦، ٢٣٠.

(٢٤٠) في ظلال القرآن: ١٧٩ (البقرة ١٨٨)، ٤٣٣ (آل عمران)، ١٢٣٠، وينظر: ١٢٣١ (الأنعام ١٥٠)،

٣٨٤٩ (الانفطار ٧).

(٢٤١) "في التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام": ١٣.

أما المذهب الآخر فهو دخول حرف الجرّ على "كافة" وأول ما ترصده منها حرف الجرّ "على"، كما في "تاريخ الطبري"^(٢٤٢) "على كافة الأمة"، و"رحلة ابن جبير" (ت ٦١٤هـ)^(٢٤٣) "وأمين على كافة الحرم الباقيات" و"التدوين في أخبار قزوين" لعبد الكريم بن محمد القزويني (ت ٦٢٣هـ)^(٢٤٤) "على كافة المؤمنين"، و"الكامل" للشيباني^(٢٤٥) "على كافة الناس"، "على كافة الحرم"، و"الروضتين" ٦٦٥ هـ^(٢٤٦) "على كافة المسلمين"، "على كافة الناس"، "على كافة أوليائنا"، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي^(٢٤٧) (٧٤٨هـ) "على كافة أقرانه" و"مآثر الأناقة" للقلقشندي^(٢٤٨) "على كافة الأمة"، و"نفع الطيب"^(٢٤٩) "ما فرض الله على كافة أهل الإسلام من الجهاد" و"صبح الأعشى"^(٢٥٠) "على كافة من قبلك من المسلمين" "على كافة خلقه وعباده" "بعد قراءة السجل على كافة الناس" و"شذرات الذهب"^(٢٥١): "على كافة العباد".

(٢٤٢) تاريخ الطبري: ٣٧٧/٥.

(٢٤٣) رحلة ابن جبير: ١٦٣.

(٢٤٤) التدوين في أخبار قزوين: ١٥١/١.

(٢٤٥) الكامل: ٤٢٤/٩، ٣٨٣/١٠.

(٢٤٦) الروضتين: ٤٥، ٣٨٠، ٣٨٢، ١٧٦/٣.

(٢٤٧) سير أعلام النبلاء: ٤٠٩/١٣، ٤٦٨/١٥.

(٢٤٨) مآثر الأناقة: ١/١، ٨، ٧١.

(٢٤٩) نفع الطيب: ١٠٩٧/٢.

(٢٥٠) صبح الأعشى: ٤٣١/٦، ٢٤٣/٨، ٢٤٤، وينظر: ٢٤٤/٨، ٢٨٣، ٢٨٧/٩، ٣٠٢، ٣٠٥، ١٠.

٢٦٨/، ٤٠٧، ٤٢٤، ٥٥/١١.

(٢٥١) شذرات الذهب: ٣٦١/٤.

كما جاء في "أحكام القرآن" (٢٥٢) للجصاص (ت ٣٧٠هـ) "، على كافة الأمة"، طبقات الشافعية الكبرى لابن قاضي شهبه (٢٥٣) (ت ٨٥١هـ) "على كافة الفلاسفة"، المستصفى للغزالي (٢٥٤) (ت ٥٠٥هـ) "على كافة هذه الأمة"، "على كافة أصحابه"، و"طبقات الحنابلة" لابن أبي يعلى (٢٥٥) (ت ٥٢١هـ) "على كافة الخلق"، "على كافة أهل العلم" تفسير القرطبي (٢٥٦) (ت ٦٧١هـ) "على كافة المسلمين"، "المواقف لعرض الدين الإيجي" (٢٥٧) (ت ٧٥٦هـ) "على كافة الأمة".

ونقع عليه عند المحدثين مبكراً في "الاستقصا" للناصرى (١٣١٥هـ) (٢٥٨) "على كافة أهل مصره"، "تاريخ الدولة العلية" (٢٥٩) "على كافة البلاد" "على كافة سفراء الدول"، "على كافة حدود الدولة".

أما اقترانها بحرف الجرّ "من" فنقع عليه في "تاريخ بغداد" (٢٦٠) "من كافة شيوخه". و"الروضتين" ٦٦٥هـ (٢٦١) "من كافة ولاية الأمر"، و"تفسير القرطبي" (٢٦٢) "من كافة العلماء"، عجائب الآثار (٢٦٣): "من كافة علماء الإسلام".

(٢٥٢) أحكام القرآن: ٢٨٧/٤، ٣١٢.

(٢٥٣) طبقات الشافعية الكبرى: ٢٤٩/٦.

(٢٥٤) المستصفى: ٤٧/١، ٢٢٩، ٢٦٧.

(٢٥٥) طبقات الحنابلة: ٦٣/٢، ٢٠٢.

(٢٥٦) تفسير القرطبي: ٢٣/٢.

(٢٥٧) المواقف: ٥٧٤/٣.

(٢٥٨) الاستقصا: ١١/٣.

(٢٥٩) تاريخ الدولة العلية: ١٧٢، ٢٦٠، ٢٧٤، وينظر: ٣٠٠، ٣٢٨، ٣٨٥، ٤٨٨، ٦٣١.

(٢٦٠) تاريخ بغداد: ٢٨٦/١.

(٢٦١) الروضتين: ٢٣٤/٢.

(٢٦٢) تفسير القرطبي: ٨٥/٣.

و"مقدمة ابن خلدون^(٢٦٤)" من كافة الناس"، قرى الضيف^(٢٦٥) "وأنا أحوج من كافة حاضرتة"، و"صبح الأعشى^(٢٦٦)" "من كافة المؤمنين" من كافة متولي الدواوين"، وعند المحدثين نراه يظهر في "تاريخ الدولة العلية^(٢٦٧)" من كافة الشروط، وفي "الظلال"^(٢٦٨) من كافة العلاقات.

كما نجد اقتران "إلى" بـ"كافة" كما مرّ في قول الحسن البصري: "وجعله رسولاً إلى كافة خلقه"، وكذا في "أحكام القرآن" للجصاص^(٢٦٩) "إلى كافة الناس" و"الروضتين^(٢٧٠)" "إلى كافة البشر". و"تفسير القرطبي^(٢٧١)" (ت ٦٧١هـ) "إلى كافة الخلق" و"المواقف" لعضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦هـ)^(٢٧٢) "إلى كافة الوري" و"عجائب الآثار"^(٢٧٣) "إلى كافة أهالي مصر" "إلى كافة المشايخ" "إلى كافة العلماء" .. مآثر الأناقة للقلقشندي^(٢٧٤) (ت ٨٢١هـ) "إلى كافة الأنام"، و"تاريخ الدولة العلية"^(٢٧٥) "إلى كافة الولاة"، "إلى كافة الممالك" "إلى كافة البلاد"، و"طبقات

(٢٦٣) عجائب الآثار: ٢/٢٢٦.

(٢٦٤) مقدمة ابن خلدون: ٣٧٧.

(٢٦٥) قرى الضيف: ٤/٤٤٥.

(٢٦٦) صبح الأعشى: ١٠/٣٢٦، ٣٦٧.

(٢٦٧) تاريخ الدولة العلية: ٣٥٢.

(٢٦٨) في ظلال القرآن: ٤٣٣.

(٢٦٩) أحكام القرآن: ١/٦٩.

(٢٧٠) الروضتين: ٤/٨٥.

(٢٧١) تفسير القرطبي: ٤/٢١٣.

(٢٧٢) المواقف: ١/٥.

(٢٧٣) عجائب الآثار: ٢/٢٣٨، ٤١٤، ٤٣١.

(٢٧٤) مآثر الأناقة: ٣/٣٨١.

(٢٧٥) تاريخ الدولة العلية: ١٩٨، ٢٥٣، ٢٥٥.

الشافعية الكبرى" لابن قاضي شهبة^(٢٧٦) (ت ٨٥١هـ) " إلى كافة العرب"، و" نفع الطيب"^(٢٧٧) "إلى كافة الخلق".

كما نجدها مقترنة بـ " عن " كما في "المستشفى" للغزالي^(٢٧٨) (ت ٥٠٥هـ) "عن كافة أصحابه"، و"تفسير القرطبي"^(٢٧٩) (ت ٦٧١هـ) "عن كافة المشايخ"، و"صبح الأعشى"^(٢٨٠) "عن كافة خدمه" "عن كافة جند المسلمين"، و"مآثر الأناقة" للقلقشندي^(٢٨١) "عن كافة الناس"، و عند المحدثين في "تاريخ الدولة العلية"^(٢٨٢) "عن كافة الأقاليم".

وَجُرَّتْ بـ"في" " كما في "أحكام القرآن"^(٢٨٣) "في كافة أصحابه"، و"النجوم الزاهرة"^(٢٨٤) "في كافة الأجناد". و" الحلة السیراء"^(٢٨٥) "في كافة محاولاته"، و"نفع الطيب"^(٢٨٦) "وبرز إليه المهدي في كافة أهل البلد"، و"الكامل" للشيباني^(٢٨٧) ٦٣٠هـ " في كافة الناس"، صبح الأعشى^(٢٨٨) (ت ٨٢١هـ): في كافة رعيته، "في

(٢٧٦) طبقات الشافعية الكبرى: ٢٣٦/٦، ٢٣٨.

(٢٧٧) نفع الطيب: ٣٥٣/٦.

(٢٧٨) المستشفى: ٢٦٧.

(٢٧٩) تفسير القرطبي: ١٥/١.

(٢٨٠) صبح الأعشى: ٧٨/٩، ٤٢٠/١٠.

(٢٨١) مآثر الأناقة: ٣٠/١.

(٢٨٢) تاريخ الدولة العلية: ١٦٥، ٢٨٠.

(٢٨٣) أحكام القرآن: ٣٢١/٥.

(٢٨٤) النجوم الزاهرة: ١٥٣/٥.

(٢٨٥) الحلة السیراء: ٢٦٠/٢.

(٢٨٦) نفع الطيب: ٤٢٨/١، ٢٢٥/٢.

(٢٨٧) الكامل: ٣٣٨/٩.

(٢٨٨) صبح الأعشى: ٤٨٨/٦، ٣١٥/١٠، ١٠٧/١٢، وينظر: ٧/١٣.

كافة أموره" "في كافة جنوده" و"دلائل الإعجاز"^(٢٨٩) في كافة الأوقاف". وعند المحدثين نجده في "تاريخ الدولة العلية"^(٢٩٠) في كافة الجهات"، "في كافة متعلقاتهم"، "في كافة بلاد آسيا، وفي "الظلال"^(٢٩١) "في كافة الشؤون"، "في كافة الروابط" "في كافة أنحاء الجسم".

وبعد، فإن خروج الكتاب على القاعدة الأصيلة لـ"كافة"، لا يمكن أن يكون "سهواً أو تساهلاً في الاستعمال لا يعتد به ولا يقاس عليه، كما يقول المؤلف، بل هو توسع في مذهب أسس له القدماء، وأساعه المحدثون.

• دخول من على أسماء الزمان (لقيته من أول وهلة)^(*):

وهذا ممّا زيد فيه حرف الجرّ ، والمؤلف يتابع العدناني فيما يقول من تخطئته قول القائل ظننته من أول وهلة طبيياً^(٢٩٢)، والصواب "أول وهلة"، ويقاس على ذلك "أول مرّة" و"أول لحظة" و"أول سفرة" و"أول لقاء"، وقد جاءت هذه التعبيرات في الأمثال العربية من غير أن تفتن باللام أو بمن أو بغيرهما من حروف الجرّ^(٢٩٣).

بادئ ذي بدء، قضية دخول "من" على أسماء الزمان معدودة في قضايا الخلاف بين نحويي البصرة والكوفة، وإذا عدنا إلى مسائل الخلاف وجدنا

(٢٨٩) دلائل الإعجاز: ٢٣٣.

(٢٩٠) تاريخ الدولة العلية: ٢٢٦، ٢٧١، ٢٧٣، وينظر: ٤٦٣، ٤٧١، ٤٩٥، ٦٠٠.

(٢٩١) في ظلال القرآن: ١٧٩، ١٢٣٠، ٣٨٤٩.

(*) ينظر أيضاً: مسألة "ما رأيت من يوم الجمعة": الأخطاء الشائعة في استعمال حروف الجرّ: ٩٩.

(٢٩٢) معجم الأخطاء الشائعة ٢٦٣، ٢٧٤. وينظر الكتابة الصحيحة: ٤٠٢.

(٢٩٣) الأخطاء الشائعة في استعمال حروف الجرّ: ٢٥٣.

الكوفيين - كما يذكر الأنباري - يجيزون استعمال "من" في الزمان والمكان، ورد ذلك البصريون، واحتج الكوفيون بآية كريمة، وبيت من الشعر، أما الآية فقوله تعالى: "لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ...". أما البيت فلزهير، وهو:

لِمَنْ الدَّيَّارِ بِقَنَةِ الحِجْرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ

واحتج البصريون على أن "من" في المكان نظير "مذ" في الزمان، وكما لا يجوز أن تقول "ما سرت مذ بغداد"، فكذلك لا يجوز أن تقول "ما رأيتَه من يوم الجمعة". وأيد الأنباري مذهب البصريين، ورد ما ذهب إليه الكوفيون، وخرَجَ "من" في الآية المذكورة على أنها على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مكانه، والتقدير "من تأسيس أول يوم"، كما ردَّ رواية بيت زهير، وقال الراوية الصحيحة "مذ حَجَجٍ ومذ دهر"، ولو سلَّم به على رواية الكوفيين لأول على أنه "من مرَّ حججٍ ومن دهرٍ" (٢٩٤)، وهذا تشدّد ينقضه الواقع اللغوي، كما جاء في الآية الكريمة وبيت زهير، وغير ذلك من الشواهد.

وقال إميل يعقوب: "والحق أنني لم أجد هذا التعبير "الأول وهلة" إلا في المعجم الوسيط؛ لذلك أرى أن الأفضح القول "لَقِيْتَهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ" (٢٩٥).

والمعاجم تؤيد ما جاء به الدكتور عمّار، جاء في اللسان، "وَلَقِيْتَهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ وَوَهْلَةٍ وَوَاهِلَةٍ؛ أَيَّ أَوَّلِ شَيْءٍ، وَقِيلَ: هُوَ أَوَّلُ مَا تَرَاهُ. وَفِي الْحَدِيثِ:

(٢٩٤) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٣٧٠/١.

(٢٩٥) معجم الخطأ والصواب: ٢٧٤.

فَلْقَيْتَهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ أَيْ أَوَّلَ شَيْءٍ، وَ الْوَهْلَةُ الْمَرَّةُ مِنَ الْفَزَعِ، أَيْ لِقَيْتَهُ أَوَّلَ فَرْعَةٍ فَرَعَتْهَا بَلْقَاءَ إِنْسَانٍ، وَالْمَعْجَمُ الْمَشْهُورَةُ تَتَهَجُّ هَذَا النَّهْجَ (٢٩٦).

وَإِذَا أَعْرَضْنَا عَنِ الْمَعْجَمَاتِ وَنَقَّبْنَا فِي النُّصُوصِ، كَانَ أَوَّلُ مَا يَسْجَلُ أَنْ "وَهْلَةٌ" لَمْ تَرِدْ لَّا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَا فِي كِتَابِ الصَّحَاحِ، وَوَجَدْنَاهَا بَعْدَ ذَلِكَ تَسْتُخْدَمُ عَلَى أَنْمَاطٍ مُخْتَلِفَةٍ، فِي طَائِفَةِ شَتَّى مِنَ الْكُتُبِ، أَمَّا "مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ" فَقَدْ رُوِيَ فِي "الْأَغَانِي" عَلَى لِسَانِ نَصِيبِ الشَّاعِرِ الْأُمَوِيِّ (ت ١٠٨هـ) "فَاسْتَحْيُوا أَنْ يَجِيبُوهُنَّ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ" (٢٩٧). وَجَاءَ فِي "لِسَانِ الْعَرَبِ" نَفْسُهُ؛ إِذْ نَقَلَ قَوْلَ ابْنِ بَرِّي "جَاءَ إِلَيَّ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ" (٢٩٨)، كَمَا يَنْقُلُ اللَّسَانَ عَنِ سَيَّبِيِّهِ "مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ"، إِذْ يَقُولُ: "قَالَ سَيَّبِيُّهُ ذَالُهُ مُنْحِقَةٌ لَهُ بِجَعْفَرٍ وَلَيْسَ كَمَعْدٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَبْنِيٌّ عَلَيَّ فَعَلَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ" (٢٩٩)، وَيَنْقُلُ عَنِ ابْنِ سَيِّدِهِ نَصًّا مَنْسُوبًا إِلَى سَيَّبِيِّهِ أَيْضًا "وَإِنَّمَا بَنِي مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ عَلَى السُّكُونِ" (٣٠٠)، وَلَمْ أَقْعُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ سَيَّبِيِّهِ، كَمَا يَنْقُلُ عَنِ ابْنِ سَيِّدِهِ "وَهَذَا هُوَ السَّابِقُ إِلَيْنَا مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ" (٣٠١).

(٢٩٦) اللسان "وهل"، وينظر: الجمهرة ٣/٤٧٢، والتهذيب: ٦/٤٢٠، ومجمل اللغة: ٧٦٥، والمحكم: ٤٢٥/٤.

(٢٩٧) الأغاني: ١/٣٤١.

(٢٩٨) اللسان (ر ه ط).

(٢٩٩) اللسان: ٣/١٥١ (قر د)، وهو في المحكم ٦/٣٠٨، وما في سيبويه يختلف عن هذا، ولم يذكر سيبويه "وهلة"، ينظر الكتاب: ٤/٤٢٤.

(٣٠٠) اللسان: ١٥/٣٥٢ (ه با)، والنص فيه بعض التحوير والتغيير، ولم يذكر سيبويه "وهلة"، ينظر الكتاب: ٤/٤١٢، ٤١٥.

(٣٠١) اللسان ١٣/٣٣٦ (قر ن)، ولم يذكره المحكم.

وجاء هذا الاستخدام في "المنتظم" لابن الجوزي^(٣٠٢) (ت ٥٩٧هـ) "بلغتم الأمر الى أمير المؤمنين من أول وهلة"، و"فتح الطيب" للمقري^(٣٠٣) ٧٥٨ (٣٠٣) "ما هذا الوثوب على المدح من أول وهلة"، و"طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي^(٣٠٤) (ت ٧٧١هـ) "ما يعرف على البديهة من أول وهلة" "التفضيل بين البلدين من أول وهلة" و"تفسير ابن كثير" (ت ٧٧٤هـ)^(٣٠٥) "تدلّ على التأنيت من أول وهلة" "أي لم يمكنوا أن يمنعوا في الهرب، بل الشاة من أول وهلة" "لما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة"، و"خزانة الأدب" لابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)^(٣٠٦) "فلا يفهم من أول وهلة حتى يوضّحه" و"فتح الباري"^(٣٠٧) لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) "تستلزم الدخول من أول وهلة" "القيام بذلك من أول وهلة" "الطمع في تملكها من أول وهلة"، و"النجوم الزاهرة"^(٣٠٨) لابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) "فانكسروا من أول وهلة" "أراد النزول إليه بعساكره من أول وهلة" و"المزهر"^(٣٠٩) ولا تفهم من أول وهلة"، و"عجائب الآثار"^(٣١٠) (١٨٢٢هـ)، واستعملهم من أول وهلة في الفروسية".

(٣٠٢) المنتظم: ١٢٩/٥.

(٣٠٣) فتح الطيب: ٥١١/٣.

(٣٠٤) طبقات الشافعية الكبرى: ٢٧٥/٥، ٣٦٨/٩.

(٣٠٥) تفسير ابن كثير: ١١/٢، ٥٤٥/٣، ١٤/٤.

(٣٠٦) خزانة الأدب: ٢٨٣/٢.

(٣٠٧) فتح الباري: ١١٩/٣، ٤٤١/٤، ٨٨/٥، وينظر: ٣٢٨/٦، ١٧٠/٧، ٤٤٤/١٠، ٣٦٦/١١.

٤١٤، ٤٤١، ٤٥٤، ٣٥١/١٣.

(٣٠٨) النجوم الزاهرة: ٨٢/١٣، ٤٣/١٦.

(٣٠٩) المزهر: ٤٥٠/١.

(٣١٠) عجائب الآثار: ٨٣/٢.

أما استخدام "وهلة" مع حرف جرّ غير "من"، فنجد "لأول وهلة" تُروى عن أبي عمرو بن العلاء في الأغاني: "وما كانت عشيرته لتسلمه لأول وهلة" (٣١١)، كما نجدها عند القضاي في "الحلة السبراء" (٣١٢) (ت ٦٥٨)، حتى حالت لأول وهلة حاله". ونجدها في كتابات المتأخرين كالمقري (٣١٣)، "فدخلت لأول وهلة" كما استخدم أيضاً (٣١٤) "لأول مرة"، إذ قال "فغزا عبد الرحمن لأول مرة ولايته"، وابن خلدون (٣١٥) "فيجربها لأول وهلة" ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة "ففيهاك لأول وهلة". كما نجدها عند العقاد من المحدثين (٣١٦) "وإن ظهر لأول وهلة"، كما استخدمها مجرورة باللام، إذ يقول (٣١٧): "... لا يتكرّر بهذه النسبة في أية جماعة يقع عليها النظرُ للوهلة الأولى"، وسيد قطب (٣١٨) الذي يتبادر إلى الذهن لأول وهلة "يطالع الفكرة كأنما لأول وهلة" الذي تنكره الفطرة لأول وهلة"، واستخدم محمود شاكر "لأول مرة"، إذ يقول (٣١٩): "... مطعمه ومشربه لأول مرة بين الغرباء"، على الرغم من أنه استخدم "أول مرة" (٣٢٠) "هذه أول مرة أستبيح لنفسي..".

(٣١١) الأغاني: ٣١/١١ (أخبار النابغة ونسبه).

(٣١٢) الحلة السبراء: ١٧٦/١.

(٣١٣) نوح الطيب: ٣٥٣/٦.

(٣١٤) نفسه: ٣٤٤/١.

(٣١٥) مقدمة ابن خلدون، ١٨٧، وينظر: ٣٥٩.

(٣١٦) خلاصة اليومية والشذور: ١٦.

(٣١٧) عبقرية المسيح: ١٥٨.

(٣١٨) في ظلال القرآن: ٨٣٥ (المائدة ٢/١)، ١٢٩٧ (الأعراف/٥٤)، ٢٢٩٣ (الصفات/٨٦)، وينظر:

٣١٦٥، ٣٢٧٤، ٣٢٨٩، ٣٣٧٣، ٣٥٩٧، ٣٨٠٤، ٣٨٢٢.

(٣١٩) أسمار وأباطيل: ٧٦.

(٣٢٠) نفسه: ٣٢١.

أما "في أول وهلة" فنجدها في "البيان والتبيين" للجاحظ^(٣٢١) "ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة"، و"تاريخ الطبري"^(٣٢٢) ٣١٠هـ "صدقه عن الخبر في أول وهلة"، و"المثل السائر"، لابن الأثير (ت ٦٣٧) ^(٣٢٣) "وأعطاك سماعه في أول وهلة"، وتفسير القرطبي^(٣٢٤) ٦٧١هـ "بل حكم بإيمانهم في أول وهلة" كما تقول لرجل غني وقع في أول وهلة، كما نجد عنده أيضاً "بأول وهلة"^(٣٢٥) "وبأول وهلة من الاعتذار"، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان^(٣٢٦) ٦٨١هـ "حتى أدهش ذلك الصولي في أول وهلة" "أعطيتموه هذا المال في أول وهلة"، و"تفسير ابن كثير" (٧٧٤هـ) ^(٣٢٧) "أي أصعبه في أول وهلة"، والتعريفات^(٣٢٨) ٨١٦هـ للجرجاني "يفهم منه معنى محصل في أول وهلة"، و"صبح الأعشى"^(٣٢٩) للقلقشندي "ولم تسمح لك الطبيعة في أول وهلة"، و"خزانة الأدب"^(٣٣٠) ٨٣٧هـ "ما يتخيل في أول وهلة" "إلى قبولها في أول وهلة"، و"فتح الباري"^(٣٣١) "لا يدرك في أول وهلة" و"تقلق في أول وهلة" "فمنهم من أدركه في

(٣٢١) البيان والتبيين: ٨٧/١.

(٣٢٢) تاريخ الطبري: ٤٣٦/٥.

(٣٢٣) المثل السائر: ٣٩٣/٢.

(٣٢٤) تفسير القرطبي: ٣٤/١١.

(٣٢٥) تفسير القرطبي: ٣٣١/٧.

(٣٢٦) وفيات الأعيان: ٣٦٠/٤، ١٠٤/٧.

(٣٢٧) تفسير ابن كثير: ٤٨٩/٣.

(٣٢٨) التعريفات: ٦٨.

(٣٢٩) صبح الأعشى: ٣٥٠/٢.

(٣٣٠) خزانة الأدب: ٣١٨/١، ١٦/٢.

(٣٣١) فتح الباري: ٢٠/١، ١٣٤/٧، ٢١٠، وينظر: ٤٣٧/١٠.

أول وهلة"، و"شذرات الذهب"^(٣٣٢) ١٠٨٩ هـ "حتى أدهش ذلك الصولي في أول وهلة" "وكان من أطاعه في أول وهلة".

كما استخدمت "عند أول وهلة في" البيان والتبيين"^(٣٣٣) " وقالوا تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة"، و"الأغاني"^(٣٣٤) (من كلام المغيرة بن شعبة) "فياخذه عند أول وهلة فيقتله"، وتاريخ الطبري^(٣٣٥) "فياخذه عند أول وهلة" "أعطيتموه عند أول وهلة"، كما استخدمت "أول ذي وهلة" في مجمع الأمثال^(٣٣٦) "لقيته أول ذي وهلة؛ أي أول من ذهب وهمي إليه".

وقد تصرف سيد قطب في "وهلة" تصرفاً بيئاً^(٣٣٧)؛ فذكر "منذ أول وهلة"، و"إلى وهلة الحشر"، و"هذا أول تنبيه بعد وهلة النداء"، و"تنبئ عن وهلة المفاجأة"، و"كما ترتفع عن وهلة الخوف والفرع".

وهذا كله يظهر تصرف القدماء منذ عصر أبي العلاء في "وهلة"، ولا مجال لتخطئة المحدثين في استخدامهم "من أول وهلة" وأنماطها التي مر ذكرها، وكون المعجمات لم تنص صراحة على هذه الاستخدامات، لا يعني خطأها، وقد رأيناها في لسان العرب مستخدمة، ولم ينص عليها المصنف.

(٣٣٢) شذرات الذهب: ٣٤٢/١، ٦٦/٤.

(٣٣٣) البيان والتبيين: ٢٠/١، وينظر أيضاً: المستطرف: ٣٩٥/١.

(٣٣٤) الأغاني: ١٧/١٣٨.

(٣٣٥) تاريخ الطبري: ٢/٢١٩، ٤/١٨٨.

(٣٣٦) مجمع الأمثال: ٢١٠.

(٣٣٧) في ظلال القرآن (على التوالي): ٢٠١٣ (٥٥/يوسف)، ٣٣٦٤ (١٩/ق)، ٣٥٩٩ (٢/الطلاق)،

٣٧٢٦ (٢/الجن)، ٤٨٧ (١٤٥/آل عمران).

أنا كطالب أقدر أساتذتي:

وهذا مما زيدَ فيها حرف الجر ، يقول المؤلف: "يقولون أنا كطالب أقدر أساتذتي، وهو كشخصية متميزة جديرة بالتفوق". والأصل في الكاف هذه أن تفيد التشبيه، وهو الأكثر في استعمالها، ولا تحمل في التعبيرات السابقة على معنى من معانيها، إلا على هذا الأصل، والتشبيه يقتضي المغايرة؛ لأنه اشترك شيئين في صفة أو أكثر، ولكنه لا يستوعب سائر الصفات.

وهو يستشهد بقول قدامة بن جعفر: "إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يُشبهه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات" (٣٣٨). ومتأمل الأمثلة السابقة يجد المشبه هو عين المشبه به، ولا يختلف ما قبل كاف التشبيه عما بعدها، فالمتحدث هو الطالب، والغائب المتحدث عنه هو الشخصية المتميزة، وأحمد هو المتفوق، وكذا في بقية الأمثلة، فليس هناك مغايرة بل اتحاد من كل وجه، وهذا لا يتأتى في التشبيه، وكل ما في الأمر أن التشبيه في الأمثلة المذكورة كشفَ صفةً من صفات المشبه كان يمكن أن تعرب حالاً أو خبراً أو تسبق بلفظ "لكونه" أو "بصفته"، فيستقيم التركيب، ولا حاجة إلى كاف التشبيه، لأنها زائدة، ولا تنفق مع الذوق العربي، واستعمالات الكاف بعامّة، فيقال أنا طالباً أحترم أساتذتي (على الحالية)، وأنا طالبٌ أحترم أساتذتي (على الخبرية)، أو لكوني طالباً، أو بصفتي طالباً أحترم أساتذتي (٣٣٩).

(٣٣٨) الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجر: ٢٦١.

(٣٣٩) نفسه.

بادئاً لقد كان هذا الأسلوب من الأساليب التي ناقشها مجمع اللغة العربية في القاهرة. وقد قدم فيه الأستاذ عبدالله كَنُون (ت ١٩٨٨م)، عضو المجمع بحثاً إلى مؤتمر الدورة (٣٨) ١٩٧٣ بعنوان "الكاف التمثيلية"^(٣٤٠). وبعد استعراضه لمعاني الكاف، أجاز الكاف في الأسلوب المذكور على أربعة أوجه؛ الأول أن تدلّ على التعليل، كقولهم "الوالي كأحد رجال السلطة يجب أن يحتفظ بهيئته"، والتقدير لأنه من رجال السلطة، والثاني زائدة كقوله تعالى "ليس كمثل شيء"، والثالث أن تكون تشبيهاً، كقول أبي حيان في البحر المحيط "مِثْلُكَ لا يفعل كذا"، وهو من باب المبالغة، والرابع أن تكون هذه الكاف اسماً بمعنى "مثل"، فتصبح الكاف في قولنا "أنا كباحت" منصوبة على الحال.

وقد ردّ مجلس المجمع البحث، غير أنه أعيد النظر في هذا الأسلوب من جديد بعد أربع سنوات في الدورة (٤٢)، إذ قدّم محمد رفعت (ت ١٩٨٤م) بحثاً أثنى فيه على ما جاء في بحث "عبد الله كنون" الأنف الذكر، وانتهى إلى إجازة هذا الأسلوب من وجهين^(٣٤١)؛ أولهما أن تكون الكاف للتشبيه، وأن تكون زائدة، كقول بعض العرب: "كيف تصنعون الأقط، قال: كهين"، أما التشبيه عنده فللمبالغة.

وقد عارضه محمد بهجة الأثري قائلاً: "لسنا مكلفين تخريج كلام عامي يشيع على ألسنة الناس"، وأيده علي النجدي ناصف (ت ١٩٨٢م)، وسعيد

(٣٤٠) الكاف التمثيلية، الدورة (٣٧): ٦.

(٣٤١) في أصول اللغة: ١٨٩/٣.

الأفغانسي، إذ قال الأفغاني إننا منذ ثلاثين عاماً أو يزيد نسمي هذه الكاف الكاف الفرنسية، والتعبير الصحيح أن يقال باعتباري باحثاً أو بصفتي باحثاً^(٣٤٢).

وقد أيد عباس حسن هذا الأسلوب، وقال هذا التعبير منصوص على صحته عند القدماء، كما جاء في باب التجريد عند ابن الأثير^(٣٤٣)، وانتهت المناقشات إلى قبول المجمع هذا الأسلوب، وجاء في قراره: "يجيز المجمع قول الكتاب: "أنا كباحت أقرر كذا على أحد وجهين، أن تكون الكاف للتشبيه، وأن تكون زائدة"^(٣٤٤).

وقد أحسن المجمع إذ أجاز هذا الأسلوب، على ما في قراره - كما سنرى -، على الرغم من أن القدماء لم يستخدموه كما استخدمه المحدثون. وقد تتبع ما أشار إليه الأستاذ عباس حسن مما جاء في باب التجريد، وهو تعليق لابن الأثير على قول أبي علي الفارسي نصه^(٣٤٥) "أن في الإنسان معنى كامناً فيه، كأنه حقيقته ومحصوله، فيخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرداً من الإنسان كأنه غيره، وهو هو بعينه، نحو قولهم: "لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد، ولئن سألته لتسألن منه البحر، وهو عينه الأسد والبحر". وقد رد ابن الأثير كلام الفارسي في عده هذا من التجريد، وقال "هذا تشبيه مفرد الأداة، إذ يحسن تقدير التشبيه فيه، وبيان ذلك أنك تقول: لئن لقيت فلانا لتلقين به كالأسد، ولئن سألته لتسألن منه كالبحر"، ولئن كان هذا الذي قصده عباس حسن، فهو مختلف جداً

(٣٤٢) في أصول اللغة (الحاشية): ١٨٧/٣.

(٣٤٣) نفسه.

(٣٤٤) في أصول اللغة: ١٨٣/٣، صدر في الدورة (٤٢) في الجلسة الثانية للمؤتمر.

(٣٤٥) المثل السائر: ٤٠٩.

عن طبيعة هذا الأسلوب؛ ذلك أن ما ذكره ابن الأثير تشبيه خالص، وقد عرَضَ له النحاة حينما تكلموا على الكاف الاسمية، كقول الشاعر "... ولن يَنْهَى ذوي شطط كالطعن..". وقول آخر " وإنك لم يفخر عليك كفاخر" و " ورحنا بكابن الماء". وحال هذا الأسلوب على غير ذلك كما سنرى.

أما قول الأثري إن هذا الأسلوب عامي فقد تتكَبَّ جادة الصواب؛ لأن العامة لا تعرفه وإنما يستخدمه المتقنون، وقد شاع على ألسنتهم وأقلامهم.

إنَّ هذا الأسلوب دخيل إلى العربية بلا شك، وقد دخل من الإنجليزية، وعلى وجه الخصوص كلمة "as"، كالتي في عنوان كتاب" أرون وايلد فسكي"، الذي صدر سنة ١٩٨٤م، "MOSES AS A POLITICAL LEADER" "موسى كزعيم سياسي". وليس ثمة طائل من البحث عن استخدام القدماء له. غير أن ما يجدر التوقف عنده في قرار المجمع إنما هو تخريجه له على وجهين، وقد جانب جادة الصواب في تخريجه هذه الكاف على الزيادة، فيما أرى؛ فلا محلّ للزيادة ههنا، والشواهد التي تحمل هذا المعنى نادرة، واضطراب النحويين فيها بادٍ في مصنفاتهم، ولم يحتذاها أحد، فضلاً عما تفضي إليه من اللبس.

أما التشبيه فلعل الناظر فيه أول وهلة ينفّر منه ويردّه؛ ذلك أنّ القول أنا كوزير، يعني أنني لست وزيراً، وقد قال ذلك الدكتور أحمد عمار في أثناء مناقشة أسلوب" أكرم الضيف بوصفي عربياً"^(٣٤٦)، غير أننا إذا أنعمنا النظر، وجدنا فيه ملمحاً للتشبيه، على غير ما ذهب إليه الدكتور عمار وغيره، فالقول " أنا كوزير أصنع كذا " يدل على أنّ هذا الشخص بما يُسند إلى نفسه من الفعل

(٣٤٦) محاضر جلسات الدورة(٤٢):٤٨٥.

يشبه أيّ شخص مثله يتبوأ هذا المنصب، والتشبيه على هذا ليس خالصاً؛ أي أن المسألة ليست تشبيهاً وحسب، كما رأينا في قرار المجمع، بل نجد أن "الكاف" ههنا سُحنت بمعنى مستحدث، هو الحديث عن الوظيفة أو المهنة أو الصفة أو المقام الذي يتحدث منه القائل، وهذا ملمحٌ قرينٌ لهذا الأسلوب، وقد تسرّب إلى كتابات أكابر الكتاب المحدثين، يقول العقّاد في كتابه عن غاندي^(٣٤٧): "اضطرت إلى تقييد حرّيته، وكفّه عن الاسترسال، في دعوة تحوّل بين الحكومة كحكومة وبين القيام بعملٍ من الأعمال". كما جاء عند سيّد قطب في "الظلال"، إذ جاء فيه^(٣٤٨): "سواء أَدعوها كأفراد أو كتشكيلات تشريعية" "وتتّهي إلى اندثارها كأمة، وإن بقيت كأفراد" "فلن يمكن أن يعاملوهم كبشر عاديين" "إِذَا حُجِبَ عن هذا المصدر فقد خصائصه كإنسان خبير".

وبعد، فهذا أسلوب مترجم كما ذكر، ولعلّ أوّل من ترجمه لم تسعفه عربيته أن يقول "أنا باحثاً أو وزيراً، أو بوصفي باحثاً أو وزيراً أصنع كذا" فاستخدم هذه الكاف، على هذا المعنى، فشاع هذا الأسلوب، وعلينا ألاّ نقرّ استخدامه وحسب، بل وحدائته أيضاً، ولا غضاضة في ذلك.

(٣٤٧) غاندي: ٤٥.

(٣٤٨) في ظلال القرآن: ١٠٥٧ (الأنعام ١٦)، ١٧٩٧ (يونس ٤٩)، ٢٢٦٤ (الكهف ٢١)، ٣٨٥٨

(المطففين ١٦).

• ولد الرسول صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول:

وهذا من إدخال حرف الجرّ على غير مجروره الأصلي يقول المؤلف:
"يقولون ولد الرسول في ربيع الأول، وكانت الدراسة في ربيع الآخر، وفي ربيع
الآخر زرت القاهرة، والخطأ في هذه التعبيرات عدم ذكر كلمة شهر قبل أحد
الربيعين؛ إذ لا بد من أن يقال شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر، وذلك لأن
الربيع ربيعان، ربيع الشهور وربيع الأزمنة (الفصول)، ولكي لا يلتبس أحد
هذين الربيعين بالآخر يجب أن تذكر كلمة شهر قبل ربيع الشهور، ومما يستشهد
به في هذا الصدد، قول الراعي النميري (ت ٩٠هـ):

أرَبَتْ بِهَا شَهْرِي ربيعِ عَلَيْهِمْ جنائبُ يُنتَجَنُ الغمامِ المتأليا^(٣٤٩)

وهو يتبع في هذه التخطئة عباس أبو السعود في "أزاهير الفصحى" (٣٥٠).

بادئاً لقد أثبت هذه المسألة والمسائل التي تليها لبيان ما يمكن أن يبلغه
التشدد اللغوي، ولعل الكثير يعجب من تخطئتها، وإلا لما كنت تطرقت إليها.

يَجْنح المؤلف للاستشهاد ببيت للراعي النميري، وهذه كتب التاريخ عند
القدماء ميداناً رحباً لإثبات غير ما ذهب إليه؛ ذلك أن السياق يظهر بشكل لا
يحتمل اللبس المقصود بالربيع؛ ولعل القدماء ذكروا كثيراً "شهر" قبل ربيعي
الشهور لاستخدامهم ربيعي الأزمنة. ولكن هذا لا يعني أنهم التزموا ذلك، ومن

(٣٤٩) الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجر: ٣١٣.

(٣٥٠) أزاهير الفصحى: ٧١، دار المعارف، ١٩٧٠.

ثم كان عدم ذكر "شهر" قبل أحد الربيعين خطأ. فالكتاب كما النسأخ لم يكونوا يؤرخون بالفصول بل بالشهور.

ومؤلفات التاريخ معنية بذكر التواريخ وتقصيها، وهي في ذلك أدنى إلى تجنب اللبس، إن كان الأمر كما ذكر المؤلف، فإذا تصفحناها وجدنا الطبري في تاريخه (ت ٣١٠)، - وهو أكثر المؤرخين ممن اطلعت على مؤلفاتهم التزاماً بذكر "شهر" قبل ربيعي الشهور - يذكر ربيعي الشهور كثيراً من دون أن يذكر قبلهما "شهر". (٣٥١)، إذ جاء فيه "غزا رسول الله في قول جميع أهل السير فيها في ربيع الأول بنفسه غزوة الأبواء" "وزعم الواقدي أن في ربيع الأول من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله ... وأنه في ربيع الأول من هذه السنة غزا رسول الله غزوة أنمار"، ويكاد ابن الجوزي (ت ٥٩٧) لا يذكر "شهر" قبل ربيعي الشهور في "المنتظم" (٣٥٢)، "وجلس يوم الخميس مستهل ربيع الآخر فخلع عليه" "وعقد المعتمد يوم الاثنين لعشر بقين من ربيع الأول لأبي أحمد أخيه على ديار مضر" "توفي محمد في ربيع الأول من هذه السنة"، وكذا الشيباني (ت ٦٣٠) في "الكامل" (٣٥٣) "قال ابن إسحاق ولد رسول الله يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول" "فقدما المدينة في ربيع الأول بغرته" "فقتل أشرس في ربيع الآخرة سنة ثمان وثلاثين"، وابن كثير (ت ٧٧٤) في

(٣٥١) تاريخ الطبري،: ١٤/٢، ٥٤، ١٨٧، وينظر: ٢٤١، ٢٥٣، ٣٤١، ٢٥٣، ٢٤١، ٤٣٨، ٤٩٢، ٥١٦.

(٣٥٢) المنتظم: ٨/٥، ١٤، ١٥، وينظر: ١٦، ٢٢، ٢٣، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٤٢، ٤٤.

(٣٥٣) الكامل،: ٣٥٥/١، ٩٤/٣، ٢٤١، وينظر: ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٥١٣.

"البداية والنهاية" (٣٥٤) " لسبع عشرة خلت من ربيع الأول نقله الحافظ ابن دحية"
"فخرج إليهم.. لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول" " ومات لعشر خلون من ربيع
الأول" ، والعكري (ت ١٠٨٩هـ) في "شذرات الذهب" (٣٥٥) " قدم النبي المدينة
ضحى يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول " " وفي ربيع الأول
منها غزوة بني النضير " " فيها توفي النبي في وسط نهار الاثنين في ربيع
الأول" ، والجبرتي (ت ١٨٢٢م) في "عجائب الآثار" (٣٥٦) " ففسأ المحرم وجعله
كيبسا وآخره إلى صفر وصفر إلى ربيع الأول وهكذا " " وقد كان سافر في
أواخر ربيع الأول لقلعة كريد " " وفي ثالث عشر ربيع الأول سنة ثمان ومائة
ألف ورد أمر بتزيين أسواق مصر" ، وقد أرخ القلقشندي كثيرا في "صبح
الأعشى ولم يلتزم ذكر "شهر" قبل ربيع الشهر، وأغفل ذلك كثيرا (٣٥٧) "كانوا
ينزلون دومة الجندل أول يوم من ربيع الأول" " وسلم الأمر لمعاوية لخمس بقين
من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وقيل في ربيع الآخر " " وتوفي بالرصافة
لست خلون من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة".

وقد نقتب في كلام النساخ ، فرأيت محقق كتاب "الجمل" المنسوب إلى
الخليل يثبت في مستهل الكتاب نسخة مصورة لختام إحدى المخطوطات التي
اعتمد عليها في التحقيق، وكان فيها " الثامن عشر من ربيع الآخر سنة اثنين

(٣٥٤) البداية والنهاية: ٢/٢٦٠، ٤/٢، ٥/٢٥٦، وينظر: ٦/٣٠١، ٣٠٥، ٣١٠، ٦/٣٤٠، ٣٤٢،

١٠٢/٧، ١٥٤، ٣٣١.

(٣٥٥) شذرات الذهب: ٩/١، ١١، ١٤، وينظر: ٣٥، ٥٢، ٥٥، ٧١، ١٦٣، ٢٢٠، ٢٦٧.

(٣٥٦) عجائب الآثار: ٨/١، ٤٥، ٤٩، وينظر: ٥١، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٧٥، ٧٦.

(٣٥٧) صبح الأعشى: ١/٤٦٨، ٣/٢٦٦، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤،

٢٧٥، ٢٧٦.

وعشرين وسبعمائة^(٣٥٨). وجاء في خاتمة إعراب لامية الشنفرى تمت القصيدة بشرحها، وكان ذلك يوم الخميس خامس عشر من ربيع الآخر^(٣٥٩).

بعد ذلك ليس ثمة متسع لقبول ما جاء به المؤلف ولا غيره في هذا الصدد، وهذا اللبس متوهم، وفضلاً عما ذكر فليس ثمة ربيع أول وآخر للشهور.

• هذه القضية مطروحة على بساط البحث:

وهذا مما أدخل حرف الجر على غير مجروره الأصلي، يقولون هذه القضية مطروحة على بساط البحث، ووضع القضية على بساط الدراسة، وعرض الأمر على بساط التداول، وكلها من الأساليب المترجمة؛ ولذا فالأولى طرح الموضوع للبحث ووضع القضية للدراسة^(٣٦٠).

وهذا المذهب من الغرابة بمكان أيضاً، وهو يمثل تشدداً لغوياً رأيناه في مناقشة مسألة "الجانب الأمني"، فهذا تعبير لا يعيبه شيء، وهو على الأغلب مترجم كما ذكر المؤلف، ولكن هذا لا يزري به، ولا ينتقص من إساغته. فالتعبير بلاغي استعاري في لغته الأصلية، وقد ترجم على هذا المعنى، والخجر عليه تشدد لا موجب له، ولو اتبعنا هذا المنحى لنقضنا الكثير من التعبيرات. وعلى الرغم من كونه مترجماً فإن مثله ممكن الوقوع في اللغة.

(٣٥٨) كتاب الجمل، تحقيق فخر الدين قباوة.

(٣٥٩) إعراب لامية الشنفرى: ١٤٨.

(٣٦٠) الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجر: ٣١٩.

وقد وقعت على هذا التعبير في كتاب "الأمثال من الكتاب والسنة"
للترمذي^(٣٦١) (ت ٣١٥هـ) بساط الرَبَوِيَّة، "بساط العبودية" وقد روى صاحب
الأغاني قول عبد الله بن نُمَيْرِ التَّقِي^(٣٦٢):

إذا ما بساط اللهو مَدَّ وقُرِبَتْ للذاتهِ أنماطُهُ ونمارقُهُ

وقال الشريف الرضي^(٣٦٣):

يا من رأى البرق على الأنعم يطوي بساط الغسق المظلم

وجاء في خطبة سعيد بن أحمد المقرئ "... وأوقع الرحمن واقعة الصبح على
بساط النور"^(٣٦٤) وقد روى ابن عساكر في "تاريخ دمشق" عن المرزباني عن
العباس بن أحمد النحوي أنه وقع على ظهر هذه الأبيات^(٣٦٥):

إنما مجلس الندامى بساطٌ للمودات بينهم وضِعوه
فإذا ما انتهوا إلى ما أرادوا من حديث ولذة رفعوه

وجاء في "المدهش" لأبي الفرج الجوزي ت ٥٩٧هـ^(٣٦٦) "بساط الحزن"
و"بساط الانبساط"، كما جاء في "تليس إيليس" لأبي الفرج ت ٥٩٧هـ^(٣٦٧)

(٣٦١) الأمثال من الكتاب والسنة: ١٥٠.

(٣٦٢) الأغاني: ٢١٢/٦.

(٣٦٣) ديوانه: ٢٦٦/٢. دار الجيل بيروت، شرح يوسف فرحات ط ١، ١٩٩٥.

(٣٦٤) جمهرة خطب العرب: ٢٢٣/٣.

(٣٦٥) تاريخ دمشق: ٢٧٤/٧. ولم أجد لهذا الشاعر ذكراً في معجم الشعراء للمرزباني.

(٣٦٦) المدهش: ١٧٤، ٤٦١، ٤٨٣.

(٣٦٧) تليس إيليس: ١٢٨، ٢١٨، ٣٨٩.

"بساط التكليف"، "بساط الفقر"، "بساط البطالة". و"النهاية في غريب الأثر" للجزري ت ٦٠٦هـ — "بساط القرب" (٣٦٨)، وفي "الفوائد للزرعي" (٣٦٩) "بساط العز"، و"بساط الرضا"، و"بساط الجهل". وفي "صبح الأعشى" (٣٧٠): "بساط الوحي، و"العدل"، و"الملك"، وجاء في "فتح الطيب" (٣٧١) "بساط الانبساط"، "السعد"، "العتاب"، "الرفق"، "الوفاء"، "التذلل"، "السرور"، "الجلال"، "النور". وجاء في "شفاء العليل" (٣٧٢) للزرعي "بساط الخلق"، "الأمر" "الإحاطة"، "الأمر" و"النهي"، "التكليف".

وهذا كله يؤكد أن التعبير عربي لا يقدر فيه كونه مترجماً، ومن الممكن وقوعه في التعبيرات العربية على سبيل الاستعارة البلاغية أيضاً كما رأينا في التعبير السابق، وردّه غاية في التشدد، الذي يضرّ باللغة أكثر مما يخدمها.

• حصل على حق اللجوء السياسي:

وهذا من دخول حرف الجرّ على كلمة زائدة، يقول المؤلف: "يقولون حصل على حق اللجوء السياسي، ووافقوا على حق الإقامة في الدولة، ويتمتع بحق القراءة في المكتبة من لديه بطاقة عضوية". فكلّمة (حق) فيما يبدو مترجمة عن اللغات الأجنبية، ولا يحتاج إليها التعبير العربي، ولذا يمكن حذفها ودخول حرف

(٣٦٨) النهاية في غريب الأثر: ٢/٢٣٢.

(٣٦٩) الفوائد: ٦٥، ١٧٨، ١٧٩.

(٣٧٠) صبح الأعشى (على التوالي): ٦/٤٦١، ٨/١٠٤، ١٢/١٢، وينظر: ١٧، ١٠٧، ٤٥٧، ١١/٢٤، ٣١، ١٧١، ١٨٥، ٣٣٠، ٤٨/١٢، ١٣١.

(٣٧١) فتح الطيب: ١/٦٩، ١٠٧، ١٧٥، ٥/٩٣، ١٩٦، ٢٦١، ٤٣٥، ٥٧/٦، ٤٨١، ٣٣٦/٧.

(٣٧٢) شفاء العليل: ٤/١، ٤٥٣، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٨.

الجرّ على ما بعدها، فيقال: "حصل على اللجوء السياسي، ووافقوا على الإقامة في الدولة"^(٣٧٣).

وهذا الذي يقوله المؤلّف ينمّ عن وضع هذا التعبير في غير موضعه، فالمسألة ليست لغوية وهنا فحسب، وثمة اختلاف كبير بين حقّ اللجوء السياسي، واللجوء السياسي، وثمة من يحصل على اللجوء السياسي، لأنّه موالٍ للدولة التي لجأ إليها، أو لأيّ سبب آخر، ولا حقّ له فيه، وثمة من يُحرّم هذا الحقّ لسبب أو لآخر، فالمسألة مناطها قانون ينصّ على هذه الحقّ. وهذا لا يرتبط باللجوء وحده، بل نجد حقّ التعليم والتعبير عن الرأي، وحقّ أخذ جنسية ما، أو التنازل عنها، وتعبيرات كثيرة نحو هذا تتعلّق في مجالات شتى. وعلى ذلك فكلّمة حقّ مصطلح قانوني أنتجته الحضارة الحديثة، قبل أن يكون معجمياً، ومن الخطأ بمكان أن نزع بالمعنى المعجمي في هذا التعبير؛ ومن ثمّ نحكم عليه بالزيادة المخلة، لأنّ ذلك لا يراعي السياق الذي ترد فيه هذه التعبيرات.

• عودة الأطراف إلى طاولة المفاوضات :

وهذا من دخول حرف الجرّ على كلمة زائدة أيضاً، يقول المؤلّف: "يقولون عودة الأطراف إلى طاولة المفاوضات، وطرح القضية على طاولة البحث، ودعاه إلى طاولة الاجتماع. وهذه تعبيرات حديثة في اللغة العربية، دخلت إليها بالترجمة عن اللغات الأوروبية، وكلمة طاولة إيطالية

(٣٧٣) الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجرّ: ٢٢٠.

الأصل، وهي هنا لا لزوم لها في التعبير، والأولى أن يقال، عودة الأطراف إلى المفاوضات، وطرح القضية للبحث". (٣٧٤)

والقضية ههنا أيضاً لم توضع في إطارها، فكلمة "طاولة" لم يعرفها العرب إلا حديثاً، ولم يكونوا يجتمعون ولا يبحثون أمورهم على الطاولات، وتعبير طاولة البحث، والمفاوضات..، مصطلحات لها معنى مخصوص عند المحققين، بل نجد تعبيرات في هذا المجال أكثر تحديداً، نحو بحثوا أمورهم على الطاولة المستديرة، فكلمة مصطلحات ذات معنى محدد، ومن ثم تخطتتها ليست من الصواب في شيء، فهي تعبيرات أنتجتها الحضارة الحديثة، ولا مسوغ لردّها.

(٣٧٤) الأخطاء الشائعة في استعمال حروف الجر: ٣٢٤.

أبرز المصادر والمراجع

- الأَبْشِيهِي، محمد بن أحمد، المستطَرَف في كلِّ فنِّ مستطَرَف، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦ (مكتبة الأدب cd).
- ابن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥ (مكتبة الأدب cd).
- الأزهرِي، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف.
- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٩ (مكتبة الأدب cd).
- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، تحقيق د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت. (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية).
- الترمذي، محمد بن علي، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق د. السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت، ط ١، ١٩٨٥ (مكتبة الأدب cd).
- ابن تغري، بردي، جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف، مصر. (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط ١، ١٩٦٨ (مكتبة الأدب cd).
- جار الله، زهدي، الكتابة الصحيحة، الأهلية للنشر، بيروت، ١٩٧٧.

- ابن جبير، محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني، بيروت(مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت(مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط ٣، ١٩٩٢.
- الجزري، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الأثر، تحقيق د. محمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩.
- الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة.
- ابن جنبي، أبو الفتح، أسرار العربية
- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٣٥٨هـ(مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- حاج خليفة، مصطفى بن عبدالله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م(مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي بن محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٢(مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق د. محمد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد- الهند، ط ٢، ١٩٧٢.
- فتح الباري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ. (مكتبة الفقه وأصوله cd)
- الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط ٥، ١٩٨٤ (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- الحنبلي، إبراهيم بن محمد، المبدع، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠، (مكتبة الفقه وأصوله cd)
- الحموي، عبد الله بن محمد، خزانة الأدب، تحقيق عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٩٨٧ (مكتبة الأدب cd).
- ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٦٨ (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- الدردير، سيدي أحمد، الشرح الكبير، تحقيق محمد عيش، دار الفكر، بيروت. (مكتبة الفقه وأصوله cd)
- دمشقي، عبد القادر بن محمد، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠ هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب أرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣ هـ (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).

- الزمخشري، محمود بن عمر، المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧ (مكتبة الأدب cd).
- السبكي، أبو نصر عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى، د.محمود الطناحي، هجر للطباعة والنشر، الجيزة، ط ٢، ١٩٩٢م (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٩٩٨ (مكتبة الأدب cd).
- الأشباه والنظائر في الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ. (مكتبة الفقه وأصوله cd).
- شاكر، محمود، أباطيل وأسمار، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، مصر،
- الشيباني، محمد بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥ (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- صفوت، محمد زكي، جمهرة خطب العرب، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العلمية، بيروت (مكتبة الأدب cd).
- الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥ هـ. (مكتبة الفقه وأصوله cd).
- ابن عساكر، تاريخ دمشق، دار الفكر، تحقيق محب الدين العمروي، ١٩٩٥، ومركز التراث cd).
- العدناني، محمد، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١، ١٩٨٩.
- معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٨٥.

- العقّاد، عباس محمود، خلاصة اليومية والشذور، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٠.
- العكبري، أبو البقاء، مسائل خلاقية في النحو، تحقيق محمد خير حلواني، دار الشرق العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢ (مكتبة النحو والصرف cd).
- التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي الجّاوي، إحياء الكتب العربية.
- العكري، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- عمار، محود إسماعيل، الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجرّ، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٩٩٨.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، الجمال في النحو، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الجيل بيروت، ط٥، ١٩٩٥.
- القرطبي، محمد بن أحمد، تفسير القرطبي، أحمد البردوني، دار الشعب، بيروت، ط٢، ١٣٧٢هـ. (مكتبة الفقه وأصوله cd)
- القرويني، محمد بن سعد، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٩٩٨ (مكتبة الأدب cd).
- القضاعي، أبو عبد الله محمد، كتاب الحلة السّيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ديوسف الطويل، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧ (مكتبة الأدب cd).
- القنوجي، صديق بن حسن، أبجد العلوم الوشيّ المرقوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت ط٢، ١٩٧٨ (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).

- ابن قيس، عبدالله بن محمد، قرى الضيف، تحقيق، عبد الله بن حمد المنصور،
أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٩٩٧ (مكتبة الأدب cd).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٩٢
(مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ (مكتبة الفقه وأصوله cd).
- المتتبي، أحمد بن الحسين، ديوانه، شرح العكبري، تحقيق مصطفى السقا
وزملاؤه، دار المعرفة، بيروت.
- المحامي، محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق، د. إحسان حقي، دار
النفائس، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- المقدسي، عبد الرحمن ابن إسماعيل، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق
إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ (مكتبة التاريخ
والحضارة الإسلامية cd).
- المقري، أحمد بن محمد، نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق
د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٦٨ (مكتبة التاريخ والحضارة
الإسلامية cd).
- المناوي، محمد عبد الرؤوف، التعاريف، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار
الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٤١٠ هـ (مكتبة الفقه وأصوله cd).
- الميداني، أبو الفضل، مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار
الجيل، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧.
- الناصري، أبو العباس أحمد، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،
تحقيق جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٧ (مكتبة
التاريخ والحضارة الإسلامية cd).

- ابن النديم، محمد ابن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨ (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- النووي، محيي الدين بن شرف، المجموع، تحقيق محمود مطرحي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦ (مكتبة الفقه وأصوله cd).
- الهروي، علي بن محمد، الأزھية في علم الحروف، تحقيق عبد المنعم الملوحي، ١٩٨١.
- الهروي، محمد بن أحمد، الزاهر، تحقيق د.محمد الألفي، وزارة الأوقاف، الكويت، ط١، ١٣٩٩هـ. (مكتبة الفقه وأصوله cd)
- ابن هشام، جمال الدين بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٧٩
- مغني اللبيب، تحقيق مازن المبارك وزميله، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥.
- الهمداني، محمد بن عبد الملك، تكملة تاريخ الطبري، ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١، ١٩٥٨ (مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية cd).
- يعقوب، إميل، معجم الخطأ والصواب في اللغة، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٣.

الموسوعات:

- موسوعة الحديث الشريف، الإصدار الأول، شركة صخر، لبرامج الحاسوب.
- كتب مجمع اللغة العربية في للقاھرة:
- القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب، محمد شوقي أمين، وإبراهيم الترزي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٩.
- كتاب الألفاظ والأساليب، محمد شوقي أمين، مصطفى حجازي.

- في أصول اللغة الجزء الثالث، مصطفى حجازي، وضاحي عبد الباقي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط ١، القاهرة.

• المجلات:

- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الثالث، المجلد الحادي والسبعون. ١٩٩٦، الصفحة: ٤٨٧.

- مجلة الكاتب المصرية، المجموعة الكاملة لمجلة الكاتب ١٩٤٥-١٩٤٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد السادس، ١٩٩٩.



ثالثاً: تعليقات ومناقشات

ردّ على بحث: "المصطلح التربوي النفسي: تقييم لا تقويم"

لمباركية نوار-باتنة (الجزائر)

قرأت البحث الذي أنجزه الدكتور سبع أبو لبدّة، وتولّت مجلّتك الغراء، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني نشره إمتاعاً للقراء المهتمين في عددها الثاني والستين (كانون الثاني - حزيران ٢٠٠٢)، وهو البحث الموسوم بـ: (المصطلح التربوي النفسي: تقييم لا تقويم).

وأظن أن الدكتور سبع أبو لبدّة أحسن الاختيار لما تصدّى، وبنفس تواقّة لهذه المشكلة الكؤود، وحاول جهد استطاعته تخليص المربين العرب من هموم مسألة مؤرّقة، شقت واستعصت، وصغرت عنها العيون والآذان، وتجانفت عنها الأقلام. فمثل هذه الأبحاث التي تتوغل في شعاب فقه معرفة المفاهيم والمصطلحات العلمية وفجاجها، وتستقصي استقصاءً حفيّاً عن جذورها، ورحلة تطوّرها الدلالي، فمثلها يكاد يكون مهجوراً ومتعفّفاً عنه، مما جعل الالتباسات تتسع وتتمدّد، والأخطاء تشيع وتستفحل، حتى أصبح القوم عندنا ينامون على هدهدات أرجوزة مفادها: (خطأ شائع خير من صواب مهجور أو مجافى)!. ولم تثر القضية عند الكثيرين مشغلة وقلقا وحيرة لخدمة اللغة العربية، وترقيتها.

وحيثما انكبت على قراءة البحث المذكور قراءة شغوفة بسبب مفعول جاذبية عنوانه، استوقفتني عدة ملاحظات تفرقت بين منهجية ومعرفية. وإذ أتشجع على جمعها وسردها، فإنني لا أحسبها تغدر أو تطمس أو تقلل من جهود الدكتور سبع أبو لبدّة، أطال الله أنفاسه الكتابية في مجال البحث العلمي التربوي، وهو مجهود يستحق التنويه إقراراً، والإشادة إلزاماً، وإذ أردف إليكم

بملاحظات المتواضعة، فإنني لا أراها موقرة ومنزهة. وأمل أن تحتضن بقلوب مفتوحة، وأن تقوم إذا ضمت اعوجاجا، وتزال الغواشي عنها إن حوت هفوات.

فأولاً؛ أرى بأن العنوان المقترح، والمتوج للبحث: (المصطلح التربوي النفسي: تقييم لا تقويم)؛ توشح بإقرارية شبيهة بالأحكام المسبقة، ومباغثة للقارئ، مما يفرض عليه أن يكون قارئاً مستسلماً، وغير محرّض لبلورة رأي حول الموضوع المناقش. فالعنوان الذي جمع بين الإثبات من جهة أولى، والنفي من جهة ثانية في هيئة حكم فيصل لا يحوصل مقصد البحث، ولا يثير بعض دروب مشكلته. ويمكن أن يعدل العنوان، وحسب مقترحي، ليأخذ الشكل الآتي: (المصطلح التربوي النفسي: أهو تقييم أم تقويم؟).

وهذه الصيغة الاستفسارية التي ستفتح شهية القارئ، لا تخلّ بالرصانة الأكاديمية ما دام الموضوع كتب لينشر في دورية (مجلة).

وثانياً؛ فإن الجزء المخصص في البحث للتعريخ على الدراسات السابقة التي تعرضت للمشكلة المعالجة أو لمثيلاتها انساق فيه الباحث وراء التعميم، حتى خيل للقارئ بأنه يتقصى قضية المفهوم LE CONCEPT بصورة عامة. وتؤكد الاقتباسات المستخلصة من الكتب للاستدلال والتحجج ذلك (انظر الصفحة ١١١). وإضافة إلى التعميم، هناك الاسترسال ملاحقة لأمثلة مفاهيمية تكاد لا تذكر صلتها بالموضوع. وفي رأيي، لا يجوز إقحامها حشواً ضمن ما صدق المفهوم (الماصدق بلغة الأقدمين، ويقابله حالياً في لغتنا الحديثة كلمة الأمثلة LES EXEMPLES، أي الأمثلة التي تصدق على المفهوم). وفضلا عن هذه وتلك، فإن الباحث، ولربما نسيانا إحسانا للظن، لم يذكر أو يلمح مجرد التلميح إلى البحوث الأجنبية ذات العلاقة المتقاطعة بمادة بحثه، وتجد هذه الملاحظة

مسوّغها قائماً في كون مشكلة البحث تتخطى حدود اللغة العربية، وينص منطوقها على ما يأتي: (ما المصطلح المناسب لترجمة كلمة EVALUATION...؟ وأضيف، فلو استعملت لفظة " تعريب" عوض كلمة "ترجمة" لزادت المشكلة وضوحاً.

وثالثاً؛ تطرح قضية صوغ المشكلة التي أنهيت بها الملاحظة المتقدمة أسئلة واستفسارات عميقة، من قبيل: هل موضوع البحث حبيس اللغة العربية؟ أم يتجاوز تخومها إلى لغات أجنبية أخرى؟ (لكلمة EVALUATION معنى واحد في اللغتين الإنجليزية والفرنسية). وهل القضية، في صلبها وجوهرها، تثير إشكالا في التعريب أم في الاشتقاق؟. ولا يتهيأ لي، بأن مثل هذه المتاعمات ستجنب لغة الضاد حمل جرائر اللغات الأجنبية الأخرى.

ورابعاً؛ يقول الباحث في السطور المنضوية أسفل شبه العنوان: " أهداف البحث": (تهدف هذه الدراسة إلى صياغة مفهوم تربوي عربي معادل لكلمة EVALUATION...) وما دام المفهوم موجوداً، ومتداولاً منذ عهود، فإذن، كيف تعاد صياغته اشتقاقاً أو مجازاً أو تعريباً أو نحتاً؟ ولعل الصواب، أن يقال اختصاراً: تقدير أي اللفظتين أصوب في اللسان العربي، التقييم أم التقويم؟ ومن جانب آخر، فإن المفاهيم العلمية عالمية، والتحيز الذي يشتم من العبارة: (مفهوم تربوي عربي) فيه حبس وتضييق، وانكفاء على الذات، وانصراف عن الموضوعية.

وخامساً؛ يرادف الباحث في مواضع من بحثه بين لفظتي مفهوم CONCEPT ومصطلح: TERM (TERME بالفرنسية) كما في الصفحة ١٠٩ وغيرها. ويتجراً على الإدلاء بقاعدة خاصة به، إذ يدون

ما يأتي: (يستعمل الباحث كلمة مصطلح بمعنى مفهوم أو مدرك كلي في العربية وما يقابل TERM أو CONCEPT...) فهل يجوز لنا أن نقيم شرائع، ونطالب الآخرين بالاحتكام إليها؟ ومحوراً لظلال الغموض، استحضرت الفقرتين المقتبستين الآتيتين: إذ نقرأ في الأولى: (يعرف الفلاسفة المفهوم بالكيفية الآتية:) فكرة عامة ومجردة، تسمح بتصنيف الكائنات أو الأشياء، وتشتمل على فهم .EXTENTION وامتداد COMPREHENSION.

إنه تعريف كامل، ومع ذلك فإنه غير إجرائي إلى حد بعيد بالنسبة للمدرس عندما يتعلق الأمر بالتعرف على مفهوم ما. ونصادف فيه العناصر التي يدعوها ج. برونير G.BRUNER، وبشكل مغاير قليلاً في تعريفه كما يأتي:

- بطاقة = تسمية،

- مواصفات = صفات أساسية،

- أمثلة.

ولكي تكون " كلمة " مفهوماً، يجب أن تكون هذه العناصر ممكنة الإظهار⁽¹⁾.

في حين نقرأ في الاقتباس الثاني: (فاللفظة الأجنبية المقابلة لكلمة المصطلح، وهي TERM انحدرت من اللفظ اللاتيني TERMINUS، الذي

1- Brith-Mari Barth- les dossiers du C.E.P.E.C- No10-Decembre 1981-page12

معناه الحد. وبالمزج ألفت كلمة TERMINOLOGIE التي تعني العلم الذي يستطيع وضع الحدود للمفاهيم^(٢).

وانطلاقاً مما تقدّم، إن أحسن تمثله، فإن التعلّم، التعليم والتدريس هي مفاهيم، ولو قوبلت بتعريفات تركيبية لأجراتها. وعلى خلاف المصطلح، فإن المفهوم قابل للنمو والاتساع في مجالات البحث العلمي، أو في أذهان المتعلمين مسائرة لتطور قدراتهم، ودرجة شحذها.

وسادساً؛ ورد في الصفحة ١١٧ ما يتبع: (يوجد في اللغة الدارجة أو المحكية مصطلحان هما تقويم وتقييم، والثاني أكثر شيوعاً وجرياناً على الألسن، والعوام عادة يفرقون بينهما في الاستعمال، ولا يستعملونهما كمترادفين، بل يستعملون "تقويم" بمعنى تصحيح الاعوجاج، و"تقييم" بمعنى تسمين الشيء أو بيان قيمته...). وإذا كان البحث ينزع إلى مجازة الأكاديمية، فلا أظن جواز نزوله إلى اللسان الشعبي المضطرب والمشوش، واستخباره في شأن قضية شائكة.

وزد على ذلك، أن اللهجات الشعبية محلية، ومحدودة التداول، وكل جماعة انفردت بلهجتها، ودرج لسانها عليها. ونحن، من باب التمثيل، في المغرب العربي، وفي الشرق الجزائري تحديداً، نخالف في دارجتنا ما نصت عليه الفقرة، إذ نوظف كلمة "تقويم" بمعنى تقدير مادي أو معنوي. وإذا اختلف متخصصون حول مقدار أو جودة سلعة أو بضاعة تتادوا: (تعالوا نقومها، أي نقدرها وزناً أو ثمناً). ولا نصادف بتاتا لكلمة "تقييم" أي استعمال في مثل هذه

٢. مرقاض عبد المالك (دكتور) - صناعة المصطلح في العربية - مجلة " اللغة العربية" للمجلس الأعلى للغة العربية (الجزائر) - العدد الثاني - ١٩٩٩ - الصفحة ١١.

السياقات. واعتباراً لما ذكرت، يتبين لي، بأن دمج هذه النقطة في هذا البحث بالذات مضر باللغة العربية الفصحى، ومشكك في غناها وخصوبتها.

وسابعاً؛ لاحظت انتقائية وفرزاً محبكين في بعض سطور الصفحة ١٢٠. وإشكاليات البحث العلمي لا تفض بعدد كثرة المناصرين أو المناوئين، والعدد في هذا الشأن ليس معياراً للقياس، وإلاً أصبح الأمر سجلاً بين المكثرين والمقلين من استعمال هذا المفهوم أم ذلك. والقول بأن كثيراً من الرواد التربويين استعملوا "التقويم" بمعنى بيان قيمة الشيء أو تسمينه، "حجة" غير مريحة و"إثبات" غير مقنع. لأنه وفي المقابل هناك من المربين العرب من استعمل كلمة "تقويم" بالمعنى نفسه عن إدراك ووعي، وعددهم أكثر من كثير، وفي الإمكان ذكر عينة من إخواننا المربين المشرقين ناهيك عن المغاربة، ومنهم:

- الدكتوران يوسف ونايفة قطامي في كتابهما: نماذج التدريس الصفي.

- الدكتور جابر عبد الحميد في كتابه: استراتيجيات التدريس،

- الدكتور سعيد بامشموش وآخرون في كتابهم: التقويم التربوي،

- الدكتورة رمزية الغريب في كتابها: التقويم والقياس في المدرسة الحديثة،

- الدكتور أحمد حسين اللقاني في كتابه: المناهج بين النظرية والتطبيق،

- الدكتور رشدي طعيمة في كتابه: مناهج تدريس اللغة العربية بالتعليم الأساسي.

- ... الخ.

ويمكن لهذه القائمة أن تطول متعززة بأسماء وعناوين أخرى.

وثامناً، إذا كان " قَوْم " معناه أصلح اعوجاجه، ودرأ عيوبه، وجبر نقائصه. فكيف يحصل ذلك افتراضاً إذا لم يكشف عن مراقد الاعوجاج والعيوب والنقائص؟. أفلا يرى بأن التقييم مندرس ومندفن ضمناً في التقويم الذي يتصف بالرحابة والشمولية؟. وأعطف على ذلك، أن التقويم أرسخ وأقدم طالما أن أمهات المعاجم العربية العتيقة لا تذكر في بطونها سوى مادة (ق و م).

وتاسعاً؛ وبدت لي في نتيجة البحث أو في فذلكته (والفذلكة تقويم، فذلك حسابه أي أنهاه وفرغ منه، وهي مخترعة من قول الحاسب إذا جمل حسابه فذلك كذا وكذا إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته...)، بدت لي بعض الألفاظ الحادة والأحكام القطعية. ويا حبذا لو استبدلت بها نظائر اللفظ وأرق.

فالسبوح العلمية، لا يجوز لها أن تفضي إلى نتيجة كالوَاد (وأد تقويم كمصطلح علمي...) (ص ١٣٧)، أو إلى التجريم والتخريم. ففي ذلك خنق للرأي الآخر، ورفض للقول المخالف، وإساءة لقلادة الموضوعية التي يتزين بها الباحث. وأي ضمير يلحق بنا إذا اجتهدنا في التحري والتقيب، ولم نتوصل إلى نتيجة فاصلة؟ فليكن التوقف عند الشك حتى تتوفر أسباب اليقين، وينقشع ضباب الريبة ويلوح مخرج مريح تتشرح له الصدور، وتهنأ به العقول.

وفي الأخير، أتمنى أن تحل ملاحظاتي محل الصواب، وأن تكون مؤازرة لجهود الدكتور سبع أبو لبدة الذي أهنته تهنة خالصة عن شجاعته لاقتحام دهاليز مثل هذه المواضيع المقلقة حقاً. وأستغفر الله من كل هفوة أو زلة.



رابعاً: أخبار جمعية

• المؤتمرات والندوات والمحاضرات

مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الثانية والسبعين

انطلاقاً من حرص مجمع اللغة العربية الأردني على المشاركة الفاعلة في المؤتمرات والندوات العلمية والأدبية التي تعقد في داخل الأردن وخارجه، فقد شارك الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع في " مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثانية والسبعين " التي انعقدت في المدة من العشرين من صفر سنة ١٤٢٧هـ الموافق العشرين من آذار (مارس) سنة ٢٠٠٦م ، إلى الخامس من ربيع الأول سنة ١٤٢٧هـ الموافق الثالث من نيسان (أبريل) سنة ٢٠٠٦م.

وقد شارك الأستاذ رئيس المجمع ببحث عنوانه " المعنى في المعجم التاريخي للغة العربية " . وقد دارت بحوث المؤتمر هذا العام حول " المعجم التاريخي للغة العربية " .

وقد اشتمل برنامج الدورة على مجموعة من الجلسات العلنية والمغلقة ، فعقد المؤتمر ثلاث عشرة جلسة علنية على النحو الآتي:

الأولى: جلسة افتتاح المؤتمر .

الثانية: محاضرة للأستاذ الدكتور كمال بشر نائب رئيس المجمع بعنوان " حول المعجم التاريخي للغة العربية " .

الثالثة : محاضرة للأستاذ الدكتور عبده الراجحي عضو المجمع بعنوان " التجربة الإنجليزية وتحديات العنصر البشري " .

الرابعة: محاضرة للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني ، وعضو المجمع بعنوان " المعنى في المعجم التاريخي للغة العربية " .

الخامسة: محاضرة للأستاذ علي رجب المدني ، عضو المجمع من الجماهيرية الليبية بعنوان : " العربية منذ عصرها التمهيدي ، المعروف بالجاهلي".

السادسة : محاضرة للأستاذ الدكتور كمال دسوقي عضو المجمع بعنوان : " لا رجاء لحرية المجمع والجامعة والجمعيات واستقلالها عن الدين والسياسة والسلطات".

السابعة : محاضرة للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح رئيس مجمع اللغة العربية الجزائري ، وعضو المجمع بعنوان " المعجم العلمي وشروط إنجازه العلمية والتقنية".

الثامنة : محاضرة للأستاذ الدكتور تمام حسان عضو المجمع بعنوان : " السبع المثاني في القرآن الكريم: دراسة لغوية".

التاسعة : محاضرة للأستاذ الدكتور محمد إحسان صالح النص عضو المجمع من سورية بعنوان : " أغاليط في تاريخنا الأدبي".

العاشر : محاضرة للأستاذ الدكتور نيقولا دوبريشان عضو المجمع المراسل من رومانيا بعنوان : " رحالة عربي إلى الإمارات الرومانية : تقديم التقاليد والعادات الرومانية في وصف الرحلة".

الحادية عشرة : محاضرة للأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد عضو المجمع من الأردن بعنوان " المعجم الكبير للمجمع يغني عن المعجم التاريخي".

الثانية عشرة: محاضرة للأستاذ الدكتور عباس الصوري عضو المجمع المراسل من المغرب بعنوان : " اللغة المصطلحية في المعجم العربي التاريخي".

الثالثة عشرة : محاضر للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي عضو المجمع من المغرب بعنوان : " المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون وعطاؤه للثقافة العربية".

أما الجلسات الباقية فكانت مغلقة أُنقِيت فيها البحوث الآتية :

- "معجم نادر في الطب لرفد تاريخ اللغة العربية " للأستاذ الدكتور يوسف عز الدين عضو المجمع من العراق.
- "معجم المصطلحات النحوية والصرفية " للأستاذ الدكتور عوض بن حمد القوزي عضو المجمع المراسل من السعودية.
- "أساس البلاغة للزمخشري شبه معجم تاريخي في عصره" للأستاذ الدكتور محمد محمد بنشريفة، عضو المجمع من المغرب.
- "المعجم العربي التاريخي : قضاياها وعناصره الأساسية " للأستاذ الدكتور محمد رشاد الحمزاوي عضو المجمع المراسل من تونس.
- "المعجم التاريخي للغة العربية " للأستاذ أحمد شفيق الخطيب ، عضو المجمع من فلسطين.
- " المعجم التاريخي للغة العربية : ماهيته ودوافع تصنيفه ومتطلباته وبذوره التراثية " بحث للأستاذ الدكتور صادق عبدالله أبو سليمان، عضو المجمع المراسل من فلسطين.
- "بذور العولمة وأثرها في الشعر العربي" للأستاذ الدكتور يوسف عز الدين، عضو المجمع من العراق.
- "مراسلات الشيخ المهدي البوعبدلي" للأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، عضو المجمع المراسل من الجزائر.
- "ملاحظات عامة حول مصادر دراسة اللغة العربية (الفصحى) القديمة والمتوسطة " للأستاذ الدكتور رثيف جورج خوري، عضو المجمع المراسل من ألمانيا.

- " الشواهد في المعجم التاريخي " للأستاذ الدكتور علي القاسمي ،
عضو المجمع المراسل من العراق.
- "القصيـدة الذهبية لابن رشيد ودورها في ترسيخ مصطلحات الحج"
للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي، عضو المجمع من المغرب.
- إضافة إلى الجلسة الختامية التي خصصت لعرض أعمال المؤتمر
وتوصياته.

كما قدمت للمؤتمر البحوث الآتية:

- " المعجم التاريخي ومتطلبات المتقف المعاصر " للأستاذ الدكتور
محمود فهمي حجازي عضو المجمع.
- " المعجم التاريخي للغة العربية في ضوء متغيرات الألفية " للأستاذ
الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، عضو المجمع المراسل
من السعودية.
- " ديوان لغات الترك: أول معجم للتركية العربية قبل ألف سنة"
للأستاذ الدكتور لي قوانغيين عضو المجمع المراسل من الصين.

كما نظر المؤتمر في الجلسات المغلقة في مصطلحات المواد المختلفة
وهي :

الفيزياء والنفط والجيولوجيا، وتحديث مصطلحات معجم الفيزيقا
(A. B) ، والتاريخ ، وألفاظ الحضارة (إعلام)، والاقتصاد، والكيمياء
والصيدلة، والطب، والهندسة، والرياضيات، والأدب والحاسبات، وعلم الاجتماع
والأنثروبولوجيا، والأحياء والزراعة ، والفلسفة الإسلامية ، والشريعة (فقه).

ونظر المؤتمر أيضاً في أعمال اللجان اللغوية وهي:

أعمال لجنة الألفاظ والأساليب - أصول اللغة-، والمعجم الكبير مواد من حرف الذال: من أول (حرف الذال إلى نهاية الذال واللام وما يتلثهما):

وفي ختام المؤتمر قدّم الأستاذ فاروق شوشة أمين عام مجمع اللغة العربية في القاهرة تقريره الختامي مؤكداً أن قضية اللغة اليوم، وليس المعجم التاريخي إلا مثلاً من أمثلتها هي قضية حياة ووجود ومصير. ولن تكون اللغة وعاء للعصر وآلة لإنتاجنا المعرفي وأصحابها متخلفون، ولن تكون لغة المستقبل بكل تحدياته وطموحاته، وأصحابها منكفئون على أنفسهم يجترونها وراءهم ولا ينشغلون بما يتفجر في كل يوم أمامهم، فهل ننجح جميعاً متأزرين في أن نضيف شراعاً جديداً إلى أشرعتها، ولوناً جديداً إلى ألوانها، ونفساً جديداً إلى أنفاسها، وفضاءً جديداً إلى فضاءاتها في العلم والمعرفة والإبداع.

كما اشتمل التقرير الختامي على توصيات المؤتمر:

- يؤكد المؤتمر التوصيات الصادرة عنه في المؤتمرات السابقة ويهيب بالمسؤولين وصناع القرار أن يعملوا على تفعيلها واتخاذ الخطوات التي تكفل الالتزام بها.
- يؤكد المؤتمر نظره إلى المعجم التاريخي للغة العربية باعتباره مشروعاً ثقافياً وقومياً وحضارياً، بالإضافة إلى كونه مشروعاً للغة عالمية هي السادسة بين لغات العالم الأكثر تداولاً، والثامنة عشرة في مجال الترجمة.
- يوصي المؤتمر بتقديم الأبحاث والمحاضرات التي أقيمت ونوقشت عبر جلساته المغلقة والمفتوحة إلى اللجنة الخاصة بالمعجم التاريخي التابعة لاتحاد المجامع اللغوية العربية، للإفادة منها في كل ما يتصل

بالتصور العلمي واللغوي للمعجم، وتوضيح أهدافه ، ووضع منهجه،
وخطه عمله، والبحث في آليات تنفيذه.

• يناشد المؤتمر الهيئات والمؤسسات المعنية باللغة العربية والحريصة
على وضع معجم تاريخي لهذه اللغة، كما يناشد القادرين من أبناء
هذه الأمة، العمل على موازنة هذا المشروع العلمي واللغوي
الضخم، بما يتطلبه من إمكانيات مادية وتقنية.

• يوصي المؤتمر بالألا يؤدي الانشغال بالمعجم التاريخي إلى بقاء
العمل وتراخيه في المعجم الكبير، وألا يكون الاهتمام بأحد
المعجمين على حساب الآخر، فكل منهما أهميته ودوره ومنهجه
ومجالات العمل فيه. والمؤتمر ينتهز هذه الفرصة للمطالبة بالإسراع
في إكمال العمل في المعجم الكبير باعتباره رافداً مهماً يعول عليه
في إصدار المعجم التاريخي.

• يؤكد المؤتمر ترحيبه بالمبادرات التي يقوم بها المجتمع المدني
ممثلًا في جمعية تعريب العلوم وجمعيتي حماة اللغة العربية ولسان
العرب في مصر ومثيلتهما في الأقطار العربية، بهدف الحفاظ على
اللغة العربية والتصدي للسلبات التي تواجهها، وإفشال المخططات
المعادية، الرامية إلى إضعافها وإخراجها من الساحة العالمية، كما
يؤكد المؤتمر ترحيبه بما قامت به الجامعات المصرية من مبادرات
تمثلت في عدد من الملتقيات والندوات البحثية، محورها جميعاً اللغة
العربية وقضاياها المختلفة في هذا العصر.

• يشكر المؤتمر منظمة الصحة العالمية لما جاء على لسان مستشارها
الدكتور هيثم الديباط عضو المجمع، من استعداد المنظمة لتوفير
الإمكانيات التقنية (الحاسوبية) الخاصة بإنجاز المعجم التاريخي للغة

العربية، وتدريب العناصر البشرية المطلوبة له من بين العاملين في إدارة الحواسيب في مجامع اللغة العربية وغيرهم.

• يشكر المؤتمر أجهزة الإعلام في مصر، لحرصها على متابعة أعماله ونشر أخباره وعرض أبحاثه ومحاضراته وإجراء الكثير من اللقاءات والحوارات مع العلماء المشاركين فيه. ويعرب عن تقديره للإذاعة المصرية التي جعلت عام ٢٠٠٦م عاماً للغة العربية، آملاً أن يصبح هذا الاهتمام تقليداً دائماً، يشمل بقية الأجهزة الإعلامية، وأن تشارك أجهزة الإعلام العربية في هذه الصحوة بالمزيد من العناية باللغة العربية الفصيحة.

• يطالب المؤتمر بإعادة عرض قراراته في صياغة المصطلح العلمي وآلياته، وفي تسويغ الألفاظ والأساليب المحدثة، بحيث تصبح متاحة للمجامع اللغوية في الوطن العربي.

• يطالب المؤتمر كلاً من وزارتي التعليم العالي والتعليم بالإشراف على تنفيذ البرامج الخاصة بالعلوم الإنسانية واللغة العربية في المدارس والجامعات الأجنبية، كما يطالب بالعمل على تطوير أساليب تعليم اللغة العربية في التعليم العام، وإعادة النظر في مقررات اللغة العربية من حيث المدة والمادة، كما يوصي بضبط الكتب المقررة في اللغة العربية ضبطاً كاملاً يساعد المتعلم على النطق الصحيح المعين على الفهم، والعناية بتجويد الخط العربي وتخصيص وقت له بين دروس اللغة العربية كما كان متبعاً من قبل.

• يوصي المؤتمر المجامع اللغوية العربية بالعمل على تقديم الخبرة والمشورة للهيئات والجامعات الأجنبية التي تعنى بتعليم اللغة العربية.

• يوصي المؤتمر بتحديث موقع المجمع على الشبكة الدولية للمعلومات وإمداده بالتراث المجمعى والإنتاج المتجدد، ليكون وجهاً

معلوماتياً لاثقاً بالمجمع، كما يوصي بدعم الجهود التي تبذل في مجال تطويع الحاسوب للغة العربية، وبحث المشكلات الناتجة عن استخدامها، الأمر الذي سيكون له أكبر الأثر في تذليل الصعاب عند إخراج المعجم التاريخي.

النظام الأساسي لهيئة " المعجم التاريخي للغة العربية "

اعتمد المؤتمر الصيغة النهائية لهيئة " المعجم التاريخي للغة العربية "، وتنص على إنشاء هيئة لغوية علمية ذات شخصية اعتبارية مستقلة، تابعة لاتحاد الجامعات اللغوية العلمية العربية تسمى " هيئة المعجم التاريخي للغة العربية " ومقرها في القاهرة، وهدفها إنجاز معجم تاريخي لألفاظ اللغة العربية واستعمالاتها، لبيان ما طرأ على مبانيها ومعانيها من تغير عبر الزمان والمكان بعد إجراء رصد تاريخي لظهور الوحدات المعجمية في النصوص العربية بمختلف أنماطها وأجناسها وفي مختلف عصور العربية وأصقاعها، وتأصيل هذه الوحدات، والتأريخ لما طرأ عليها من تطور في الاستعمال على أن يتم نشر هذا المعجم في فصولات أو أجزاء أولاً، ثم في شكله النهائي عندما يتم إنجازه.

- عقدت جمعية المحافظة على القرآن الكريم محاضرة عنوانها "وفي الأرض آيات للموقنين" في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع يوم ٢٠٠٦/٤/٥م.

الموسم الثقافي الرابع والعشرون

يحرص مجمع اللغة العربية الأردني على خدمة اللغة العربية ودراسة ما تواجهه من مشكلات وتحديات داخلية وخارجية في العصر الحاضر وإيجاد الحلول الناجعة لها، والعمل على إحلالها محلها اللائق بها في مختلف مجالات استعمالاتها في حياتنا العلمية والعملية.

وقد دأب مجمع اللغة العربية الأردني في أن يقيم موسماً ثقافياً كل عام لدراسة القضايا اللغوية التي تواجهها اللغة العربية في العصر الحاضر، ويحرص المجمع على نشر أعمال موسمه الثقافي في كتاب خاص، يوزع على المؤسسات العلمية والتعليمية والإعلامية.

وقد اشتمل الموسم الثقافي الرابع والعشرون لهذا العام على ثلاث محاضرات أقيمت في المدة من التاسع من أيار سنة ٢٠٠٦م. حتى الثلاثين من أيار ٢٠٠٦م، وهي:

- المحاضرة الأولى: ألقاها الأستاذ مأمون حطّاب، مدير عام دار حوسبة النص العربي وعنوانها: "تجربة دار حوسبة النص العربي في معالجة النص العربي حاسوبياً".
- المحاضر الثانية: ألقاها الدكتور فواز جرادات مدير عام المناهج والكتب المدرسية في وزارة التربية والتعليم وعنوانها: "التجربة الأردنية في تعليم اللغة العربية حاسوبياً".
- المحاضرة الثالثة: ألقاها الأستاذ الدكتور عبد المجيد نصير، عضو المجمع وعنوانها: "الفجوة الرقمية في اللغة العربية".

رسائل الدكتوراه والماجستير

حرصاً من المجمع على التعاون مع المؤسسات العلمية والأكاديمية، على رأسها الجامعة الأردنية، فقد تمت في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع مناقشة الرسائل الآتية المقدمة إلى الجامعة الأردنية:

كلية الآداب: قسم اللغة العربية وآدابها:

- رسالة مقدمة من الطالب نزار جبريل السعودي، وعنوانها "رثاء المرأة في الشعر العباسي"، أشرف عليها الدكتور صلاح محمد جرار، وجرت المناقشة يوم ٢٩/١٢/٢٠٠٥م.
- رسالة مقدمة من الطالبة نوال عبد الرحمن محمد الشوابكة، وعنوانها "أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري"، أشرف عليها الدكتور صلاح جرار، يوم ٢/١/٢٠٠٦م.
- رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة نهلة أبو عصبية، عنوانها "مقامات ابن الجوزي، دراسة تحليلية" بإشراف الدكتور عبد الجليل عبد المهدي، يوم ٢/١/٢٠٠٦م.
- رسالة مقدمة من الطالب محمد علي مقابلة، عنوانها "الدلالة التركيبية لدى الأصوليين في ضوء اللسانيات الحديثة"، أشرف عليها الدكتور محمد حسن عواد، يوم ٣/١/٢٠٠٦م.
- رسالة ماجستير مقدمة من الطالب محمد النعيمات، عنوانها "ابن الصيرفي كاتباً"، بإشراف الدكتور عبد الجليل عبد المهدي، يوم ٤/١/٢٠٠٦م.

- رسالة مقدمة من الطالبة ملك محمد حسن إسماعيل، عنوانها "الأضداد في آثار الدارسين المحدثين". بإشراف الدكتور إسماعيل عمايرة، يوم ٢٠٠٦/٤/٣ م.
- رسالة مقدمة من الطالب سعيد محمد إسماعيل علي، عنوانها "القواعد الصرف صوتية بين القدماء والمحدثين"، بإشراف الدكتور جعفر عباينة، يوم ٢٠٠٦/٤/٩ م.
- رسالة مقدمة من الطالب عبد الرحمن بن عوض بن ناقل الحربي، عنوانها "تمودج لتفصيح الخطاب العامي: أهميته، إمكانياته، معالمه"، بإشراف الدكتور إبراهيم خليل، يوم ٢٠٠٦/١/٢٠ م.
- رسالة مقدمة من الطالب خالد محمد الشروش، عنوانها "الفكر النحوي عند خليل عمايرة: دراسة وصفية تحليلية"، بإشراف الدكتور محمد حسن عواد، يوم ٢٠٠٦/٣/١٧ م.
- رسالة مقدمة من الطالب خميس بن ماجد الصباري، عنوانها "فن الرثاء عند شاعرات الجاهلية"، بإشراف الدكتور حمدي منصور، يوم ٢٠٠٦/٤/١٨ م.
- رسالة مقدمة من الطالبة سوزان نعيم أسعد الحلو، بإشراف الدكتور صلاح جرار، يوم ٢٠٠٦/٥/١٥ م.
- رسالة مقدمة من الطالب محمد عابد سعيد العواودة، بإشراف الدكتور جعفر عباينة، يوم ٢٠٠٦/٥/٢١ م.
- رسالة مقدمة من الطالبة غدير أحمد ضيف الله بني حمدان، يوم ٢٠٠٦/٥/١٨ م.

- رسالة مقدمة من الطالب وليسد الشرفا، يوم ٢١/٥/٢٠٠٦م.
- رسالة الدكتوراه المقدمة من الطالب هارون الربابعة، بإشراف الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد يوم ١١/٥/٢٠٠٦م.
- رسالة الماجستير المقدمة من الطالب نزار قبيلات، يوم ٢٤/٥/٢٠٠٦م.
- رسالة الدكتوراه المقدمة من الطالب عماد أبو رحمة، يوم ٢٢/٥/٢٠٠٦م.

كلية الشريعة:

- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب ماهر خصوة بتاريخ ٢٧/١٢/٢٠٠٥م.
- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب عيسى بركات الزعبي بتاريخ ٤/١/٢٠٠٦م.
- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب محمد همام عبد الرحمن بتاريخ ٢٩/١٢/٢٠٠٥م.
- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب ماجد عبد الرحمن بتاريخ ٥/١/٢٠٠٦م.
- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب زايد الهبي العازمي بتاريخ ١/٣/٢٠٠٦م.
- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب محمود العمري بتاريخ ١٥/٣/٢٠٠٦م.

- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب حسام إبراهيم أبو الحاج
يوم ٢٠٠٦/٥/١ م.
- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب همام ذياب عقل يوم ٢٠٠٦/٥/٤ م.
- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالبة سناء جمال الحنيطي
يوم ٢٠٠٦/٥/٣ م.
- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب مأمون مجلي أبو جابر
يوم ٢٠٠٦/٥/٨ م.
- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب عماد عبد الحفيظ الزيادات
يوم ٢٠٠٦/٥/١٢ م.
- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب مهند استيتي يوم ٢٠٠٦/٥/١٧ م.

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

فصيحة اشتراك

الاشتراكات:

في الأردن: خمسة دنانير سنوياً

في الخارج: اثنا عشر دولاراً

سنوياً أو ما يعادلها

تضاف إلى ذلك أجرة البريد

أرغب في الاشتراك بمجلتكم بدءاً من

الاسم:

عدد النسخ:

العنوان:

رقم الهاتف:

مرفق شيك مصرفي:

على بنك:

بمبلغ:

التوقيع:

يرسل إلى: مجمع اللغة العربية الأردني، ص.ب. ١٣٢٦٨ عمان (١١٩٤٢) الأردن.



مركز تحقيقات كمبيوتر علوم إسدري

إشعار بالتسلم

تسلمت العدد	<input type="text"/>	من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني			
عدد النسخ	<input type="text"/>				
إهداء	<input type="checkbox"/>	تبادل	<input type="checkbox"/>	اشتراك	<input type="checkbox"/>

الاسم:

المؤسسة:

العنوان:

التوقيع:

التاريخ:

يرسل إلى: مجمع اللغة العربية الأردني، ص.ب. ١٣٢٦٨ عمان (١١٩٤٢) الأردن.

الفاكس (٥٣٥٧٠٦٤) البريد الإلكتروني Jaa@Ju.Edu.Jo



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني



الاشتراكات:
في الأردن: خمسة دنائير سنوياً
في الخارج: اثنا عشر دولاراً
سنوياً أو ما يعادلها
تضاف إلى ذلك أجرة البريد

أرغب في الاشتراك بمجلتكم بدءاً من.....

الاسم:.....

عدد النسخ:.....

العنوان:.....

رقم الهاتف:.....

مرفق شيك مصرفي:.....على بنك:.....بمبلغ:.....

التوقيع:

يرسل إلى: مجمع اللغة العربية الأردني، ص.ب. ١٣٢٦٨ عمان (١١٩٤٢) الأردن.



مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي

إشعار بالتسلم

تسلمت العدد	<input type="text"/>	من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني			
عدد النسخ	<input type="text"/>				
إهداء	<input type="checkbox"/>	تبادل	<input type="checkbox"/>	اشتراك	<input type="checkbox"/>

الاسم:

المؤسسة:

العنوان:

التوقيع:

التاريخ:

يرسل إلى: مجمع اللغة العربية الأردني، ص.ب. ١٣٢٦٨ عمان (١١٩٤٢) الأردن.

الفاكس (٥٣٥٧٠٦٤) البريد الإلكتروني Jaa@Ju.Edu.Jo



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

إلى الأخوة الكتاب :

يرجى مراعاة ما يلي :

- ١ - أن تقتصر البحوث على اللغة العربية ، والتسرات العربي الإسلامي : العلمي والأدبي والفني ، وشؤون التعريب ، ومراجعة الكتب المحققة وما إليها ، والمناقشات والتعليقات المتعلقة بهذا وأمثاله .
- ٢ - أن يتأكد الكاتب من سلامة اللغة ، وحسن الترقيم ، والتوثيق قبل إرسال بحثه للنشر .
- ٣ - أن تتسم البحوث النقدية بأسلوب التقد العلمي الهادئ ، الخالي من الانفعالات الحادّة التي قد تسيء إلى المؤلف أو الباحث .
- ٤ - أن تكون البحوث المرسلّة للنشر في نسختها الأصلية ، وخاصة بالمجلّة .

رئيس التحرير



ISSN 0258 - 1094



مركز بحوث وتكنولوجيا علوم إسلامي

*Journal
Of The Jordan Academy Of Arabic*



No. 70

Vol XXX

Thu- Al. Hiiia 1426H- Jumadal 1427H

January- June 2006